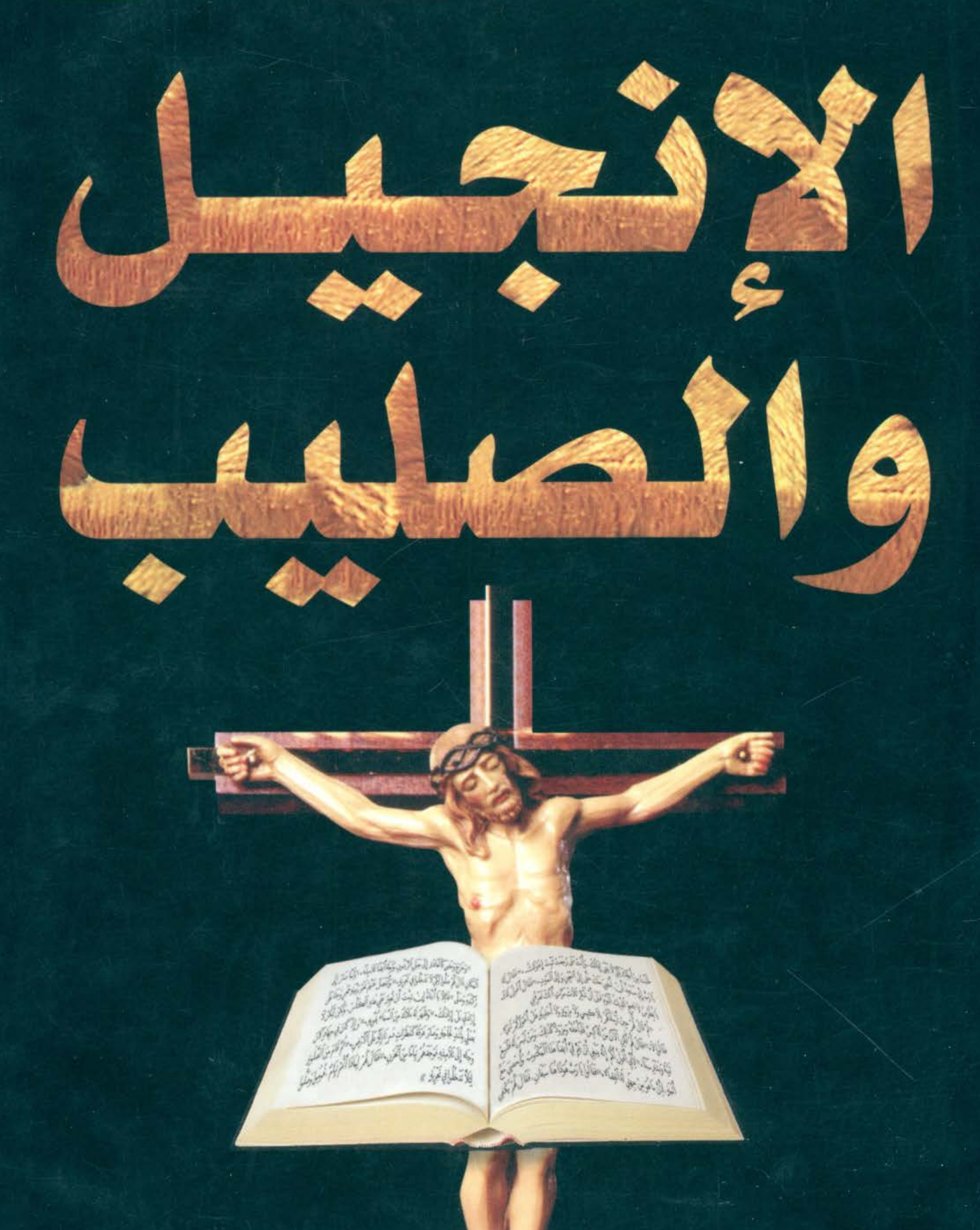
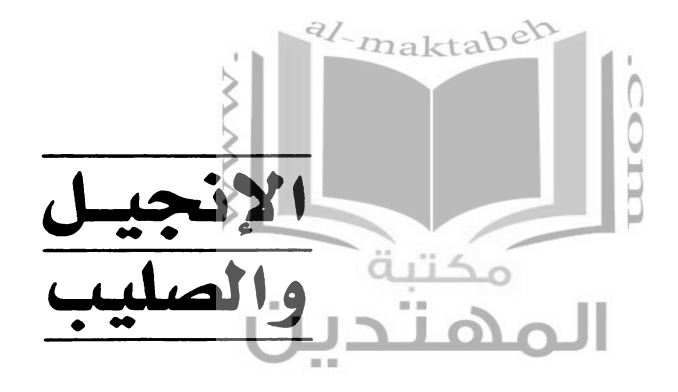
الأب عبد الأحد داود الآشورى العراقى

الإنجيل والصليب



قدم له وعلق عليه
محمد على سلامة

مكتبة النافذة



الإنجيل والصليب

الإنجيل والصليب

تأليف

عبد الأحد داود الأشورى العراقى

كان قسيساً فأسلم

قدم له وعلق عليه

محمد على سلامة

الناشــــر

مكتبة النافذة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الإنجيل والصليب

تأليف: عبد الأحد داود

الطبعة الأولى ٢٠٠٤
رقم الإيداع ٢٠٠٤/٢١٧١٩

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣



﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وأفضلهم محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

(أما بعد) فقد صرنا في أيام فتن ومحن وبلايا؛ بسبب الابتعاد عن الله، وانقلب الحق باطلاً، وصار أهل الباطل والكذب أصحاب الصوت الأعلى في الدنيا، يتكلمون على باطلهم بكل جرأة وبجاحة، بدلاً من الانزواء والخزي مما هم عليه. وقد انتشر في أيامنا هذه نشر الكتب والمقالات المهاجمة للإسلام وعقيدته وكتابه ونبيه ﷺ من جانب النصارى، واستشرت على الإنترنت ودور النشر كتبهم ومقالاتهم المهاجمة للإسلام بالباطل والزور والكذب، وهم يعلمون.

ولو كان نقدهم موضوعيًا صادقًا، لكان ذلك أمرًا محمودًا، فنحن نقبل النقاش والجدال بالحسنى. ولكنك تراهم يأتون بأمور كاذبة وينسبوها إلى الإسلام، كأن يقولوا مثلاً بأننا نعبد مبنًى من حجارة من دون الله وهو الكعبة. وتناسوا أننا نسجد لله رب العالمين، يقول أحد كاذبيهم: "إن كعبة اليوم هي ذات كعبة الأمس؛ حيث كان يطوف حولها الوثنيون العرب، ويؤدون ويقومون بكل شعائر الحج والطواف التي يقوم بها مسلمو اليوم، فما هو الجديد في الأمر؟ لا جديد، مجرد امتداد للوثنية القديمة ليس أكثر، نقلها الإسلام كما هي، وادعى أنها وحي منزل من السماء رغم وجودها قبل الإسلام بمئات السنين. نعم كانت موجودة قبل هذا الوحي بقرون طويلة، لكن أخذها الإسلام كما أخذ عن العرب الأقدمين سائر عاداتهم وادعى أنه وحي وتشريع إسلامي بينما هي عادات الأقدمين". وهكذا أيها القارئ الكريم يصفوننا بأمور نحن أبعد الأديان عنها؛ لأن ديننا من عند الله ولم يصبه أي تحريف أو تلاعب.

وتجدهم أيضًا ينشرون على الإنترنت مقالات مفادها تحول أحد علماء المسلمين من الإسلام إلى النصرانية. وهذا أمر مضحك جدًا ويعلم البشر كلهم -غير المسلم قبل المسلم- أنه من المستحيل بعد أن يطلع المسلم على نور دين الله الإسلام وعظمته أن يتحول عنه إلى أي دين آخر سواه، فكيف يترك الإنسان المسلم النور والوضوح

والطُمأنينة التي يجدها في دينه وينحرف إلى الظلام والغموض والشك والارتياب كما هي حال أهل الأديان الأخرى الذين هم في شك من أمرهم[1].

لذلك عزمنا على الوقوف ضد هذه الهجمة الباطلة، والمشاركة في الدفاع عن دين الله، وذلك سيكون بالحسنى لا بالباطل والزور. وذلك بنشر سلسلة من الكتب لعدد من علماء النصارى ومثقفيهم الذين أسلموا، وفيها يبينون ما في دين النصارى من تحريفات، وهم أدرى بذلك منا، وما عندهم من تناقضات، وما في كتبهم المقدسة من نبوءات عن نبي الله محمد ﷺ؛ التي أدت بهم في النهاية إلى الإيمان بالله الواحد الأحد والإيمان بالنبي الخاتم محمد ﷺ الذي بشرت به كتبهم، وأوصت بالإيمان به عند ظهوره.

وبين يديك الآن عزيزي القارئ كتاب ينطق صاحبه بالحق ويُذعن فيه لدلائل الصدق واليقين، فصاحب هذا الكتاب كان قسيسًا نصرانيًا اطلع على النصرانية والإسلام ووازن بينهما؛ وعلم أن الإسلام هو دين الله الحق، وأن ما عداه من أديان باطلٌ ممتلئٌ بالتحريفات والتخريفات.

وهذا الكتاب يتميز بأن صاحبه مطلع على عدة لغات غير العربية؛ منها: العبرية، والكلدانية، واليونانية؛ والسريانية مما كان له أكبر الأثر في مساعدته على الموازنة بين فروق نسخ الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى وإظهار الكثير من الأمور المهمة جدًّا التي أخفاها علماء أهل الكتاب.

وهذا الكتاب هو دعوة بالحسنى إلى علماء اليهود والنصارى للدخول في دين الله الإسلام، واتباع نبي الله الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ. فيا أهل الكتاب، هذا واحد من علمائكم صدع للحق واستمع إلى صوت الله وقَبِلَ عطية الله ودخل في الملكوت الذي

---

1) أما ما نسمعه عن تنصر أحد عوام المسلمين، فالغالب في هؤلاء بل كلهم الجهل بالإسلام والبعد عن الله والتطلع إلى الشهوات والملذات بأي ثمن، فيأتي النصارى ويلعبون على هذا الوتر: وتر المال والشهوات والنساء، لا الإقناع والتدين وإرادة وجه الله. ومع ذلك فذلك نادر جدًّا جدًّا. أما عن دخول غير المسلمين في الإسلام والاهتداء إلى نور الله فحدث ولا حرج.

بَشَّرت به كتبكم التي تقدسونها، فلماذا تحرمون أنفسكم من هذا الشــرف والنــور، وتجعلون نفوسكم حبيسة ظلمات الشك والارتياب؟!

والنص العربي الذي بين يديك ترجمه عن التركية مسلم عراقي لم يذكر اسمه، وقــد طُبع هذا الكتاب عام 1351هـ/1930م.

وقد وضعتُ في حاشية الكتاب عدة تعليقات، ميزتُها عن حواشي المؤلف بوضــع حرف حاء بين قوسين هكذا (ح) في نهاية تعليقاتي. وكانت للمترجم عــدة تعليقــات ولمصحح الطبعة الأولى كذلك، فأثبتها كما هي وميزتها أيضًا.

وفي الختام أسوق لكم يا أهل الكتاب هذه البشرى من كتاب الله الخاتم القرآن الكريم؛ وهي قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعرف/156-158].

وفقنا الله جميعًا لما يحب ويرضى، وهدانا إلى الطريق الحق الذي يحبـــه، وصـــلى الله وسلم على سيدنا محمد في الأولين والآخرين.

محمد علي سلامة

دراسات عليا بقسم الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم/جامعة القاهرة

* * *

* *

*

تعريف بالمؤلف

اسمه: هو دافيد بنجامين الكلداني، كان قسيسًا للروم من طائفة الكلدان، وبعد إسلامه تسمى بـ: (عبد الأحد داود).

* * *

مولده: ولد عام 1868م في أروميا من بلاد فارس، وتلقى تعليمه الابتدائي في تلك المدينة. وبين عامي 1886-1889م كان أحد موظفي التعليم في إرسالية أساقفة (كانتربوري) المبعوثة إلى النصارى النسطوريين في بلدته. وفي عام 1892م أُرسل إلى (روما) حيث تلقى تدريبًا منتظمًا في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية (بروبوغاندافيد). وفي عام 1895م تَمَّ ترسيمه كاهنًا. وفي هذه الفترة شارك في كتابة سلسلة من المقالات التي تَمَّ نشرها في بعض الصحف المتخصصة، وبعد عودته من روما توقف في إستانبول عام 1895م، وأسهم في كتابة ونشر بعض المقالات عن الكنائس الشرقية في الصحف اليومية الإنجليزية والفرنسية.

لم يمكث طويلاً في إستانبول بل عاد في نفس العام إلى بلدته، وانضم إلى إرسالية (لازارست) الفرنسية، ونشر لأول مرة في تاريخ الإرسالية منشورات فصليةً دوريةً باللغة السُّرْيانية. وبعد ذلك بعامين انتُدِبَ من قِبَل اثنين من رؤساء أساقفة الطائفة الكلدانية في بلده لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر (القربان المقدس) الذي عُقد في مدينة (باري لو مونيال) في فرنسا. وفي عام 1898م عاد إلى قريته (ديجالا) وافتتح مدرسة بالمجان.

وفي عام 1899م أرسلته السلطات الكنسية إلى (سالماس) لتحمل المسئولية، حيث يوجد نزاعات بين بعض القياديين النصارى هناك. وفي عام 1900م ألقى موعظة بليغة شهيرة حضرها جمع غفير من طائفته وغيرها، وكان موضوعها: (عصر جديد ورجال جدد) انتقد فيها تواني بني قومه عن واجبهم الدعوي.

* * *

دوافع إسلامه: يحدثنا المؤلف نفسه في كتبه عن هذه الدوافع؛ ومنها:

1- عناية الله به؛ إذ يقول لما سئل: كيف صرتَ مسلمًا؟ كتب: "إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يُعزى لأي سبب سوى عناية الله ﷻ، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مُجْدِية، واللحظة التي آمنتُ بها بوحدانية الله، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن".

2- ومن الأسباب التي ذكرها أيضًا والتي جعلته يعلن عصيانه على الكنيسة، أنها تطلب من أن يؤمن بالشفاعة بين الله وبين خلقه في عدد من الأمور، كالشفاعة للخلاص من الجحيم، وكافتقار البشر إلى الشفيع المطلق بصورة مطلقة، وأن هذا الشفيع إلهٌ تامٌّ وإنسانٌ تامٌّ، وأن رهبان الكنيسة أيضًا شفعاء مطلقون، كما تأمره الكنيسة بالتوسل إلى شفعاء لا يمكن حصرهم.

3- من واقع دراسته لعقيدة الصلب وجد أن القرآن ينكرها والإنجيل المتداول يُثبتها، وكلاهما في الأصل من مصدر واحد، فمن الطبيعي ألا يكون بينهما اختلاف، ولكن وقع بينهما الاختلاف والتضاد، فلا بد من الحكم على أحدهما بالتحريف، فاستمر في بحثه وتحقيقه لهذه المسألة حتى توصل إلى الحقيقة، حيث يقول: "ولقد كانت نتيجة لتبعاتيّ وتحقيقي أن اقتنعتُ وأيقنتُ أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية".

4- اعتقاد النصارى بالتثليث، وادعاؤهم أن الصفة تسبق الموصوف كان أحد الأسباب التي دعته للخروج من المسيحية.

5- التقى بعددٍ من العلماء المسلمين، وبعد مواجهات عديدة معهم اقتنع بالإسلام واعتنقه.

* * *

* *

*

كلمة المعرب

كان بودي أن أنشر ترجمة حياة المؤلف وصورته في هذه الترجمة لكتابه، ولكني لم أعثر على شيء من ذلك أثقُ من صحته، وإنما أذكر ما سمعتُ عنه:

وعدني أحد النصارى بأن يأتيني بترجمة حياة (عبد الأحد داود) وبصورته، مقابل دراهم وعدتُه بها. ثم أخبرني بأنه لم يتمكن من الحصول عليها؛ لأنه من ملة السُّرْيان الكاثوليك، وداود عبد الأحد من ملة الكلدان الكاثوليك، وأن أهل ملته لا يرضون بذكر اسمه، فضلاً عن أنهم يبحثون عن ترجمة حياته أو يعطون صورته، وأن غاية ما سمع عنه أنه ينتسب إلى عائلة في الموصل تدعي (بيت لشي) أي: بيت الجثة. وأن حضرة البابا لم يوافق على رفع رتبته إلى أكثر من (خوري) التي كان فيها في ولاية ديار بكر، مع اشتهاره بالفضل والعلم، فغضب على البابا وترك منصبه ودين النصرانية وأسلم وذهب إلى إستانبول. هذا ما يتهمونه به.

وكان قد أخبرني المرحوم السيد/أحمد أفندي الفخري الموصلي -وزير العدلية سابقًا في العراق وكان شاعرًا مجيدًا- وذلك قبل أن أقف على هذا الكتاب ببضع سنين، قال: لما كنتُ موظفًا صغيرًا في المحكمة الشرعية بالموصل، أرسلني القاضي إلى المطران؛ لأجل تحرير تركة لبعض أيتام النصارى. ولما لقيتُه وجدتُ في يده ورقةً قد كتب عليها عدة أبيات من الشعر يظهر أنها من نظمه؛ لأن بعضها كان مشطوبًا عليه وقد صَحَّحَه بأحسنَ منه. فأحببتُ أن أُباحثه لأطلع إلى مبلغ الرهبان من العربية.

وبهذه الواسطة حصل بيننا صداقةٌ سببت أن أزوره عدة مرات، بحثنا في بعضها عن الدين، فوجدتُه مطلعًا على العلوم الإسلامية أيضًا، ولكننا لم نقف على شيء من بحثنا؛ لأنه كان ينشر البحث إلى حدٍّ يضيع معه المقصود.

وبعد أن أَمِنني ووَثِقَ من حسن نيتي، عاتبته على عادته لنشره البحث، فقال: وماذا تأمل من الجدال غير القيل والقال؟

قلت: وهل الحقيقة مفقودة من العالم؟

قال: إن وظيفتي توجب عليَّ أن أتكلم هكذا ما دمتُ راهبا، أم أنا فقد قرأتُ القرآن والتفسير وبعض كتب الحديث وسيرة النبي ﷺ وآمنتُ به إذ كنتُ في سوريا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قلت: وما يمنعك من إظهار إيمانك؟

قال: هل تريد أن أكون محضرًا لديك في المحكمة، وأترك هذا الاحترام والمنصب والسعادة والراحة؟!

قلت: وهل يجوز لك أن تكتم إيمانك وأنت في ديار المسلمين؟

قال: لا، ولكني لا أميل إلى أكل أموال الناس بالباطل، فأنتظر أن أحصل على مبلغ ألف ليرة من الحلال، لأستعين به على العيش ونوائب الدنيا[1].

قال: ثم نُقلت وظيفته إلى ولاية ديار بكر، وكان يراسلني أحيانًا. ثم سمعتُ ذات يوم أن صاحبنا قد أعلن إسلامه، وأنه قادم إلى الموصل. وفي الحقيقة حضر إلى الموصل ووعظ في جامع الباشا، وحضره جمع غفير من المسلمين والنصارى واليهود. وزرته فأخبرني أنه كان متخوفًا جدًّا من إعلان إسلامه. ولكن بعد الإعلان، اطمأن قلبه من تخوُّف الفقر وغيره، ثم توجه إلى بغداد فإستانبول.

---

[1] أريد هنا أن أشير إلى نقطة مهمة جدًّا، وهي رسالة إلى كل المسلمين؛ فكلام القس هنا يشير إلى أن المانع له من الإسراع في الدخول في دين الله الإسلام هو لقمة العيش وتكاليف الحياة. وهذا كلام صحيح إلى حد بعيد، فكثيرًا ما سمعنا من القساوسة الذين دخلوا في دين الله الإسلام يذكرون أن السبب في بقائهم على دينهم ظاهرًا أمام الناس والمانع لهم من الدخول في الإسلام علانيةً هو حسن أحوالهم المعيشية بما تُنفقه الكنيسة عليهم من أموالهم كثيرة توفِّر لهم حياة رغدة. فإذا ما دخلوا الإسلام، انقطع عنهم كل ذلك، فأصبحوا في حياة أقل رغدًا من السابق. فيقول هؤلاء القساوسة: أبقى على المسيحية ظاهرًا طلبًا للقمة العيش، وأعبد الله في السر.

ورسالتي إلى المسلمين هو محاولة إيجاد هيئة ومؤسسة يكون من شأنها رعاية وكفالة الداخلين في الإسلام، وتوفير نفس الظروف المعيشية التي كانوا يحيون فيها قبل دخولهم الإسلام. وصدقوني والله يا إخواني، فنحن إذا فعلنا ذلك، لوجدنا قسما كبيرًا من غير المسلمين -خاصة العلماء منهم- يُشْهِرُون إسلامهم ويدعون إلى دين الله الإسلام (ح).

وسمعتُ أيضًا من بعضهم أنه سمع وعظه في جامع النبي جرجيس، ومن الجملة أنه كان يفسر سورة الضحى، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ [الضحى/11]. حَمِدَ الله وأثنى عليه، وقال: أنا أول المدينين بالتحديث بأكبر نعمة ربي عليَّ؛ وهو الإيمان.

أقول: إني أكاد أقطع أن ذلك (الخوري أو المطران) صاحب المرحوم السيد/أحمد أفندي الفخري هو مؤلف كتاب (إنجيل وصليب).

وأخبرني آخر أنه رآه في إستانبول وهو طويل القامة يلبس في رأسه عمامة، وكان وجيهًا لدى السلطان/عبد الحميد، ولكنه لم يتمكن من التأكيد أن اسمه كان عبد الأحد داود، بل بترجح لديه هذا الاسم، وقد سمع أنه موصلي الأصل.

وقد أقدمتُ على تعريب هذا الكتاب مع قلة بضاعتي في العربية -لأن دراستي كانت بالتركية- للأسباب الآتية:

1- لأنني أتوخى أن يكون هذا الكتاب باعثًا لهداية الأنفس الصادقي العزيمة لقبول الحق، وأن مؤلف هذا الكتاب أكثر وقوفًا على النصرانية من بقية المسلمين، وأعرف بلهجة بني جِلْدته الأولين وبصورة تفكيرهم، والظاهر أن سائقه كان النصحَ لهم، وحبه لهم ما أحب لنفسه، وكان من أعلمهم بالدين؛ لذلك استعمل النزاهة في القول واجتنب ما يجرح العواطف.

2- لأنني قد وقفتُ على نشريات ضد الإسلام، يذكر مؤلفوها أنهم كانوا مسلمين ثم تنصَّروا، على أن عباراتهم وتعبيراتهم وكيفية فهمهم الإسلام تشهد بأنهم نصارى أولاد نصارى، فأحببتُ أن أقابل باطلهم بالحق ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ ﴾ [الإسراء/81].

3- لأنه ترجح لديَّ أن نسخ هذا الكتاب التركي العبارة قد فُقدت أو نَدُرت، فأحببتُ أن أُشهره بين العرب أولاً وأحفظه من الاندراس ثانيًا، وليس ذلك مما يجب أن

يُغيظ النصارى، فإن (إنجيل بَرْنابا) لم يضرهم شيئًا، كما أن الأحاديث الموضوعة حَفِظها المسلمون حفظهم للأحاديث الصحيحة.

هذا ويشهد الله أني ما تعمدتُ غلطًا، ولم أكتب إلا كما علمني الله، فإن كنتُ قد أخطأتُ في مهمتي، فأرجو أن يكون شفيعي حسن نيتي، وأسأل الله أن ينفع به مطالعيه، والحمد لله رب العالمين.

* * *

* *

*

اعتذار المؤلف

لستُ أجهل ما ينجُم من الأضرار عن إشغال الوسط الذي لم يتكامل مستوى عرفانه بعدُ بالمسائل المختلف فيها؛ كالدينية والسياسية. ولهذا المحذور قد اجتنبتُ حتى الآن الخوض في المجادلات الدينية بقدر ما كنتُ أتحامى وأجتنب المنازعات السياسية.

ولكن لما شاهدت الفاجعة المدهشة التي وَلّدها حروب البَلْقان الأخيرة، ورأيتُ ما وقع من الفَتْك بالمسلمين وهَتْك أعراضهم وإهراق دمائهم وإحراق كتابهم، فهمتُ أن ذلك لم يكن إلا بنية مَحْو أهل الإسلام، بصفة تقديم ضحايا للصليب. ولما كانت قد رسخت عقيدتي الكاملة منذ اثنتي عشرة سنة بأن قضية قتل المسيح وصلبه عبارة عن أسطورة منتحلة، قررتُ أن أكشف الستار عن هذه الفكرة بالأدلة القاطعة بصورة واضحة.

إن من يتدخل في المباحثات الدينية لا شك أنه يعرض نفسه لمصاعب وأخطار جَمَّة، وإن من أكبر الخطإ الاعتداءُ على شعور أرباب الأديان ووجداناتهم، ولا سيما الذين يؤمِّنون معيشتهم في ظل الدين والمباهاة بالانتساب إليه، فإنهم لا يعفون عن مثل هذا التجاوز أبدًا.

يجب على من يختار أحد الأديان ويتصدى لنشره بين الناس أن يكون حائزًا على عدة صفات:

- أولها أن يكون قد أتقن حسب الأصول دراسة عقائد وأحكام الدين الذي يردُّ عليه وينتقده، واستقرأ أصوله وفروعه.

- وأن يُبَيِّنَ ما يشتمل عليه الدينُ الذي يدعو إليه من القدسيات الأُخْرَوية والمحسنات الدنيوية، التي تُؤَمِّنُ السعادة الحقيقة المادية والمعنوية لنوع البشر؛ بإظهار عقائده المعقولة وأحكامه الموافقة للمصلحة.

– وأن يبرهن على حسن نيته، وعلى أنه لا مقصد له غير خدمة الإنسانية لا بمجرد القول، بل بأن يكون متصفًا بالأخلاق والآداب التي يلتزم نشرها وتعليمها[1].

فإن أقوال داعية الدين المتصف بهذه الصفات الجميلة يُصْغَى إليها دائمًا بصورة حسنة. وأما إن كان على ضد ذلك، فلا شك في أنه يُزِيد الاختلاف والعداوة الدينية شدة.

هذا وإن للعقل وحده الصلاحيةَ في إدراك الدين الحق والتصديق بصحته، والقلوب مستعدة دائمًا بفطرتها ومهيأة بطبيعتها لحب الحقائق والميل الوجداني إليها. فمن الضروري إذن الحصولُ على العقل المهذَّب المثقَّف بالعلم والتربية والوجدان الطاهر المشغوف بحب الخير والشعور المعتاد للمحاسن والفضائل.

وإنني أقول عن نفسي: إنني اشتغلتُ مدة طويلة بالبحث الديني والدرس حسب الأصول المتبعة، وتخرجتُ في سلك الرهبان، وإني أعُدُّ نفسي سعيدًا بأنني لا أزال إلى اليوم محترمًا مكرمًا لدى أشراف الملة الآثورية التي أفتخر بالانتساب إليها، ولدى رؤسائها الروحانيين أيضًا. وإني أؤكد بوجداني أن الأسس الدينية التي اتخذتُها ليست إلا ثمرة تلك الحُرْمة والمكانة مع الدرس والبحث العقلي.

---

(1) هذا ومن القواعد التي أرساها لنا الله ﷻ في كلمته الأخيرة إلى العالم القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/125].

2- وقوله الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت/46] (ح).

ولقد تجشَّمتُ ترك أموالي وداري في سبيل الدين الذي اعتنقته إذ اعتقدته حقًّا، ولم تُثْنِ عزمي تلك الشدائد التي اعترضتني في تلك الثماني أو التسع السنين الأخيرة الـتي قضيتُها في القُسْطَنْطِينية ولا أزال دائبًا على مزاولة مهمتي بكل سكون وسكينة.

إن نتيجة تتبعاتي وأبحاثي الدينية هي أنه لما كان الصليبُ هو موضوع الأناجيـل[1]، وأساس الدين المسيحي في الحال الحاضر، كانت علوياته الدينية عبارة عـن التثليـث

---

(1) صلب الضحية: تعليقها على صليب؛ تنفيذًا لحكم الإعدام فيها. وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية. وكانت طريقـة القصاص هذه معروفة لدى أمم كثيرة؛ فقد حكم الإسكندر الكبير على ألف صُوري بالصـلب. وروى يوسيفوس أن كورش في الأمر الذي أصدره بإعادة اليهود من بابل، هدد بالصليب كل من سعى أن يحول دون تحقيق أمره هذا. وقد توعد داريوس الفارسي بهذه الميتة من يخـالف أوامـره [عز 6 : 11]. وقد صلب أنطيوخوس أبيفانيس يهودًا أتقياءَ رفضوا أن يُذعنوا لأمره بترك دينهم. وقد صلب إسكندر يناويس أعداءه على رواية يوسيفوس.

وأما عند الرومان فكان الصلب قصاصًا للعبيد أو لمن يرتكب أقبح الجرائم. وأما المواطن الروماني العادي فقد عفاه القانون صراحة من هذا القصاص، ولكن في ظل الامبراطوريـة فـرض علـى المواطنين أنفسهم حتى ألغاه قسطنطين الملك لأسباب دينية.

وكثيرًا ما كان يسبق الصلب تعذيب الضحية بالجلد [مت 27 : 26 ومر 15 : 15 ويـو 19 : 1]. بعد هذا التبريح كان عليه أن يحمل صليبه إلى حيث يصلب .

ويروي يوسيفوس أن الواليين فلوروس وتيطس جلدًا من أعد للصلب، ولما كان الضـحية تعلـق على الصليب تعليقًا فإنها ما كانت تموت إلا بعد فعل الجوع والعطش، وأحيانًا هذه كانت الحال لما كانت اليدان والرجلان مسمرتين بالمسامير. وإذا كان من الضروري لسببٍ من الأسباب التخلُّص من الضحايا قبل دُنُوِّ أجلهم كان يوضع حد لحياتهم بكسر سيقانهم كما صنع باللصين المصـلوبين مع يسوع [يو 19 : 31 – 33]. وقد صلب كثير من اليهود بعد استيلاء تيطس على أورشـليم، وأما لفظة الصليب فغير واردة في العهد القديم، وقد استعمل يسوع هذه الكلمة بمعنى مجازي [مت 10 : 38، 16 : 24].

ومن وصف حادثة الصلب يتبين أن الصليب كان خشبًا وكان ثقيلاً، ولكن ما كان ثقله يتجـاوز قدرة رجل قوي على حمله [مت 27: 32، ومر 15: 21، ولو 23: 26، ويو 19: 17].

والتجسد الإلهي، ومقدساته المذهبية عبارة عن الكهنوت الكفارة[1]؛ أي أنه عبارة عن الاعتراف بأن في الألوهية ثلاثةُ أقانيم حائزة على صفات مخصوصةٍ إلهية، تعامل نوع البشر على الأرض بالعفو والمغفرة، ويَدَّعُون أن الأقنوم الثاني الإلهي الذي تجسَّد قد خَلَّص الإنسان من الخطيئة ومن أسْرِ الشيطان بصيرورته فداءً على الصليب كما يحق عدل الأقنوم الإلهي الأول.

فالنصرانية إذن تُقيم التثليث والثالوث مقام التوحيد والوحدانية، وتُستعيض عن المساواة والأخوة والعدالة الصارمة الكافلة لتأمين السعادة الحقيقية بين الناس على الأرض بالعفو والمغفرة الحاصلة من مصلوبٍ متخيلٍ، وتستعيض عن النبي العام الممتاز بتأسيس السلام والمسالمة على الأرض بالإله المتجسِّد المقتول مصلوبًا محقرًا[2].

وكان يرفع عن الأرض قبل أن تكون الضحية قد عُلِّقت عليه أو بعد، وعلى الأرجح وفي أغلب الأحوال قبل رفعه.

وللصلبان نماذج رئيسة ثلاثة:

أحدها: المدعو صليب القديس (أندراوس)، وهو على شكل (ب).

وثانيهما: بشكل (+).

وثالثهما: بشكل السيف، وهو المعروف بالصليب اللاتيني.

والصليب علامة للذل والعار، وحمل الصليب كان يعني حمل الإهانة. ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص 545 (ح).

(1) الدين يبحث عن الدنيا والآخرة:

- الأسس الأخروية تبحث عن: ذات الله وصفاته، وعن الأرواح والعالم الروحاني، وهذه تسمى العلويات أو المقدسات الدينية.

- أما المحاسن أو المقدسات الدنيوية فهي عبارة عن: الأعمال والحركات الحميدة، والأقوال الحسنة، وهي صفوة الأخلاق (المؤلف).

(2) لعل الأصل وصف المصلوب بالملعون؛ ففي آخر سفر تثنية الاشتراع أن شريعة موسى تُوجب أن يُدفن المصلوب يوم صلبه، ولا يَبيت على الخشبة التي يُصلب عليها، وعلل ذلك بقوله

فكتابي هذا الصغير الذي وضعتُه من غير كفاءة أمام الأنظار العامة يبحث عن معنى (**الإنجيل والصليب**)، ومن الله التوفيق.

عبد الأحد داود

* * *

* *

*

[21: 22]: (لأن المعلق ملعون من الله). والنصارى يقولون: إن يسوع قد احتمل اللعنة لأجلنا. (المصحح).

مُقَدِّمَة

إن قضية صلب المسيح وقتله المُدَّعاة هي من أهم المسائل التي تأصَّل الخلافُ فيها بين الإسلامية والنصرانية.

ولو اعتبرت المسألة المذكورة كواقعة تاريخية، لما كان لها من أهمية دينية قَطُّ؛ لأن الكثير من الأنبياء العظام قد ارتحلوا إلى دار البقاء بجريمة القتل. ولو كان المسيح صُلب وقُتل حقيقةً، لما عُدَّ ذلك واقعةً فوق العادة ولا شيئًا فوق الإمكان، فقد قُتل شهيدًا – من قَبْلُ بأيدي الكفار– كل من إِرْميا ويحيى وزكريا وكل مولود يموت، ولكن كيفية شهادة المسيح وصلبه لم يُتناقش فيها بهذا الاعتبار؛ فإن الصليب في نظر النصارى ومن حيث تمثيله التثليث هو أساس قواعد الدين؛ أي أن النصرانية قائمة على الصليب. فالصليب عندهم مذبح عليه ذُبِح المعصومُ، والصليب في زعمهم أكبر واقعة فجيعة في الكائنات، والصليب أساس الكنيسة تمامًا، والصليب عماد الإنجيل، كما أن الصليب في اعتقادهم علامةُ يوم الحشر، فالذي يؤمن به لا يهلك أبدًا، بل تكون له الحياة الأبدية.

يجب أن نوضح هذه العبارات التي تترك علماء الأمة الإسلامية والمتفكرين من أهل الحياد في حيرة.

أساس العقيدة النصرانية: أن أبوينا الأولين (آدم وحواء) عليهما السلام لما كانا في جنة عدن، فوسوس إليهما إبليس الذي كان في شكل الحية وأغراهما، فأكلا من الشجرة المحرَّمة عليهما، فلما عصيا ربهما وارتكبا ما نَهَى عنه، طُرِدا وأُخْرِجا من الجنة المذكورة، وكانت نتيجة شؤم العصيان أن وُصِم جميع النوع البشري (بالذنب

المغروس)[1]، وهكذا كان نسل آدم المتسمم بهذا الذنب مستحقًا لعذاب نار جهنم الأبدي[2].

إن العدالة الإلهية حكمت على مجموع النوع الآدمي الذي تعدى حدود الشريعة بالهلاك الأبدي، ولكن رأفة الله وإحسانه اقتضيا تخليصه وتبرئته. فالجاني الذي خرق قانون العدالة بارتكابه الجريمة، يجب عليه أن يَرْتُق الخَرْق الذي أحدثه، فكذلك كان على نوع البشر أيضًا أن يقدم ترضيةً للقانون الإلهي. فالجاني المحكوم عليه بالموت يمكنه أن يحصل على إرضاء الشريعة بتقديم دم نفسه بالذات، أو بفداءٍ من غيرهِ بدلاً عن نفسه.

وإذا كان هلاك بني آدم قانونيًّا وشرعيًّا، فإن الرحمة الإلهية أوجدت لخلاصهم علاجًا قانونيًّا أيضًا، أي أن الله سمح بتضحية كلمته (المسيح) على الصليب كفارةً عنهم، وهاهي ذي آيات الإنجيل العجيبة تؤيد هذه البيانات التي ذكرناها وتصدقها؛ فمن ذلك قوله:

– (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أعطى ابنه الوحيد[3]؛ لكي لا يهلك من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) [إنجيل يوحنا 3: 16].

---

(1) Peccatum Original إن الأقوام الغربية يستعملون اللسان اللاتيني كثيرًا واليوناني نادرًا في تعبيراتهم المذهبية؛ لذلك نرى نحن أن نكتب الاصطلاحات الأساسية باللسانين المذكورين أيضًا. اهـ من حاشية الأصل، والظاهر أن المراد بالمغروس الفطري: الموروث (المؤلف).

(2) جاء في الإنجيل: (والخطيئة دخلت في العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت وسرى إلى جميع البشر، ولكن هبة الله غير خطيئة آدم) [رومية 5: 12-16]. ونشير هنا إلى نقطة مهمة؛ وهي: أنه ليس في أربعة الأناجيل نص واحد يقول فيه المسيح: إنه قُتل من أجل خطيئة آدم التي انتقلت إلى ذريته من بعده (ح).

(3) لقد ترجم المؤلف العبارة بقوله: (أعطى ابنه الوحيد)، وترجمتها شركة (بايبل سوسايتي): (بذل ابنه الوحيد). وليست إحدى الترجمتين تفيد معنى (ضحى) أو (فدى) بل تفيد أن معنى (أعطى أو أوفد أو أرسل)؛ بدلالة قوله فيما جاء بعدها: (لأنه لم يرسل الله ابنه). وإذا فتشنا في الأناجيل عن ماهية ومدلول (الحياة الأبدية) نجد أوضحها قول المسيح عليه السلام: (وهذه هي الحياة الأبدية: أن

- (بل وجدتم خلاصًا بفداء الحَمَل الخالص من العيب والدَّنَس). يعني: بالدم الثمين للمسيح [بطرس 1: 19][1].

إن هذا السر اللاهوتي الذي كان مكتومًا عن كل الأنبياء والصالحين السابقين قد خيل أو كأنما كُشف للكنيسة بواقعة صلب المسيح، وإن هوية الأقانيم الثلاثة وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام، قد صار من مبادئ معلومات كل غلام مسيحي فضلاً عن القسيسين والرهبان.

الصليب كاشف الأسرار اللاهوتية؟! ما أغربه من أنموذج لتجليات الأديان، إن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام، هي بذاتها تعبد صليبًا مصنوعًا من معدن أو خشب، بدعوى أنه كشف سر التثليث، ومثله كل النصارى -ما عدا البروتستانت- يرسمون الصليب بأصابعهم الثلاثة الأولى الأمامية على وجوههم وصدورهم، ويسجدون للثالوث الشريف ويمجدونه قائلين: (باسم الآب والابن والروح القدس)[2].

وإن كان أحد العيسويين لا يرسم الصليب على وجهه أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن، لا تُقبل عبادته ويُعَدُّ رافضًا ومرتدًا لدى كل الكنائس. وأما

يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، وأن يسوع المسيح الذي أرسلته). أي: رسولك [يوحنا 17: 3] (المترجم).

([1]) جاء في الإنجيل: (وأما المسيح، فقُدِّمَ إلى الأبد ذبيحةً واحدةً كفارةً للخطايا، ثم جلس عن يمين الله) [العبرانيين 10: 12] (ح).

([2]) أتذكر أني قرأت في مقدمة الجزء الثاني من كتاب (التمرنة) لأحد الآباء الدومنيكيين المطبوع في الموصل أن لفظ (الآب) بمد الهمزة اسم (الله)، ولا أتذكر ما إذا كانت الكلمة سُريانية أو كلدانية. ومعلوم أن لفظ (أب) العربية لا مَدَّ فيها. ولا أرى وجهًا صحيحًا لكتابة النصارى في ترجمة كتب العهد الجديد إلى اللغة العربية لفظ (آب) بمد الهمزة. فإذا كانوا يكتبون لفظ (آب) من غير ترجمة، فحينئذ يكون معناه (الله) وليس بمعنى (والد)، وإن كانوا يقصدون معنى (الوالد) أي (أب) العربية، فلماذا يضعون المد على الهمزة؟ (المترجم).

البروتستانت فإنهم وإن لم يعبدوا الصليب، فإنهم على كل حال معتقدون وقائلون: إنه بواسطته انكشف التثليث وألوهية المسيح لنوع البشر.

ما الثالوث؟ ومن هو؟

أركان التثليث الإلهية عبارة عن: الآب، والابن، والروح القدس[1].

فالآب: وهو الأقنوم الأول من الذوات الإلهية، مع كونه والد الأقنوم الثاني فهو مكوِّن الكائنات.

والابن: وهو الأقنوم الثاني مع كونه وَلَد الأقنوم الأول وابنه الوحيد، فإنه قد خلّص العالم من الخطيئة.

وأما الروح القدس وهو الأقنوم الثالث: فإنه يصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، ومهمته عبارة عن إعطاء الحياة.

إن الأقانيم الثلاثة ليست ثلاثة آلهة، بل هم يَدَّعُون وجودَ إله واحد، باعتبار أن الواحد من الثلاثة وأن الثلاثة واحد[2].

([1]) Genetor/الوالد، Genetus/المولود، Procedens/الصادر أو الخارج أو المنبثق (المؤلف).

([2]) للطوائف المسيحية مذهبان كبيران في التثليث والتوحيد؛ هما:

1- **مذهب الأرثوذكس:** يرون أن الله واحد وهو المسيح عيسى، لكنه مَرَّ بثلاث مراحل: فالله قبل تجسده يلقب بأقنوم الآب، وبعد تجسده يلقب بأقنوم الابن، وبعد صعوده إلى السماء يلقب بالروح القدس. فالأقانيم على مذهب الأرثوذكس مراحل للإله الواحد وهو الله رب العالمين (أقانيم تجسد). وقد رد الله ﷻ على عقيدتهم في قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة/72]. فالأرثوذكس يوحدون الله، لكنهم لا ينزهونه عن النقائص؛ بأن جعلوه يتجسد بشرًا، ويأكل ويشرب، ويقتل، ويدخل الجحيم، ويتغير من حالة إلى حالة.

تدعي الكنيسة أن الثالوث الشريف لم يتشكل من ثلاثة آلهة، ولكنها ما دامت تعترف بوجود نسبة بين الأقانيم، وأن لكل منها صفات وأفعال ليست للآخرَيْن، فالأقانيم الثلاثة لا يمكن أن تكون إلهًا تامًا لا على الانفراد ولا بالاجتماع، أي أن (الآب) الوالد، لا يمكن أن يكون هو الابن، ولا أن يكون الروح القدس. وبناءً على ذلك لا يمكن أن يكون (الله) إلهًا تامًا؛ لأنه مقيد بالانضمام إلى الركنين الآخرين، وهكذا الأقنوم الثاني والثالث.

تقول النصرانية: إن في الألوهية أبوة وبنوة، بيد أنه لا يمكن أن يكون الله آبًا وابنًا معًا في وقت واحد. ويلزم من كونه واحدًا ألا يمكن أن يكون آبًا لنفسه، ولا أن يكون ابن نفسه، إذن فلا ريب في أن العقيدة المذكورة قائلة بوجودين مطلقين أو مستقلين في الألوهية، وكذلك الروح القدس الصادر والمنبثق على الدوام من هذين الوجودين المطلقين أو المستقلين (الآب والابن). لما كان ليس آبًا ولا ابنًا، وجب أن يكون له وجود مطلق ثالث (مستقل).

والحق يقال: إن الفرق شاسع بين معبود النصرانية وبين معبود المسلمين الذي يسبحونه ﷻ.

إن الأنبياء الذين بَلَّغُوا العهد القديم -أي: التوراة والزبور- وكل الكتب العبرانية من الله للناس لم يكن لهم علم ولا خبر عن التثليث البتة، وبما أن موسى عليه السلام وكافة الأنبياء الكرام المأمورين بتأييد شريعته كانوا مكلفين بالدعوة إلى التوحيد، لم يعرفوا التثليث البتة، وكأن الصليب المعزو إلى المسيح هو الذي كشف وأفشى سر وجود هيئة

2- مذهب الكاثوليك ومعهم البروتستانت: يرون أن الله ثلاثة أقانيم متميزة؛ هي: الآب، والابن، والروح القدس (أقانيم تعدد). وقد رد الله ﷻ على عقيدتهم في قوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة/73]. فالكاثوليك والبروتستانت يعبدون ثلاثة بصورة واضحة في أذهانهم (ح).

الأقانيم الثلاثة في الألوهية، وأظهر أن الصليب حَمَل مذبوح كائن منذ الأزل على عرش اللاهوت في يمين الله قبل تَكَوُّن كل الكائنات [راجع يوحنا 13: 8 وكثيرًا من أبواب الكتاب المذكور]، فالصليب هو الذي أعلن للعالم أنه حين لم يكن في الأزل وجود غير الوجود المطلق -أي: واجب الوجود[1]- كان هناك حَمَل مذبوح (لا مذبوح بأيد) جالسًا على يمين عظمة الله.

ولنوضح هذا السر على سبيل الاستطراد:

إن كان قد وُجد في الأزل حَمَل مذبوح على يمين الله، فمن يمكن أن يكون الذابح غير الله. إنه لا يتصور وجودُ آخرٍ في الأزل غير هذين الموجودين. المقصود بالحَمَل الأقنوم الثاني عيسى المسيح الذي ذُبح، والمقصود بالذبح في لسان التوراة والإنجيل أو في لسان الكنيس والكنيسة هو القربان والفداء لأجل أن يكون كفارةً، وهنا يتحرك سوية ومشتركًا كاهن ذابح، ومذبوح بريء معصوم، وجانٍ مجرم قد حصل على البراءة من الخطيئة. وبناءً على هذا القصد، فالكهنة الذين أَلَّفُوا وأوجدوا كتابَيْ وحي يوحنا وإنجيله، أسندوا الخالق الذي تمكنوا من إدراكه إلى الكاهن ذابح الذبائح والقرابين، وأسندوا الحمل إلى ابنه، فالله الذي رحم الجنس البشري الذي لم يكن خلقه بعدُ، أراد أن يخلصه من الخطيئة التي علم أنه سيغرق فيها، فذبح ولده المسمى (حَمْلاً) منذ الأزل.

ليس بين كل الأديان المعلومة من يصور معبوده بصفة الكهنوت غير الكنيسة -أي: النصارى-، فالآب معبود وهو كاهن ذابح أيضًا، والابن معبود وكاهن أيضًا.

إن الكاردينال (منينغ) الإنجليزي يبين ويشرح هذه العقيدة العجيبة في كتابه المسمى (كهنوت الأبدية)[2] قائلاً: "لا تخفى أهمية هذا البحث الموجِب للحَيْرة، فإنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلبًا حقيقة، فحينئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هُدِم من الأساس؛ لأنه إذا لم يَمُتِ المسيح على الصليب، لا توجد الذبيحة ولا النجاة ولا التثليث، فهذا هو

---

(1) واجب الوجود: هو الله تعالى (ح).

(2) The Lternal Priesthood. Card Manning.

علم الكلام الذي يسمونه (ثيولوجيـــا)[1]. فبولص والحواريون وجميع الكنائس كلهم يدعون هكذا؛ أي أنه إذا لم يمت المسيح لا تكون قيامة أيضًا... إلخ".

لقد تتبعتُ مسألة صلب المسيح قبل عدة سنين، ورأيتُ في هذا الباب ما يستوجب الحَيْرة، وهو عدم رغبة أحدٍ من علماء المسلمين أو النصارى في كتابة رسالة حول هذا الموضوع.

إن القرآن يقول: ﴿ وَمَا قَتَلُوه وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء/157][2]، وذلك رغم ادعاء كتب الأناجيل تكْرارًا أن المسيح قُتل وصُلب.

---

(1) **Theologia**.

(2) قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [النساء 157]. وكذلك يقول المسيح عليه السلام: (خرجتُ من عند الآب، وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب) [يوحنا 16: 28]، وقال: (هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها، كلُّ واحدٍ إلى خاصته وتتركونني وحدي، وأنا لستُ وحدي؛ لان الآب معي. قد كلمتكم بهذا؛ ليكون لكم في سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبتُ العالم) [يوحنا 16: 32، 33]، وقال: (وأقول لكم: أني من الآن لا أشرب من نتاج الكَرْمة... -إلى قوله- كلكم تشكون أو تعثرون فيَّ هذه الليلة) [متى 26: 29-31]، وقال لليهود الذين أتوا ليمسكوه: (أنا معكم زمانًا يسيرًا، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) [يوحنا 7: 33، 34]، (وكان قوم منهم يريدون أن يُمسكوه، ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه الأيادي) [يوحنا 7: 44].

- ففي الآية الأولى من الآيات الإنجيلية المذكورة أعلاه يقول: (أذهب إلى الآب). وقـــد بينـــا أن الآب بمد الألف اسم الله تعالى، فهو يدل على الرفع إلى السماء.
- وفي الرابعة يخبر اليهودَ بأنهم سوف لا يجدونه، ثم ذهبوا عنه من غير أن يُلقوا عليه الأيادي.
- وفي الثانية يقول للحواريين: (ليكن لكم في سلام، وثقوا بأني قد غلبتُ العالم).
- وفي الثالثة يخبر بأنهم سيشكُّون أو سيعثرون، وبالتعبير الأوضح: سيشبه لهم فيه.

إن التضاد الصريح الكائن بين هذين الكتابين السماويين اللذَيْن يجب أن يكونا قد نَزَلا من عند الله، وتكذيب أحدهما الآخر لا بد وأن سيكون باعثًا للحَيْرة وموجِبًا للأسف لأهل كلٍّ من الدينين.

وحري بالدقة أن نرى الديانة[1] الإسلامية تصدق نبوة عيسى عليه السلام وتصدق إنجيله الذي بلغه، من حيث نرى الكنيسة لا تقبل محمدًا عليه الصلاة والسلام رسولاً لاحقًا ولا تصدق القرآن.

ومن الأمور الطبيعية ألا يكذب الكتابان -المقبول إسنادهما إلى مصدر واحد- أحدهما الآخر من الأساس، وما دام التضاد العظيم ظاهرًا بينهما في هذا الباب، فلا بد لنا من الحكم على أحدهما بالتحريف لا محالة.

ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعتُ وأيقنتُ أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية، وأن الأناجيل الأربعة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته، لم توجد في زمانه بل وُجِدت بعد وفاة الحواريين بزمنٍ طويلٍ، وأنها وصلت إلينا بحالةٍ محرفةٍ، وقد لعبت بها الأقلامُ. وبعد هذا كله اضطررتُ إلى الإيمان والاعتراف من كل عقلي وضميري بأن سيدنا محمد ﷺ نبي حق، ولم أستطع التخلُّف عن ذلك.

* * *

* *

*

والقسم الأول من الآية قوله: (من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة) يناقض ما جاء في [يوحنا 19: 30]: (فلما أخذ يسوع الخل). لأن الخل أيضًا من نتاج الكرمة، ونحن لا يسعنا إلا تصديق أقوال المسيح عليه السلام مهما أدى ذلك إلى تكذيب ادعاءات غيره كائنًا من كان (المترجم).

(1) زيادة من عندنا كي يستقيم السياق (ح).

الباب الأول

- 1 -

ما هو الإنجيل؟

يحمل اسم إنجيل كل من الكتب الأربعة الأولى فقط من الأسفار التي وَضَعت لها الكنيسة عنوان (العهد الجديد)، الذي يحتوي على سبع وعشرين رسالة كتبت من قِبَل عدة كَتَبة في مباحث مختلفة.

وكما أنه لا يدعي أحدٌ أن بعض هذه الكتب الأربعة المذكورة هو الإنجيل الشريف[1]، فإنهم لا يبينون مَنْ هم مؤلفوها، وأن النسخ الموجودة باللسان اليوناني تحمل اسم (إنجيل) بصورة العنوان فقط، أما نسختها المكتوبة باللسان السُّرياني –وهي المعتبرة جدًّا لدى كل عالم النصرانية– المسماة (بشيطتا/البسيطة) فقد وضع فيها اسم (كاروزوتا) أي (موعظة) محل كلمة إنجيل.

وأما الثلاثة والعشرون الباقية من رسائل الكتاب المذكور، فقد كُتبت بصورة مراسلات خصوصية، وبعضها بشكل مكتوبات عامة. وإحدى تلك الرسائل تبحث عن (أعمال الرسل)، ورسالة أخرى قد كُتبت على طرز رؤيا عجيبة بعنوان (وحي[2] يوحنا) ولا وجود لها في أكثر المجموعات القديمة. فالمواعظ الأربع تُرجمت إلى اللغة التركية بالترتيب على الوجه الآتي:

- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه متى.
- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه مرقس.
- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه لوقا.
- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه يوحنا.

ويلقب كل من المؤلفين الأربعة بعنوان (مُبَشِّر).

([1]) يعني: إنجيل المسيح الذي كان يذكره ويوصي بالبشارة به، وهو هو الذي يُذكر في القرآن (المؤلف).

([2]) عنوانها في النسخ العربية: (رؤيا يوحنا اللاهوتي) (المصحح).

- 2 -

الكنيسة العامة بقيت 325 سنة بغير ما كتاب

إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو رسالة الموضوعة من قِبَل ثمانية كُتَّاب لم تدخل في عداد (الكتب المقدسة) باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع، بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه؛ لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولةً ومصدقةً لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور[1].

([1]) المجامع: هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم الرسل نظامها في حياتهم؛ إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة 105م برياسة الأسقف (يعقوب الرسول) للنظر في ختان الأممي (غير اليهود) ومن ثَمَّ نسجت الكنيسة على منوالهم.

والمجامع قسمان:

1- مجامع مسكونية؛ أي: عالمية. وكلمة (مسكونية) نسبة إلى الأرض المسكونة.

2- ومجامع محلية أو مكانية.

وقد عُقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار، وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها.

وقد عُقد من المجامع المسكونية ثمانية، من أهمها مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية، التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية.

وأما المجامع المكانية فكثيرة، وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة، أو رفض بعض العقائد، أو للنظر في بعض الشئون المحلية.

وأما مجمع نيقية Nicaes: فقد كان سنة 325م، وكان عقده ردًا على الوحدانية التي تزعم (آريوس) المصري القول بها. ويعد مؤتمر نيقية أهم المجامع المسيحية؛ إذ اتخذت فيه أخطر القرارات، وكان عقده بأمر الإمبراطور (قسطنطين الكبير). وقد كان عدد الذين حضروه أولاً من الآباء الروحانيين 2048، وقد اشتد الخلاف بينهم حول القول بألوهية المسيح ووصل الخلاف إلى المعارك، وتبنت الأغلبية الساحقة رأي (آريوس)، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع، ثم أُعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم 318، وحضر الإمبراطور نفسه هذا الاجتماع.

وقد اتخذت في هذا المجمع قراراتٍ خطيرةً وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس. وأهم هذه القرارات ما يلي:

1- القول بالتثليث وبألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر.

2- عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى؛ كي يكون كل منهم كما قال بولس الرسول: (بعل امرأة واحدة) [1 تيموثاوس 3: 12].

الباب الأول

- 1 -

ما هو الإنجيل؟

يحمل اسم إنجيل كل من الكتب الأربعة الأولى فقط من الأسفار التي وَضَعت لها الكنيسة عنوان (العهد الجديد)، الذي يحتوي على سبع وعشرين رسالة كتبت من قِبَل عدة كَتَبة في مباحث مختلفة.

وكما أنه لا يدعي أحدٌ أن بعض هذه الكتب الأربعة المذكورة هو الإنجيل الشريف[1]، فإنهم لا يبينون مَنْ هم مؤلفوها، وأن النسخ الموجودة باللسان اليوناني تحمل اسم (إنجيل) بصورة العنوان فقط، أما نسختها المكتوبة باللسان السُّرياني -وهي المعتبرة جدًّا لدى كل عالم النصرانية- المسماة (بشيطتا/البسيطة) فقد وضع فيها اسم (كاروزوتا) أي (موعظة) محل كلمة إنجيل.

وأما الثلاثة والعشرون الباقية من رسائل الكتاب المذكور، فقد كُتبت بصورة مراسلات خصوصية، وبعضها بشكل مكتوبات عامة. وإحدى تلك الرسائل تبحث عن (أعمال الرسل)، ورسالة أخرى قد كُتبت على طرز رؤيا عجيبة بعنوان (وحي[2] يوحنا) ولا وجود لها في أكثر المجموعات القديمة. فالمواعظ الأربع تُرجمت إلى اللغة التركية بالترتيب على الوجه الآتي:

- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه متى.
- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه مرقس.
- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه لوقا.
- (الإنجيل الشريف) على ما كتبه يوحنا.

ويلقب كل من المؤلفين الأربعة بعنوان (مُبَشِّر).

([1]) يعني: إنجيل المسيح الذي كان يذكره ويوصي بالبشارة به، وهو هو الذي يُذكر في القرآن (المؤلف).

([2]) عنوانها في النسخ العربية: (رؤيا يوحنا اللاهوتي) (المصحح).

- 2 -

الكنيسة العامة بقيت 325 سنة بغير ما كتاب

إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو رسالة الموضوعة من قِبَل ثمانية كُتَّاب لم تدخل في عِداد (الكتب المقدسة) باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع، بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه؛ لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولةً ومصدقةً لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور[1].

([1]) المجامع: هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم الرسل نظامها في حياتهم؛ إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة 105م برياسة الأسقف (يعقوب الرسول) للنظر في ختان الأممي (غير اليهود) ومن ثَمَّ نسجت الكنيسة على منوالهم.

والمجامع قسمان:

1- مجامع مسكونية؛ أي: عالمية. وكلمة (مسكونية) نسبة إلى الأرض المسكونة.

2- ومجامع محلية أو مكانية.

وقد عُقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار، وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها.

وقد عُقد من المجامع المسكونية ثمانية، من أهمها مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية، التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية.

وأما المجامع المكانية فكثيرة، وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة، أو رفض بعض العقائد، أو للنظر في بعض الشئون المحلية.

وأما مجمع نيقية **Nicaes**: فقد كان سنة 325م، وكان عقده ردًا على الوحدانية التي تزعم (آريوس) المصري القول بها. ويعد مؤتمر نيقية أهم المجامع المسيحية؛ إذ اتخذت فيه أخطر القرارات، وكان عقده بأمر الإمبراطور (قسطنطين الكبير). وقد كان عدد الذين حضروه أولاً من الآباء الروحانيين 2048، وقد اشتد الخلاف بينهم حول القول بألوهية المسيح ووصل الخلاف إلى المعارك، وتبنت الأغلبية الساحقة رأي (آريوس)، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع، ثم أُعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم 318، وحضر الإمبراطور نفسه هذا الاجتماع.

وقد اتخذت في هذا المجمع قراراتٍ خطيرةً وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس. وأهم هذه القرارات ما يلي:

1- القول بالتثليث وبألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر.

2- عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى؛ كي يكون كل منهم كما قال بولس الرسول: (بعل امرأة واحدة) [1 تيموثاوس 3: 12].

ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألف مبعوث رُوحاني يشكلون المجمع العام بمئات من الأناجيل والرسائل المختلفة، كل منهم يحمل نسخة إنجيل أو رسالة على الوجه الذي هو لديها إلى نيقية لأجل التدقيق، وهناك تَمَّ انتخاب الأربعة الأناجيل مما يربو عدده على الأربعين أو الخمسين من الأناجيل المختلفة والمتضادة، مع إحدى وعشرين رسالة من رسائل لا تُعَدُّ ولا تُحصى، فصُودِقَ عليها. وهكذا ثبت العهد الجديد من قِبَل هيئة عددها 318 شخصًا من القائلين بألوهية المسيح، وهم زهاء ثلث عدد أعضاء المجمع المذكور.

وهكذا كان العالم المسيحي محرومًا من العهد الجديد مدة 325 سنة؛ أي أنه كان بغير ما كتاب.

* * *

– 3 –

كاتبو الرسائل لم يكونوا على علم ما بهذه الأناجيل الأربعة

يتحقق لدى من أنعم النظر مرةً في مطالعة الرسائل السبع والعشرين: أن كاتبي الثلاث والعشرين منها لم يكونوا على علمٍ بوجود الأناجيل الأربعة، وأن كل ما تحكيه الأناجيل من الأمثال والنصوص والوقائع والحكايات والمعجزات تكاد تكون كلها مجهولةً لدى كاتبي الثلاث والعشرين رسالة. إذن فالأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل؛ لأنها لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعًا.

ربما يدعي مُدَّعٍ أن بولص أشار إلى بحث أو بحثين من الأناجيل، ولكن لا يجوز قطعًا أن يدعيَ أنه اقتبس من الأناجيل أو كتب بالاستناد إليه.

3- اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة، وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل. ينظر: المسيحية (الجزء الثاني من سلسلة مقارنة الأديان) د/أحمد شلبي ص 168 (ح).

مثلاً إن بولص أيضًا يبحث عما بحثت عنه الأناجيل الثلاثة (**السينوبتيكية**)[1] من تقديس المسيح الخبز والشراب اللذَيْن شبَّهَهما بلحمه ودمه في آخر ليلة من حياتــه، وتوزيعه إياهما على التلاميذ الاثني عشر. ولكن لا نجد في رســائل بــولص العبــارة الواجب ذكرها كقوله: (على الوجه الذي كُتب في الإنجيل الفلاني، أو إنجيل فلان).

فلو وُجِد كتاب إنجيل في زمن كتابة بولص وبطرس[2] رسائلهما، لكان من البديهي أن يبحثا عنه أو يقتبسا منه.

إن الكاتب المسلم الباحث عن (أبابيل) أو عن (انشقاق القمر) لا يمكنه أن يكتــب خبرهما بدون أن يتذكر القرآن وينقل عنه. فكذلك لا يُتَصَوَّر من كاتــبٍ مســيحيٍّ يبحث عن واقعةٍ ذكرها الإنجيل ولا يتذكر الإنجيل ويقتبس منه ويستشهد به. إذن فلا شبهة في أن الزمن الذي كَتب فيه حضرات بولص وبطرس ويوحنا ويعقوب ويهــوذا رسائلهم، لم يكن يوجد فيه الأربعة الأناجيل المعزوَّة إلى متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنــا التي في أيدينا.

فإذا ثبت أنه لم يوجد أي كتاب باسم إنجيل، لا هذه الأربعة المواعظ ولا غيرهــا في زمن الخمسة الرسل مؤلفي الرسائل، فبأي جرأة تعبر الكنائس –المضطرة إلى الاعتراف بذلك– عن الكتب المذكورة بلفظ (مقدسة)؟! وأي علاقة للــوحي والإلهــام بهــذه الأناجيل التي لم تكن موجودةً في زمن الحواريين؟!

وبأي حياء وجسارة يعبرون عن هذه الأربع المواعظ التي كــان يجهلــها الخمســة الحورايون بأنها (كلام الله) ويضعون أيديهم عليها يحلفون بها؟! وأخيرًا يَــدَّعُون أنهــا كُتبت بإلهام من الروح القدس.

ولما كان من المحقَّق أن الرسائل التي تحمل أسماء بعض الحواريين أقدم تاريخًــا مــن الأناجيل الأربعة، فبالطبع يجب ألا تعتبر الرسائل والأناجيل معًا مــن زُمْــرة الكتــب المقدسة.

---

(1) **Evangelia Synobtica** يجب كتابة الاصطلاحات الدينية كهذا باللسان اللاتيني (المؤلف).

(2) **Petrus , Paulus**.

لا نرى في هذه الرسائل شيئًا عن ولادة المسيح ﷺ، ولا عن طفولته وشبابه، ولا عن أفعاله ومعجزاته، ولا عن مواعظه وتعاليمه، ولا عن الوقائع أو الأحوال التي كانت في حياته وأثناء صلبه، ولا ذكر فيها لاسم مريم والدة المسيح عليهما السلام أيضًا. فهي عبارة عن مجموعة من كتابات عن رجل موهوم خيالي يسمى عيسى المسيح قُتل مصلوبًا. وبهذه الواسطة تُتخذ صيرورته ذبيحة مكفّرةً قد خلّصت نوع البشر من (الذنب المغروس الموروث)؛ أي من الخطيئة الفطرية.

وعلى هذا تبحث على طريقة الوعظ والنصيحة بوجوب الإيمان (بالمصلوب) الفادي، وعن وجوب محبته وطاعته.

ولا شبهة في أن من يقرأ هذه الرسائل ولم يقرأ الأناجيل الأربعة يصرخ متعجبًا: حسنًا، ولكن من كان عيسى المسيح هذا؟! لأنها لا تبحث عن ترجمة حاله، بل تنوّه ببعض الأعمال التخليصية الفدائية التي قام بها خدمةً للإنسانية. فهي عبارة عن دعوى لسانية لا تزيد عن قولك: بما أن زيدًا خلّص العالم بدمه من عذاب جهنم، يجب أن يكون ممدوحًا وعظيمًا جدًّا عند الله والناس. وأن موضوع كل هذه الرسائل هو أن شخصًا عاليًا سماويًّا روح الله بشكل إنسان -وإذا كان من الممكن تصوره - فهو أكبر من ذلك، أي هو الله ابن الله -وحاش لله- قد صُلب ومات، وقد وهب بدمه نجاةً أبدية للعالم.

ويجب ألا نسأل: لماذا لا يُبحث فيها عَمَّنْ هو المسيح؟ أم ماذا قال وماذا فعل؟ وبأي أحكامٍ وشريعةٍ أتى؟ وبمن التقى؟! مات المسيح وحي لا غير.

فثبت إذن أنه لم يكن هناك من إنجيل، أهكذا؟ نعم؛ إذ ليس لدينا برهان قوي على وجود إنجيل بهيئة كتاب مصدَّق من قِبَل عيسى المسيح ﷺ، بل نزل على المسيح إنجيل فحسب، ولكن ماذا كان ذلك الإنجيل، وماذا صار إليه أمره؟

* * *

- 4 -

لا علم لمؤلفي بعض هذه الرسائل بما كتبه البعض الآخر

من الظاهر أنه لم يكن لكُتّاب الرسائل الإنجيلية علم بوجود الأناجيل الأربعة، كما أنه لم يكن بعضهم على علمٍ من كتابات البعض الآخر. فإن في هذه الرسائل بعض العقائد والبيانات الغريبة التي يتفرَّد بها كاتب تلك الرسالة.

ومن هذا القبيل قول بطرس: أن المسيح قضى عقب موته ثلاثة أيام في جهنم بين الأرواح المحبوسة في السجن. ولكن هذه المسألة العجيبة لم تذكرها بقية الرسائل الست والعشرين الأخرى التي تألف منها كتاب العهد الجديد.

فكيف يمكن أن يكون الخمسة الحواريون غير واقفٍ أحد منهم على ما كتبه الآخرون، مع القول بأنهم كتبوا رسائلهم بتلقي الوحي مُلْهَمِين من الروح القدس؟! كيف لا يكون لبطرس الذي كشف الغطاء عن دخول المسيح الجحيم ثلاثة أيام خبر ولا علم له برسالة يعقوب الذي يدعي أن دعاء الكاهن للمريض المحتضر مع دلكه بالزيت يشفيه، وكذلك يغفر ذنوبه بهذه المداواة؟

وعلى كل حال كان على بطرس -وهو رئيس الحواريين- أن يفتش ويعاين مؤلفات الرسل الذين هم تحت رئاسته، ولا شبهة في أن المعقول والموافق للعدل أن يملي الروح القدس على كل منهم جميع الحقائق التي يرى أن إلهامها ضروري.

هل من عالم يستطيع أن يبين أية حكمة وعدالة استندت إليها هذه الإلهامات من الروح القدس؛ أعني: كتمان حقيقة عظيمة عن النصارى الساكنين في بعض الأقطار وإظهارها والإفضاء بها إلى سكنه ديار أخرى، ثم كشفها وإلقائها إلى 318 راهبًا بعد 325 سنة؟!

لأن ظهور ما ينيف على الثلاثمائة فرقة في الثلاثة أو الأربعة الأعصر الأولى الميلادية، كل منها لا يقبل غير الكتاب الذي في يده، وتشعُّب العقائد والمذاهب المختلفة والمتضادة، ولعن بعضها بعضًا، كله كان بسبب هذه الرسائل، وإلا فإن الروح القدس لا يدعو إلى الضلالة والاختلاف، ولا يكون سببًا لهما أبدًا.

- 5 -

أغلاط مجمع نيقية العام

لما اعتبرت كتب العهد القديم منسوخة[1]، لم يكن للمتقين من المسيحيين كتاب لا محل للشك فيه ولا شبهة في صحته يهديهم صراط السلامة المستقيم ككتاب المسلمين الموصوف في الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة/2]. تفرقت النصرانية إلى مئات المذاهب أو الملل المتضادة؛ ذلك بأن الكنيسة التي كانت تملك كتاب مرقس لم تكن مطلعة على صفة ولادة المسيح ولا على قيامه من القبر؛ لأن هذا الكتاب كان يحتوي على كثير من الوقائع كانت قد وقعت من مبدإ نبوة المسيح إلى أن وضع في القبر فقط[2].

وكذلك الجماعة اليونانية التي كانت تملك كتاب يوحنا لا يمكنها أن تحيط خبرًا بصفة ولادة المسيح ولا (الاعتماد) و(قربان القديس) من الأسرار السبعة.

فلنفكر في حالة الكنيسة التي بقيت أكثر من ثلاثة عصور وهي بغير كتاب ولا صاحب كتاب؛ كيتيم مهملٍ لا كافلَ له.

لا نريد أن نبحث هنا عن العقائد والمذاهب العيسوية القديمة، لكننا نبحث باختصار عن مجموعة الكتب التي برزت للوجود في العصر الرابع، إذ كان من تلك المسائل غير المتناهية والعويصة التي حلها وقررها مجمع نيقية المشهور المار الذكر، ذلك المعمى العائد إلى (كتب العهد الجديد).

---

(1) أي أنه لا يجب العمل بها بعد الفداء؛ لأن النعمة قامت مقامها وزيادة. انظر الفصل الخاص بملكوت الله حسب ادعاء بولص (المترجم).

(2) إن من يرى إنكار المؤلف لما في آخر إنجيل مرقس من خبر قيام المسيح من القبر يظن أنه مفترٍ كذاب، ولكن ما قاله هو الحق، فإن هذه الخاتمة للأصحاح السادس عشر الأخير منه من عدد 9–20 لم تكن في نسخ إنجيل مرقس القديمة، بل أضيفت إليه فيما بعد كما ترى في قاموس الكتاب المقدس للدكتور/جورج بوست الأميركاني (المصحح).

يجب التفكير في دينٍ بقي من تاريخ نشأته إلى 325 عامًا بغير كتاب، كـم يتـأثر بالعقائد المتولدة من المنابع الخارجية، وكيف يختل نظامه ويكـدر صـفاؤه الأصـلي بالخرافات والروايات الكاذبة.

إن أغلاط مجمع نيقية العام كثيرة جدًّا، تمكَّن (أثاناثيوس) الراهـب الشـاب مـن نصارى الإسكندرية إذ كان شماسًا[1] من حضور المجمع المذكور، فجعل تاريخ الأديان السماوية شَذَرَ مَذَرَ، واجتهد (آريوس) رئيس الموحدين بالبرهنـة علـى أن المسـيح (مخلوق) وأنه (عبد الله) مستدلاً بما لديه من الآيات الإنجيلية وبتفاسير الأعزة والأبـاء من إيقليسيا[2]. واعترف بهذه الحقيقة الثلثان، وهم الموحدون الذين كانت تتألف منهم الأكثرية العظيمة في المجمع.

ومن الجهة الأخرى قام رؤساء التثليثيين[3]، وعلى رأسهم (إثاناسيوس) للبرهنة على أن المسيح إله تام، وأنه متحد الجوهر[4] مع الله، مستندًا على آيات إنجيلية أخرى وعلى تفاسير الآباء من إقليسيا.

ادعى الموحدون أن كل الآيات والمحررات القديمة التي يُدَّعى أنها تؤيـد التثليـث وتجسُّد المسيح[5] محرفة وزائفة، وبناءً على ذلك طلبوا بكل شدة طَيَّ تلـك الآيـات والمحررات الكاذبة.

---

(1) الكهنوت أو الرهبانية تنقسم إلى ثلاث مراتب:

- يسمى الحائز على الرتبة الأولى منها شَمَّاسًا **Diacon**.
- والحائز على الرتبة الثانية: كاهنًا **Presbyteros**.
- والحائز على الرتبة الثالثة: أسقفًا **Episcopus** (المؤلف).

(2) **Sancti et Patres Ecclesiae**.

(3) **Unitaru**.

(4) **Consubstantialis Homosusios**.

(5) **Incarnatio Christi**.

وقد كان الممكن الأقرب إلى الحق أن تُحَلّ هذه المسألة المهمة بأكثرية آراء الآباء المقدسة المتجاوز عددهم الألف، بكونهم الممثلين لعالم النصرانية أجمع ومندوبيه، ولكن لم يقترب ملتزمو التثليث الذي بقوا في هذه الأقلية من هذه الصورة من الحل.

فدخل قسطنطين (قونسطنطينوس)[1] الذي يريد الأمن والراحة لرعيته بأنه أول إمبراطور عيسوي، ووصاهم بالكف عن الشقاق والنفاق، وبأن يحلوا المسائل المتنازَع فيها وفق الحق والأسس الإنجيلية.

بيد أن الحزبين المتخالفين كانا على ضد ذلك، حتى إنهم تدرجوا من المنازعة إلى المشاتمة، ومن المجادلة إلى المجالدة والمضاربة.

وكان المأمول حينئذ تدخل سلطة جبرية من الخارج أو توسط صداقة، بل كانت الحاجة أو الضرورة إذ ذاك داعية إلى أن يهبط ويحل على هؤلاء الآباء الروح القدس الذي حل على الحواريين بشكل ألسنة من نار، وجعلهم بغتةً يتكلمون أربعة عشر لسانا في (عيد الخمسين)[2].

ولم يكن الذوات الحاضرون في المجمع الكبير واقفين على أربعة عشر لسانًا فقط، بل على نحو خمسين لسانًا، ومعظمهم غرباء عن اللسان اليوناني، ولكن هيهات! لم يأتِ ولم يظهر الروح القدس ولا الفارقليط؛ كيما يتدارك دين المسيح وكتابه وكنيسته، ويحول دون هذا الانقلاب المدهش.

فقرر الإمبراطور أن يفصل في الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبطن رأي صديقه ووطنيه البابا كاهن رومية الأعظم الذي يقال إنه هو الذي قَبِلَه وأدخله في دين النصارى وكنيستهم.

---

(1) Constantinius.

(2) الباب الثاني من أعمال الرسل (المؤلف)

وقد أُخرج بأمر هذا الإمبراطور أكثر من سبعمائة من الرؤساء الروحانيين الموحدين من المجمع ونُفي الكثير منهم، وقتل (آريوس) مع المتقدمين منهم[1].

ثم افترق الـ 318 عضوًا الباقون أيضًا ثلاث فرق، وكان اعتراض فرقتين منهم على تعبير (إثناسيوس) "هوموسيون" أي: من جوهر واحد، وإحدى الجوهر عين الجوهر.

وأخيرًا تمكن المعارضون الخائفون من جند الإمبراطور وجَلاّده الشاهر السيف من النجاة بوضع إمضاءاتهم مع نواب البابا وفرقة (إثناسيوس) على الوثيقة المشهورة بعنوان (عقيدة نيقية)[2] المصرحة بالتثليث وبألوهية المسيح.

وهناك تقرر تعيين وتصديق كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية الكثيرة المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها.

إذن فانتخاب واختيار الكتب السبعة والعشرين وحدها من بين تلك الأكوام العظيمة من الكتب التي لا تسعها أية خزانة واحدة ورد الباقية منها ومحوها يجب أن تتحرى أسبابها في الأساس التاريخي الذي أجملناه هنا.

إن الجهة المستغربة الماثلة للعينين فوق جميع مقررات المجمع الكبير وأعماله هي أن يعلم كيف انتحل الإمبراطور (قسطنطينيوس) لنفسه قبل الاعتماد بالنصرانية -أي: في حالة كونه مشركًا- ذلك المقام الأعلى الخاص بنفخ الروح القدس وتعليمه وتصرفه في أثناء انعقاد مجمع رسمي له الصلاحية التامة لحل مشكلات العقائد الدينية والفصل فيها.

---

(1) إن المسيح عليه السلام قد أنبأ بهذا الحادث العظيم بقوله: (سيُخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمةً لله. وسيفعلون هذا بكم؛ لأنهم ولم يعرفوا الآب ولا عرفوني) [يوحنا 16: 2-3، وانظر مرقس 13: 9] (المترجم).

(2) Simbolum Nicoeni, Craedo التي تبتدى بعنوان: "أومن...". أو بكلمة الشهادة الطويلة للنصارى (المؤلف).

إن (أبوسيبوس) بسقبوس قيصرية الذي تقدسه الكنيسة وتمنحه لقب (سلطان المؤرخين)[1] كان صديق الإمبراطور، فلا يمكن أن يكتب في حقه ما يُغاير الحقيقة أو ما هو عبارة عن مفتريات.

وهذا المؤرخ يقول: إن قسطنطين اعتمد حين كان أسير الفراش قبيل وفاته، وأن الذي عَمَّده -أي: نصره- صديقه الحميم (أبوسيبوس) بسقبوس (نيقوميديا).

وأما الرواية القائلة بأن الإمبراطور المومأ إليه قد اعتمد من قبل البابا (داماسيوس) في رومية، فتُعارض صحتها الرواية الأخرى القائلة بأن المشار إليه توفي ولم يتعمد.

وعلى كل حال فإن قول المؤرخ القيصري وثيقة أجدر بالقبول وأحرى بالاعتماد عليها.

وبناء على ذلك فإن مؤسس عقيدة نيقية ليس الروح القدس، بل هو ملك غير مسيحي؛ أي: وثني، أو ملحد هرطوقي.

والغلط الثالث المدهش الذي ارتكبه مجمع نيقية الكبير هو كيفية تأسيسه (شكل حكومة)[2] للكنيسة، فلو كان المجمع عرف أوامر المسيح الصريحة المنافية لهذا العمل في الأناجيل التي قررها واعتمدها بنفسه، لم يكن ليجترئ على إحداث مقام خمس بطركيات قبل أن يحمرَّ وجهه خجلاً؛ لأن عيسى عليه السلام لم يُجَوِّز البتة ابتداع أنظمة (تشكيلات) رُوحانية كهذه، بل قال صراحةً لتلاميذه: ((رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم، فلا يكن هذا فيكم))[3].

هكذا عينوا ثلاثة بطاركة:

الأول: بسقبوس (بطرك) رومية.

والثاني: بسقبوس إنطاكية.

---

(1) Rext Histor icorum أول مؤرخ مسيحي (المؤلف).

(2) Regimen Ecclesiasticum الحكومة الإقليسيتيكية؛ أي التشكيلات الإدارية للكنيسة (المؤلف).

(3) متى 20 25-27، لوقا 22: 25، 26، مرقس 9: 3 وعبارته: (ملوك الأمم يسودونهم...إلخ) (المؤلف).

والثالث: بسقبوس الإسكندرية.

وبعد عصر واحد رُفع إلى هذا المقام نفسه بسقبوس (بيزانس) –الذي اكتسب نفوذًا كبيرًا؛ بسبب إقامته في عاصمة الإمبراطورية القسطنطينية–، وبسقبوس القدس، حتى أن بطريرك (بيزانس) رفع إلى الترتيب الثاني، ولم يزل في رقابة مع بسقبوس رومية حتى لَقَّبَ نفسه أخيرًا بلقب (البطريرك العام).

وأما البروتستانت فيما أنهم يرفضون الرهبانية من أصلها وأساسها، لا يقبلون كثيرًا من أحكام نيقية ومقرراتها.

* * *

– 6 –

مكانة الإنجيل في مذاهب الكاثوليك قليلة جدًا

إن كنيسة الكاثوليك قد فَقِهت منذ البدء حقيقة الكتب المسماة بالإنجيل وكنه شأنها، فهي تعترف بأن الكتب الإنجيلية الموجودة في عالم النصرانية لا تحتوي على جميع الوحي والإلهامات النازلة على المسيح.

ومن ثَمَّ تعتقد الكنيسة المذكورة أن قسمًا من تعليم المسيح مندرج في السفر المسمى بالإنجيل بصورة الوحي، والقسم الآخر قد عَهِد به إلى التلاميذ (الحواريين)، ثم فَوَّض بالتسلسل منهم إلى الكنيسة.

فماذا تكون إذن مكانة الإنجيل عند كاثوليكي يعتقد أن كاهن رومية الأعظم[1] هو خليفة المسيح ومفسِّر الكتب المقدسة والأخبار أو النبوات[2] الإلهية الوحيد، ويقتنع بأن حل المسائل وفصل المشكلات الحادثة –سواء أكانت في حق الإنجيل أو في حق الدين المسيحي– يعود إليه وحده. لذلك كان ملجأ الدين المسيحي ومستنده في نظر الكاثوليكي هو الحبر الأعظم (البابا).

([1]) كان عنوان الكاهن الأعظم للرومانيين القدماء (الوثنيين) **Summum Pontifex** (المؤلف).

([2]) النبوات المدعي أنها صدرت عن المسيح تسمى: النبوات الإلهية أو النبوات الشريفة، والمروية عن الحواريين تسمى النبوات الرسولية **Triditio Apostolica ; Traeio Divina** (المؤلف).

ولكن المذاهب المسيحية الأخرى لا تقبل تفسير خلافة المسيح بهذه الصـــورة، ولا يعرفون لهم مستندًا غير الكتب المقدسة.

وصفوة القول: لا حكم للإنجيل في نظر الكاثوليك، وأي حاجة إلى الكتب المقدسة لقومٍ يعتقدون أن كل ما قرره حبر رومية الأعظم الجالس على كرسي الخلافة البطرسية وحَكَم به فيما يعود إلى الأحكام والأخلاق العيسوية، فهو قطعي تجب طاعته؛ لأنه قد وُهِب من عند الله تعالى صفة العصمة؟[1]

هذه العقيدة (عصمة البابا) هي التي تجعل البروتستانت يتهوّرون إلى درجة الجنون، وهكذا يتخلص الكاثوليكي من جميع عقائد النصرانية وأسرارها التي لا تُدرك.

نحن لا نبحث هنا عن مقدار تمكنهم في هذه العقيدة ولوازمها العمليـــة والمحافظـــة عليها، ولكن عندما يورد العلماء الموحدون اعتراضاتهم بالحق على الكتب الإنجيليـــة، ترى الراهب الكاثوليكي لا يأبى أن يقول متبسمًا: "أفرايتم هذه الحُجَج؟ إنه ليس لكم مفر ما لم تتقلدوا المذهب أو الدين الكاثوليكي".

* * *

– 7 –

كلمة الإنجيل أصلها اللغوي ومعناها

إنجيل (إيفنغليون **Evanghilion**) كلمة مركبة من لفظتين يونانيتين:

– (**Eu** أيو) بمعنى: مرحى، جيد، حقيقي.

– و(أنغليون) وهي عبارة عن: بشارة أو التبشير بالفعل.

فالمعنى الصحيح للكلمة: "التبشير بالسعادة الحقيقية".

لكني أراني في حاجة إلى لفت الأنظار إلى نقطة قد غابت عن نظر كـــل الناقـــدين الغربيين؛ وهي أن المسيح عليه السلام لم يتكلم باليونانية، بل كانت لغته (الآراميـــة)[2]؛ أي

---

(1) **Infallidilitas**.

(2) **Lingua Aramaica**.

اللغة السُّرْيانية. وفي اللغة السريانية تُستعمل كلمة (سبرته)[1] مكان كلمة (إنجيل/إيفنغليون)، وهذا الاسم يأتي من قبل (سبر Swar)، وهو مطابق لكلمة (صبر) العربية.

فالدين الذي أسداه المسيح عليه السلام وأنعم به على العالم كان عبارة عن (الأمل) و(الصبر). وقد وردت كلمة إنجيل في القرآن، ولكنها من اللغات المعربة الدخيلة في العربية.

ويشتق من نفس الكلمة في اليونانية (Anghelos إنغيلوس) بمعنى: رُوح أو مَلَك. وكلمة مَلَك أو ملائكة (أوقوملاخة) في السريانية القديمة بمعنى: قاصد، سفير، نبي.

والذي أريد أن أوضحه جيدًا بكل دقة هو أن كلمة إنجيل المستعملة في الأناجيل الأربعة السريانية عندما تتعلق بالمسيح، تكون كلمة (سبرته) دائمًا وبلا استثناء، وهي تعطي دائمًا معنى: الطريقة المذهبية، والفكرة المعنوية.

وأما إذا أضيفت إلى المبشرين[2] الأربعة، فهناك يتبدل الحال تبدلاً تامًّا.

مثال ذلك: أنه لا شك أن لوقا كتب كتابه باللسان اليوناني، فهم يعطون كتابه عنوانًا باليونانية: To Kata Haghion Evanghelion.

وأما جمعية (ترجمة الكتاب المقدس/بايبل سوسايتي) فقد ترجمت العنوان المذكور إلى اللغة التركية هكذا: (إنجيل لوقانك تحريري أوزره)؛ أي: الإنجيل على تحرير لوقا، أو على ما كتبه لوقا.

لا أعلم ماذا يفهم التركي من التفسير المذكور أعلاه، وإني أُحيل الحكم بصحة أو فساد تركيب وإنشاء هذه العبارة من حيث علم النحو إلى مقدرة القراء، وأعتقد أن

---

[1] (سبرته) تقرأ (Swarta) و(سبرا) تقرأ (Saura) صبر (Sabr) من صيغة الفعل (سبر)، وبالعربية (بَشَّر)؛ أي: التبشير، أو إعطاء البشارة (المؤلف).

[2] المبشرون Evanghelista كلمة تطلق على كاتبي الأناجيل. وبما أن الإنجيل بشارة، فبالطبع يكون كاتب الإنجيل مبشِّرًا (المؤلف).

ترجمة العبارة اليونانية أعلاه على الوجه الآتي تكون أقرب للأصل: (إنجيل شريف لوقايه نظرًا)؛ أي: الإنجيل الشريف نظرًا إلى لوقا، أو: (لوقادن مروي أولان أو بيلديكمز مقدس الإنجيل)؛ أي: الإنجيل المقدس ذاك الذي نعرفه المروي عن لوقا.

هذا الأثر المكتوب في حق المذهب أو الطريقة أو الفكرة الدينية الذي اشتهر باسم الإنجيل هو عائد إلى لوقا.

وبعد حصول العلم بأن العبارة اليونانية المذكورة تشمل (متى) والمبشرين الآخرين، أود أن أضع حقيقتين أخريين أمام الأنظار العامة:

الأولى: الإنجيل الشريف المسمى Haghion Evanghelion لا يعود إلى لوقا بل إلى المسيح نفسه، وعليه يكون التعبير عنه بمثل (إنجيل لوقا) أو (إنجيل متى) غلط أو تغليط.

الثانية: أن هذه التعابير اليونانية لم تكتب من قِبَل المبشرين الأربعة أنفسهم، ولكنها أُضيفت من قِبَل الكنيسة مؤخرًا، أو من قبل مجمع نيقية على أغلب الاحتمالات.

كل الأقوام الآرامية -أي: الأثوريون، والكلدان، والسُّريان، والمارونيون، ومالاباريو الهند- يترنمون بهذه العبارة في الكنيسة أثناء الصلاة وفي الطقوس الرُّوحانية عند قراءة (قريان)[1] أحد الأناجيل الأربعة على الجماعة وهي: (أبو نجليون دماران عيشو مشيخا، كاروزوتا دمتى) أو مرقس... إلخ؛ أي: إنجيل حضرة عيسى المسيح، موعظة متى.

وكل الأقوام التي تتكلم السُّريانية يعلمون أن الإنجيل مختص بالمسيح عليه السلام ولا يلقبون الكتب الأربعة بعنوان (إنجيل) بل بعنوان (كاروزوتا)، وأن الأناجيل الأربعة السريانية ليس عنوانها كما في اليونانية، بل (كاروزوتا دمتى) و (كاروزوتا ومرقس)... إلخ؛ أي: وعظ أو موعظة متى... إلخ.

---

(1) إن كلمة (قريانا) مشتقة من (قرأ)، وهي قطعة من الكتب المقدسة تُقرأ كل يوم في الكنيسة، وإن الكتب القديمة لم تكن مفرقة إلى أبواب وفصول في تلك الأزمنة، بل إلى (قريانا) ت. أليست كلمة (قرآن) مشابهة لكلمة (قريانا)؛ لأنه نزل منجمًا؛ أي قطعًا -وهي السور- قطعة واحدة؟ (المؤلف).

- 8 -

المواعظ الأربعة

ما هو المفهوم مما مَرَّ أعلاه؟ وأي حقيقة نتجت؟

الشيء المفهوم واضح جدًّا؛ وهو أن كتب متى ورفقائه المبشرين الثلاثة ليست أناجيل، بل هي (كاروزوتا) أي (مواعظ)؛ لأن (أبونغليون) أو (سبرتا) خاص بعيسى عليه السلام.

ليس لأي سفر من أسفار العهد الجديد حق بأن يحمل اسم (إنجيل)، وليس إطلاق هذا الاسم (إنجيل) على كتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا إلا غلطًا وزورًا، هذا الإطلاق اعتداء لا يقدر على العفو عنه غير المسيح عليه السلام.

ولكن هل كان هذا الاعتداء عمدًا أم جهلاً؟

لنفرض أن قد ظهر للوجود نسخ أخرى باسم (توراة) على ما كتبه (مردخاي) واسم (زبور) على ما كتبه (إيليا) و(قرآن) على ما كتبه (عمر)، أفلا يغضب اليهود والمسلمون وكذا المسيحيون أنفسهم أيضًا؟ بلى، فكذلك إطلاق اسم الإنجيل الشريف على أسفار متى ولوقا يستوجب الغضب والاعتراض بتلك الدرجة.

يفهم صريحًا من التحقيقات السابقة أن إنجيل المسيح عليه السلام شيء، وأسفار المبشرين -بل الواعظين- الأربعة، شيء آخر. إذن يجب التحري والبحث عن إنجيل المسيح عليه السلام.

بأي لغة تكلم المسيح؟

لم تكن اللغة المسماة (قوديش) -أعني: لغة التوراة المقدسة وأنبياء بني إسرائيل- مستعملة في زمانه، كان اليهود قد بدأت بعد أسر بابل تتكلم باللغة الكلدانية (بابيلونيش). إذن كانوا يتكلمون باللغة التي كانوا مولودين في بلادها قبل التاريخ الميلادي بخمسة عصور.

وإذن يجب أن نقبل معتقدين مذعنين أن المسيح عليه السلام كان يتكلم الكلدانية لا بالعبرانية، وكثير من الكلمات الإنجيلية تصدق دعوانا هذه التي لا تقبل الاعتراض[1]، فإن المسيح عليه السلام كان قد بلغ إنجيله باللسان السرياني[2] الذي كان يتكلمه، فالمسيح بلغ دعوته بقوله (سبرتا) أي (أمل) لا (أبونغليون).

أقول: إن المسيح عليه السلام كان مأمورًا من الله بتبشير (أمل) و(انتظار) ،ولا أظن أن أحد العيسويين يتمكن أن يجترئ على الاعتراض على الكلمة الصادرة من فمه النبوي، فهو إذا أنعم النظر في مطالعة مدلولات المسيح وهي الدور الأول من الأناجيل؛ أي التي لم يطرأ عليها التحريف ولا التفسيرات الملحقة، يرى أنه عليه السلام لم يَدَّعِ أن معه أي رحمة أو دين حاضر في يده ليسلمه إلى قومه يدًا بيد، ولكنه اكتفى بالتبشير بما عَبَّر عنه بكلمة (الملكوت) أو (الأمل). وفي الفقرة الآتية نبرهن على صحة مطالعتنا هذه.

* * *

(1) إن المسيح عليه السلام كان يتكلم بالسريانية كما يُعلم فيما نقلته الأناجيل بالنص (دون ترجمة) من الكلام الصادر من فمه المبارك مثل: (طليتا قومي)، أي: أيتها البنت الصغيرة، قومي. و(أثيتخ)؛ أي: انفتح [مرقس 5: 41، و7: 34]. أما الكلمة العبرانية فيسميها عبرانية؛ مثل (جلجثة) [يوحنا 19: 17 وغيرها] (المؤلف).

(2) إن الأوربيين يطلقون على اللسان المشترك لكل الأقوام الآرامية: سُرياني (المؤلف).

- 9 -

كلمة (إنجيل)

معناها (فكرة معنوية) و(طريقة مؤقتة)

لم يذهب الحواريون ولا الكنيسة القديمة إلى أن في لفظة (إنجيل) ما يدل على معنى كتاب أو مصحف، بل كان لفظ (إنجيل) عندهم بمعنى (فكرة معنوية) و(طريقة مؤقتة) فحسب.

أقول: طريقة مؤقتة؛ لأنه كان قد وعد بسعادة عظيمة خليقة بالبشارة، عَبَّر عنها بالألفاظ (أمل) و(ملكوت الله) الذي سيأتي في المستقبل.

ودليلنا على هذا قول [مرقس 1: 14]: (وبعدما أسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل يكرز بإنجيل ملكوت الله). فما معنى (إنجيل ملكوت الله)؟ إن هذه الآية تعلمنا أن عيسى عليه السلام لم يعظ بإنجيله، بل كان يعظ بإنجيل آخر، ثم قال: (15 ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل).

أما شركة (بايبل سوسايتي) وجمعية (المبشرين) فقد ترجموا هاتين الآيتين على ما شاءوا من تقديم وتأخير حسب عادهم، فترجموا (أونغيليون) أي كلمة (إنجيل) اليونانية بلفظ بشارة، أتدرون لماذا؟

ليس فهم هذا بالشيء الصعب، فإهم جعلوا لفظ (بشارة) مكان (إنجيل) في نسخ اللغات التي يستعملها المسلمون الترك والعرب والإيرانيون والأفغان؛ لكي لا يتسأل هؤلاء قائلين: إذن قد كان هنالك إنجيل آخر أقدم من أسفار الإنجيل هذه التي في أيدينا. فطَوَوْا لفظ (إنجيل) لأجل إغفالهم، وها أنا ذا قد ترجمت لفظ (أونغيليون) في الآيتين بلفظ (إنجيل)، وعند الإجابة عن السؤال: ما إنجيل متى؟

يعلم أن الإنجيل ليس بمصحف؛ أي: ليس بكتاب أو سفر مكتوب كما يعلم من الحقائق والشهادة التي أعطاها هو نفسه في حقيقة مسمى الإنجيل، وإنجيل من هو؟

إنجيل الله [مرقس 1: 14]

إنجيل الابن [رسالة بولص إلى الرومانيين أو أهل رومية 1: 9]

إنجيل المسيح [رسالة بولص الأولى إلى كورنثوس 9: 23]

إنجيل الملكوت [متى 4: 23، و 9: 35]

إنجيل بولص [إلى الرومانيين 2: 16]

لما كنا لا نعرف غير الأناجيل الأربعة المسماة بإنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، فلا غَرْوَ ألا نعرف غير هؤلاء المبشرين الأربعة. وأما زمن الحواريين فقد كانت فيه كلمة (أيونغيلسطيس)؛ أي: مبشر عنوانًا أو لقبًا لصنف خاصٍّ من الواعظين.

فبولص الرسول عندما يبحث عن الوظائف التي أنعم بها المسيح على الكنيسة يقول للأفسوسيين: (هو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين) [رسالة بولص إلى أفسس 4: 11]. وفي اليونانية: (رسل أنبياء مبشرين... إلخ). بصيغة الجمع.

ولو أردتُ أن أشرح وأجرح هذه الآيات التي في الأسفار التي يُدَّعَى أنها كتب سماوية، لاحتجتُ إلى عمرٍ بقدر عمر متوشلخ[1]، ولكني أراني مضطرًا بمقتضى الوجدان إلى رد هذه الآية الغريبة ذات العلاقة بهذا البحث بكل شدة؛ بقصد الدفاع عن الحقيقة والعقل السليم.

إذا سألتم علماء النصارى ولاهوتيهم كافةً والبروتستانت المجددين الملهمين من الروح القدس والبابات المعصومين والآباء والأعزة المشهورين بالصدق والعرفان منذ مجمع نيقية العام إلى هذا اليوم: هل من المنتظر أو المأمول أن يُبعث ويظهر نبي آخر بعد حضرة المسيح؟

---

(1) إن متوشلخ بلغ سن الرشد في 187 من عمره، ثم باشر بنسل البنات والبنين، وعاش 969 عامًا على الأرض (المؤلف).

أنا أعلم أنهم يُسارعون بقولهم: نعم، سيظهر كثير من الأنبياء الكذبة[1]، فبـولص الذي لم يقرأ الأناجيل الأربعة القائلة بأن المسيح خاتم الأنبياء، نَوَّهَ بوجـود أنبيـاء في زمانه.

ومع أني أضع كف الاحترام والتعظيم على صدري تجاه الأرواح القدسية، وأعترف بأني لستُ أهلاً لأن أكون كأصغرهم، أضطر أن أقول بغير اختيار: هل الروح القدس

([1]) متى 7: 15 (المؤلف).

إني بعد تسليمي بحقيقة الآية [متى 7: 15] أقول: إن كانت هذه الآية هي التي يعتمد عليها النصارى في نفي احتمال ظهور نبي حقيقي بعد المسيح عليه السلام فإنها هي نفسها مع الأربع آيات التالية لها تصرح بأن سيأتي أنبيـاء صـادقون وأنبياء كاذبة. وبيّنَ علامة التمييز بينهما، وحَذّر من الكذبة. وهذا نص الآيات الخمس:

(احترزوا من الأنبياء الكذبة) أي: دون الصادقين منهم (الذين يأتون بثياب الحُملان) ولا ينطبق هذا الوصف على محمد ﷺ؛ إذ قد جاء بثياب الأسد إذا كان التشبيه جائزًا (ولكنهم من داخلٍ ذئاب خاطفة) وأما محمد ﷺ والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، فلم يكذبوا ولم يغدروا ولم ينقضوا عهدًا لأعدائهم (من ثمارهم تعرفونهم) والقرآن يأمر بعبادة الله الأحد، وبالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي (هـل يجتنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينًا) لا يمكن ذلك؛ إذن فمحمد ﷺ بما أن دعوته إلى الله الأحد رب العالمين، فليست ثماره بالشوك ولا بالحسك (هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة) ومحمد ﷺ أجود الأشـجار ثمـرًا (وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية) وهل يستطيع أحد أن يبين ثمرة ردية في القرآن الذي هو خُلُق محمد عليه الصلاة والسلام؟! (لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة) إذن فكـلا النوعين من الأشجار يؤمل أن يأتي:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار) ولم تقطع شجرة الرسول الكريم، بل نَمَتْ كحبة خردل حتى صارت شجرةً تأتي إليها طيور السماء وتأوي في أغصانها كما مَثّلها المسيح عليه السلام (فإذن من ثمارهم تعرفونهم) وأي لزوم لذكر الفوارق إذا لم يكن احتمال لوجود كلا النوعين في المستقبل؟ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾... ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ وذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل [الفتح/29].

وليس وجود الأنبياء الكذبة خاصًا بالزمن المقبل، بل قد جاءت في الماضي أنبياء كذبة في بني إسرائيل [انظـر إرميـا 23 9-40] (المترجم)

الذي يبجله هؤلاء النصارى هو ذلك الروح القدس الجليل النوراني من أرواح الله الحق؟

مع الأسف إن الجواب الذي أستطيعه هو النفي: لا لا.

يدعون أن روح القدس هو الله -حاش لله-، فماذا نقول للمبشرين وللبابا وللكهنة الذين يزعمون تفوقهم على سائر الناس، ويفتخرون ويتكبرون بوقوفهم على أسرار الألوهية، وهم يَنسِبُون إليه النسيان والجهل.

فقد أوحى إلى متى الإنجيلي أنه لن يأتيَ بعد المسيح نبي حقيقي، أفلم يكن يعلم بوجود ذلك المقدار من الأنبياء الذي تفتخر الكنائس بحصولها عليهم في زمان بولص؟ أم أوحى ذلك إلى بولص ناسيًا؟

وإذا كان هو الذي أوحي إلى أمثال متى ولوقا أن المسيح وحده هو المبشر، فما بال بولص يبحث عن أنبياء ورسل في زمانه يفوقون المبشرين في الرتبة أضعافًا مضاعفة؟

وإذا كان المسيح عليه السلام يبشر باقتراب ملكوت الله، فإن الروح القدس الذي يبحث عن إرسال جيوش من الرسل والأنبياء وظهورهم بغتة بعد عروج المسيح لا يفيد كنيسة المسيح قدر ذرة من الشرف والفخر الحقيقيين.

لا أعلم من التوراة ومن جميع كتب الأنبياء العبرانيين أن نبيًّا من الأنبياء كان يستحق حمل عنوان (رسول)[1]. وبما أن لقب (رسول الله) أعلى بكثير من لقب (نبي)، فإننا نتعلم من روح قدس بولص أن رسل المسيح هم أكبر منه، رحماك اللهم ربي!!!

إنك لا ترضى بالاعتداء والتحقير الذي جَوَّزُوه على عبدك ورسولك وحبيبك عيسى عليه السلام وعلى روح قدسك العظيم المنير، اللهم اهْدِ مرتكبي ذلك إلى الإيمان والصلاح وهَبْهُم الإدراك السليم؛ إذ ليس في إمكاني غير الدعاء والاستغاثة.

من كان أولئك المبشرون غير متى ومرقس ولوقا ويوحنا؟ ماذا كتبوا؟ كم كان عدد الإنجيليين؟ بأي إنجيل كانوا يبشرون؟ ومن الذين كانوا يبشرونهم؟ لا شك أن الروح

([1]) يخبر يعقوب عليه السلام بمجيء رسول واحد [تكوين 49: 10]، وسنبين في الفصل العاشر بالبراهين المسكتة أن هذه الكلمة المستعملة هنا والمهمة بقدر الدنيا هي بمعنى (رسول) أو (إسلام) (المؤلف).

القدس كان قد نفخ في أولئك وأوحى إليهم فماذا عملوا؟ من أولئك الذين هـــدوهم وجذبوهم إلى الإيمان؟ ماذا يفيد تكثير مثل هذه الأسئلة؟

ليست مما يستطيع المبشرون الإجابة عنها، وها أنا ذا أضطر إلى أن أقول: إن الذين أحدثوا هذه الآيات جهلاً أو ظلمًا بقصد أن يمجدوا المسيح أو يعظموا الإنجيـــل قـــد أهانوه وخانوا ملكوت الله الذي جاء ليبشِّرَ به.

إن هؤلاء الذين وضعوا هذه الغرائب في فم بولص لم يتوقفوا عن عزو إنجيلٍ لبولص أيضًا كما ترى في رسالته إلى الرومانيين [16: 2]: (في اليوم الذي فيه يُدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بواسطة يسوع المسيح).

* * *

* *

*

الباب الثاني

غرض الإنجيل وموضوعه (الإسلام) و (أحمد)

- 10 -

المبشر لوقا يبشر بالإسلام وبأحمد

لننظر الآن في التأويل والتفسير الحقيقي للفظ إنجيل الذي يبشر بالسعادة الحقيقية وماذا يحتمل أن يكون القصد من كلمة (أمل) أو (ملكوت الله) فإذا انكشف هذا السر نكون قد فهمنا روح الإنجيل ولبه. أسأل الله تعالى أن يمن على هذا المؤلف الأحقر بأن يجعل له نصيب الفخر بكشف هذه الحقيقة التي تعدل الدنيا وما فيها بأهميتها العظمى وقيمتها التي لا يساويها شيء –مع أنها ويا للأسف لم تزل حتى الآن مجهولة لدى كل من المسلمين والمسيحيين– وتمحيصها من التحريفات والتأويلات الفاسدة، وإبرازها بتمامها وصفائها بالأدلة القاطعة والبراهين المسكتة بصورة صريحة واضحة بحيث يفهمها كل أحد .

وها أنا ذا أتحدى بإعلان وإظهار هذه الحقيقة جميعَ العالم وكافة روحانيي النصارى وأشهر أساتذة الألسنة والعلوم الدينية في دور الفنون الموجودة في العالم المسيحي، تسلية لقلوب المسلمين، وتثبيتًا لإيمان الموحدين، الذين أصيبوا بأنواع المصائب، وأمسوا هدفًا للتحقير والطعن في هذه الأيام الأخيرة. وها أنا ذا أفتتح كلامي بالحمد والشكر وتحياتي مع روحي وحياتي مشفوعة مع شهادة أن لا اله إلا الله، تلك الكلمة الطيبة كاملة التوحيد والإيمان الصحيح تقربًا إلى الله الواحد الأحد، مكون الكائنات، وواهب العقول والأفهام، المطلع على خفايا السرائر والنيات ﷻ وخدمة لدين حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ فإني قد عاهدت الله عز اسمه بأن أقف نفسي على خدمة هذا الدين المبين وخدمة أمته المظلومة، والدعاء لها، والله ولي الإجابة والتوفيق. بعد هذا أقول:

جاء في لوقا أنه ظهر في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام جمهور من الجنود السماوية للرعاة الذين كانوا في البرية يترنمون بهذا النشيد: [لوقا 2: 14] (الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام! وللناس أحمد)[1].

إن الذي فتح عيني هذا المحرر الفقير، ووهب له مفتاح أبواب خزائن الإنجيل، وكان له دليلاً في تتبع الأديان الأخرى، وإنعام النظر في الإنجيل مرة أخرى، هو هذه الآية آية الآيات الإلهية.

إني مطمئن بأن هذه الآية الجليلة ستبعث اليقظة مع الحيرة والدهشة في قلوب كثير من المسيحيين كما وقع ذلك لي لأني واثق بأنه يوجد في هذه الملة اليوم أناس كثيرون برآء من التعصب والسفسطة، وأنهم لا يتأخرون عن الإذعان والتصديق للكلام الحق ولا يترددون في قبول الفكر الصحيح وقتًا ما[2].

([1]) في الترجمة العربية: (وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة). والمؤلف يعلم هذا ونقله فيما يأتي ولكنه يقول هنا إن الأصل الصحيح هو ما قاله ثم شرحه في التفصيل الآتي (المصحح).

([2]) لا يخفى على العاقل شأن هذا الباب الذي فتحه المؤلف من حيث اشتماله على أبحاث لغوية وبيان لمعاني بعض الألفاظ اليونانية الواردة في كتب العهد الجديد وذكر مترادفاتها ومشتقاتها في اللغات السريانية والكلدانية والعبرانية في كتب العهد القديم، مما يجهله أكثر علماء الدين من المسلمين ومما لم يعقله أو ينتبه إليه أو كتمه بعد أن عقله بعض علماء النصارى ، ومن هذا البحث اللغوي يتضح مفصلاً أن لقب (مشتهى الأمم) الوارد في [حجي 6: 2] هو بمعنى (أحمد أو محمد) فإن الإسرائيليين يطلقون على أنفسهم لقب (شعب الله المختار أو الخاص) وعلى كل من سواهم التعبير (بالأمم). كما تطلق العرب على غيرها من الأمم لقب (العجم). وقد ذكر هذه البشارة مجملاً العلامة/السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار تفسير القرآن الحكيم/المجلد التاسع صحيفة 289.

قال تعالى في سورة طه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ وأجاب بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه/133]. ومثله جاء في إنجيل [يوحنا 5: 39] قول المسيح عليه السلام: (فتشوا الكتب؛ لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي). وليس من بينة أبلغ من البشارة المذكورة في الصحف الأولى؛ لأنها دائمة وبرئية من تهمة التزوير واحتمال السحر، خصوصًا إذا لم يمكن انطباقها على غير واحد. وإن البشارات الدالة على أحقية رسالة محمد ﷺ كثيرة، ومن أوضحها:

ما جاء في كتاب إشَعْيا بعد أن ذكر في أواخر الإصحاح 41 بعثة المسيح عليه السلام بقوله: (لأورشليم جعلت مبشرًا). شرع في الإصحاح 42 يذكر عبد الله ورسوله محمدًا ﷺ ويعدد صفاته، ولنذكر منها ما لا ينطبق إلا عليه ﷺ مع شيء من التصرف والشرح.

1- إنه (عبد الله ومختاره)؛ أي: لا ابن الله ولا مساوٍ لله كما تدعيه النصارى في المسيح.

2- (لا يرفع صوته في الشارع قصبة لا يقصف وفتيلة لا يطفئ). يعضده الله فلا يكل ولا ينكسر. وهذه حالته ﷺ إلى ما بعد الهجرة. أما المسيح فيدعي النصارى أنه قُتل صلبًا وبذلك يجعلونه قصبة مقصوفة وفتيلة مطفأة، ويقولون إنه قال حين الصلب: (إلهي إلهي، لماذا تركتني) [متى 27: 46] أي أن الله لم يعضده.

3- (حتى يضع الحق في الأرض فيخرج الحق للأمم). وأما المسيح فلم يتمكن من وضع الحق في الأرض؛ لأن أتباعه تفرقوا عنه ولم يزل عالم النصرانية مغلوبًا حتى زمن قسطنطين الوثني الذي فعل النصرانية وأهلها ما هو معلوم من التاريخ وذكر المؤلف خلاصته.

4- (تنتظر الجزائر شريعته) و(أن يغنوا للرب أغنية جديدة وتسبيح). وليس للمسيح شريعة جديدة؛ فإنه عليه السلام قال: (لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل) [متى 5: 17] فشريعة المسيح عليه السلام كانت شريعة موسى عينها. أما بولس فإنه وإن أبطل الشريعة الموسوية، لم يثبت للمسيح شريعة غيرها، بل عوض أتباعه بالنعمة فقط. وأما محمد ﷺ فله أكمل الشرائع.

5- (دعاه الرب بالبر -أو بالنصر- وأمسك بيده وحفظه كالجبار أخرجه كرجل حروب لنهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه). وهذه حالة محمد ﷺ بعد الهجرة. ولم يكن المسيح كالجبار ولا رجل حرب ولم يقوَ على أعدائه. ولا يقول النصارى: إن في مجيئه الثاني سيحارب كالجبار، بل بصورة حَمَلٍ غضبان.

6- (ترفع البرية ومدنها، الديار التي سكنها قَيْدار، تترنم سكان سالع، يهتفون ويعطون مجدًا للرب ويخبرون بتسبيحه في الجزائر). والبرية جزيرة العرب، ومدنها هي التي سكنها قيدار بن إسماعيل عليه السلام [تكوين 25: 13].

7- (جعله عهدًا للشعب ونورًا للأمم؛ ليفتح عيون العُمْي؛ ليخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة). وكان ﷺ مصداق العهد الذي أعطاه لإبراهيم عليه السلام بقوله: (أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم) [تكوين 17: 4]، وجعل علامة العهد الختان: (فتختنون في لحم غرلتكم؛ فيكون علامة عهدي بيني وبينكم) [تكوين 17: 11]، وختن إبراهيم وإسماعيل حين لم يكن إسحق قد ولد: (إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام... في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه) [تكوين 17: 21-26].

وكرر هذا العهد لشعب بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام: (سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين أخوتهم وأجعل كلامي في فمه) [تثنية 18: 18]. وقد فصل هذه البشارة العلامة السيد/محمد رشيد رضا في الجزء التاسع من تفسيره صفحة 251 بما لا مزيد عليه.

وأما كونه ﷺ نور الأمم فهم سوى بني إسرائيل كما مر؛ وهم مشركو العرب وغيرهم وكانوا عُميًا وجالسين في الظلمة، فأنارهم بالقرآن العظيم وفتح عيونهم. وكذلك أخرج المأسورين للأصنام وأهل الكتاب المأسورين للأحبار والرهبان قائلاً لهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾ [آل عمران/64]. كما أخرجهم من

- 11 -

كيف ترجموا هذه الآية

كلما تقدمتُ في هذا المؤلف الوجيز تزعجني هاتان الواهمتان:

الأولى: هل يوجد من يشعر بأني راغب في اكتساب الشرف والعظمة بنقد المفسرين والمترجمين؟

والثانية: هل أنا مصيب في ترجمتي وعلى حق في تفسيري؟

إن في مكتبة هذا العاجز نسخة من الكتاب المقدس بالعبرانية ونسخة من ترجمته بالسريانية الجديدة ونسخة ثالثة بالتركية مع نسخة من الإنجيل والتوراة باليونانية ولم أجد ما أحتاج إلى مراجعته من المؤلفات في مكتبة بايزيد العامة لإكمال هذا العمل النافع ، فأنا مضطر إلى الاكتفاء بما عندي من هذه الكتب ، على أنه ليس في المطبعة حروف عبرانية ولا يونانية.

وها أنا ذا أشرع في المقصود، وقبل أن أدخل في بيان شرح الآية التي نحن في صدد الكلام عنها وأبسط تدقيقاتي فيما سأورده في إثباتها بصورة مفصلة في الفصل العاشر أراني مضطرًا إلى تقديم بعض المقدمات الإيضاحية بعبارة مختصرة فأقول:

إن الرعاة السوريين الذين ذكروا في الآية لم يكونوا من خريجي أكاديمية (أثينة) وقد سمعوا جمهور الجنود السماوية يترنمون بتلك الأنشودة العجيبة فلا يمكن إذًا أن تكون الأنشودة باليونانية. هذا شيء لا يوجد من يعترض عليه، ومن البديهي أنهم كانوا يرتلون التسبيح باللغة السريانية. ولم يذكر أنشودتهم المهمة هذه متى ولا المبشرون

ضيق العيش إلى الرغد ومن الجهل إلى العلم ومن التنازع إلى التحاب، وهكذا سيبقون ما لم ينكثوا عهد الله وميثاقه.

ومن أغرب العجيب أن أهل الكتاب لا يقتنعون بهذه البشارة ويرضون بتعطيل كتاب الله الذي يعتقدون أنه من الله تعالى، وقد فكرتُ طويلاً فلم أجد سببًا لعنادهم إلا إرثهم البغضاء عن أمهـ ـ ـ ة لأولاد ضرتها هاجر. والله يهدي من يشاء (المترجم).

الآخرون، وان لوقا كتب موعظته باللغة اليونانية لأنه روماني أو لاتيني على ما هو معلوم من اسمه.

كلمتان وردتا في اللغة الأصلية للآية المذكورة لم يدرك أحد ما تحتويان عليه من المعاني تمامًا، فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية على وفق ما وقع في التراجم إلى اللغات الأخرى، فبناء عليه يجب البحث عن نشيد الملائكة في اللغة الأصلية؛ لأن لوقا إنما كتب كتابه متخذًا كثيرًا من المؤلفات المتقدمة[1] مادة له.

ثم إن تلك المآخذ المتقدمة صارت عرضة لتنقيح وتصرف مراقب مجمع نيقية[2] الفاقد للرأفة، وبعد كل ما كان فإن ترجمتها باليونانية وقعت على الوجه الآتي كما في (ترجمة بايبل سوسايتي): (الحمد لله في الأعالي، على الأرض سلامة، في الناس حسن الرضا).

ومن البديهي إن الملائكة لم ينشدوها باللغة اليونانية، وإلا كانوا كمن يكلم الرعاة الأكراد في جبل هكاري باللغة اليابانية، فلنبين الآن التفسير الصحيح الحقيقي للكلمتين (إيريني، السلامة) و (أيودكيا، حسن الرضا) فيا للعجب! لكن انظروا أولاً إلى هذا التفسير الذي فسروه هم:

أولاً كلمة (دوكسا) مشابهة لكلمة (الحمد) في العربية والعبرانية والسريانية. وهي من الألفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية، و (دوكسا) مشتقة من (دوكو) أو (دوكئو).

وبناء على ذلك تكون التسبيحات، بمعنى حمد وعقيدة وفكرة. والكلمة المستعملة في السريانية بمقابل (دوكسا) هي كلمة (تشبوحتا) وفي اللاتينية (**Gloria**) والفرنسيون والإنجليز والملل العربية تستعمل كلمات تشبهها.

([1]) لوقا 1: 1- 4 (المؤلف)

([2]) نيقية: هي بلدة أزنيق من توابع خداوندكار (المؤلف).

كثيرًا ما نصادف في صحائف كتب العهد القديم كلمات بعين الكتابة مشابهة ككلمات (حمد) و (أحمد) و (محمد) فمما يشابه (محمد) ما جاء في [ملوك أول 6: 20 وهوشع 16: 9 ويونيل 5: 3 ومراثي إرميا 1: 7و11]... إلخ.

فالأولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (إيريني) فقد ترجمت بكلمات (سلامة) و(مسالمة) و (سلام) لكني لا أفهم لماذا يترجم مترجمو (بايبل سوسايتي) اللفظ الواحد مرة (سلام) ومرة (سلامة) وأخرى (مسالمة)؟

أن كلمة (إيريني) بمعنى (سلم) و (سلام) وهي من الألفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية[1] كما أن كلمة (حمد) كذلك موجودة في جميع تلك اللغات، ففي السريانية (شلم) وفي العبرانية (شالوم) التي يستعمل في مقابلتها الغربيون المنسوبون إلى اللغات اللاتينية **Pace, Paix, Pax, Peace**.

من المعلوم أن لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جدًا، ويشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ (السلم، السلام) و(الصلح، المسالمة) و(الأمن، الراحة) أي أن من أسلم وجهه لله واجب الوجود يكون مسلمًا، وتزول من قلبه العداوة والخصومة التي يثيرها الكفر بالإيمان الذي يحل في قلب من أسلم مع الإقرار باللسان، فهو للقلب راحة، وفي الآخرة أمان، ومن المسلمين المجاورين اطمئنان على العرض والنفس والمال. وهذا الإسلام يعطي راحة للفكر، واطمئنانًا للقلب، وأمانًا يوم القيامة.

إن الكلمتين (إيريني) و(شلم) تفيدان هذا المعنى بعينه، وأما كلمة (إسلام، سلام) فهي مع ما تشتمل عليه من المعاني التي شرحناها آنفًا باختصار تتضمن معنى زائدًا وتأويلاً آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى، ولكن قول الملائكة: (على الأرض سلام) لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة؛ لأن جميع الكائنات وعلى الأخص الحية منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الأرض دارنا الصغيرة هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع الوخيمة كالاختلافات والمحاربات والمنازعات. وذلك لكي يتمتعوا بالحياة والرقي، ويعلو

---

(1) سام: أحد أولاد نوح عليه السلام، وهو جد الأقوام السامية (المؤلف).

قسطهم من قانون الترقي والتكامل، وهذه النـــزعة الفطرية الضرورية من غرائز البشر تحدث لهم ضروب الاختلاف والتنازع، وتحملهم على الشقاق والجدال والجلاد.

فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة، ولا يتمكن أي دين كان أن يضمن دوام السلم العام بين الأمم والأقوام حتى لـــو تعلقـــت إرادة الله ﷻ بذلك لاقتضى أن يبدل سننه الاجتماعية في طباع البشر ونظـــام معايشـــهم ويغـــير النواميس الطبيعية فيهم ويستبدل بها غيرها.

إن الحكومات المستريحة الآمنة المسالمة إذا لم تكن على حذر دائم من عدوها تكون مقضيًا عليها بالتدلي والسقوط، ولا تزال تتقهقر حتى تصير إلى البداوة والانحطـــاط أو الاضمحلال، وإذا كانت الأمم لا تخشى اعتداءً على حياقـــا أو عرضـــها أو مالهـــا، والحكومات الحاضرة لا تحسب للدماء ولا للنار حسابًا، فلمـــاذا نراهـــا منهمكـــة في المسابقة إلى الاختراعات الحربية المرعبة التي نشاهدها، خرقوا جبال الألب من أسفلها وهي التي تمردت على ذكاء (بونابرت) و (أنيبال)[1] وهمتهما، وعبَّدوا الطريق فيهـــا حتى صارت تمر منها القطارات بالكهرباء، وتساق فيها الجيوش ليقيم كبار العـــرب – الذين سافروا من حضرموت إلى الصين– وجاءوا من أجداثهم ولينظـــروا إلى تلـــك البحار التي مخروا فيها والأمواج التي تسنموا غواربها ماذا يرون؟ أما البحار فهي هـــي بعينها، ولكن أي السفن أنشئت، وأي الآلات اخترعت لطي تلك المسافات بالسرعة العجيبة؟ وإلى الرياح العاتية والعواصف القاصفة في جو السماء! هي وإن كانت باقية على حالها منذ القدم، ولكن ليبصروا كيف أن الفن أنفذ فيها التلغـــراف اللاســـلكي وسخرها كخادم له، ثم لينظروا هذه المناطيد والطيارات، والمـــدرعات والغواصـــات والدبابات، من مخترعات العقل والفن، ما أوجدها إلا الضراوة بالحرب، وعدم الثقة في معاهدات الصلح، والأمان من الحرب، وإذن يكون (السلام) الذي هتفت به الملائكـــة ليس عبارة عن الاستراحة والمسالمة الدنيوية، أو أن يدخل جميـــع النـــاس الكنيســـة

---

(1) أنيبال: من الفنيقيين وحاكم قرطاجنة، اشتهر في التاريخ باسم (أنيبال)، وإنما اسمه الحقيقـــي (حانبحـــل)، أي: لطف الله (المؤلف)

فيصبحوا آمنين مرتاحين تحت إدارة الأساقفة والرهبان خدام (الأسرار السبعة) بل إن كان في الدنيا شيء قد اكتسب أكبر شهرة في اقتراف المظالم وإيقاد نيران العداوة فلا شك أنها الكنيسة، أقول لا شك، لأن تلك حقيقة تاريخية ثابتة بالفعل ويقول المسيح نفسه: (ما جئت لألقي سلامًا على الأرض). وأما الذين يصدقون بأنه سيتأسس صلح عام، فأولئك هم عبيد الوهم والخيال.

الإسلام

الإسلام: دين أساس إدارته وحكمه العدل المطلق الذي لا هوادة فيه؛ لأن الجرائم والجنايات تعاقب عليها يد العدالة، ولكن الأشرار والمنافقين من المسلمين لا يزالون يسعون في الأرض فسادًا، ولم يخل زمن الخلفاء الراشدين -مثال للعدل المطلق الكامل- من مثل هذه الاختلافات والشقاق من الحروب .

إذن فماذا كانت تقصد الملائكة؟ هل قصدت (سلام عليكم/شلم لحن) كما يريد أن يُحَيِّي بعضنا بعضًا، ويؤدي له رسوم المجاملة؟ الناس يمكنهم أن يستعملوا ما يشاءون من الكلمات الرقيقة لأجل المجاملة، ولكن لا حكمة ولا حاجة أبدًا إلى ذلك في التبشير السماوي، ولا سيما إذا كان من قبل جيش من الملائكة يترنمون في جو الأفلاك.

* * *

- 12 -

(إيريني) أي (الإسلام)

هو الدين المبين وحبل الله المتين

المكمل للإنسان جميع وسائل ترقيه المادية والمعنوية

والكافل له سعادة الحياة والعيش الرغيد إلى الأبد

مهما أكن حريصًا على التزام الاعتدال وعلى سَوْق القلم فيما لا يجرح عواطف المسيحيين، فلا بد أن أكون معذورًا إذا ما تجاوزت أحيانًا هذه الخطة.

رحماك ربي! ما أكثر ما ينحي به أحرار الفكر[1] والموحدون في أوروبا وأمريكا على النصرانية من التحقير الشفهي، والاعتداء التحريري! ومن المعلوم بالضرورة أن مثل تلك المطاعن لا تقع في بلاد المسلمين كتركيا.

ما كان أجدر الكنائس بخدمة الإنسانية لو صرفت عنايتها في مجامعها الكبرى من مجمع نيقية إلى آخر مجمع للفاتيكان[2] عن فحص الأسرار والأشياء السحرية ووجهت همَّتها إلى المعاني العميقة للآية التي نحن بصدد التدقيق في معناها: كم كان للمسيح من طبيعة وإرادة؟ هل كانت أمه مريم إذ كان في رحمها بريئة من الذنب المغروس أم لا؟ عندما يتحول الخبز والخمر إلى لحم المسيح ودمه في القربان المقدس هل يفقدان جوهرهما أم أعراضهما فقط؟ إذا كان عقد النكاح كارتباط المسيح بعروسه للكنيسة أبديًّا فيكون افتراق الزوجين وانفصال أحدهما عن الآخر محالاً حتى الموت أم لا؟ هل ينبثق الروح القدس من الآب وحده، أم من الآب والابن معًا؟ وأسفًا على الكنيسة التي تشتغل بمثل هذه المسائل!

إذن فالملائكة أرادت أن تقول: (سيؤسس دين الإسلام على الأرض).

أقول إلى رهبان البروتستانت وواعظيهم الذين يدعون أن المسيح جاء بالسلام: إن مدعاكم غلط محض، وإن المسيح قد قال صريحًا وتكرارًا: إنه لم يأت بالسلام بل بالسيف والنار، والاختلاف والتفريق بين الناس، فلا مناسبة للسلام بالمسيح ولا بالمسيحية، ودونكم هذه النصوص.

(لا تظنوا أني جئتُ لألقي سلامًا (إيريني) على الأرض، ما جئتُ لألقي سلامًا بل سيفًا) [متى 34: 10]. وفي موعظة أخرى للمسيح: (جئتُ لألقي نارًا على الأرض، أتظنون أني جئتُ أعطي سلامًا على الأرض، كلا أقول لكم، بل انقسامًا) [لوقا 12: 49-53].

([1]) أحرار الفكر: هم الذين ينتقدون كل الأديان كما يشاءون، والفرنسيون يسمون هؤلاء (ليبر بانسور) (المؤلف).

([2]) مجمع الفاتيكان، معطل الآن، وكان قد دعي من قبل (بيونونو) (المؤلف).

إن تدقيقاتنا ومطالعاتنا العميقة في هذا الموضوع مندرجة في الفصل العاشر، ولكن اضطررتُ هاهنا عند تحقيق معنى الإنجيل إلى تدقيق في المعاني المهمة التي تتضمنها الآية المذكورة لا غير، فإن الملائكة في هذه الآية تخبر وتعلن صريحًا بأنه سيظهر دين باسم (الإسلام) و(السلم).

فإذا كانت هذه الفكرة التي بيناها باطلة، فالآية المذكورة ليست إلا نغمة لا معنى لها حاشا، فما دامت النصرانية تعتقد أن الآية المذكورة وحي وإلهام من قبل الملائكة حقيقة، فيجب علينا أن نقبلها مثلهم، ونضطر إلى الاعتقاد بأنها أهم وأعظم شأنًا من أية آية في الكتب السماوية؛ لأن هذا الإلهام ليس من قبل نبي أو رسول أو ملك واحد بل هو إلهام من قبل جمهور من الجنود السماوية يهللون ويترنمون بالذات، فنحن على هذا مضطرون إلى قبول أن محتوياتها أيضًا عبارة عن تظاهرات كبيرة وتجليات مهمة جدًّا تتعلق بمنافع البشر وبنجاتهم في المستقبل.

ولنبين أن أنبياء الله قد استعملوا من قبل في أسفار التوراة (العهد العتيق) هذا المعنى اللغوي لكلمة (إسلام) بمادة هذا المصدر نفسه ومشتقاته وهي (سلم، تسليم، إسلام) العربية و(شلم، شلوم) العبرانية، و(شلم) السريانية، على الوجه الآتي:

[إشعيا 44: 26، و28] إتمام، إكمال، إكمال النقص، الذهاب به إلى مكانه.

[إشعيا 12: 38] الإنهاء، الإيصال إلى المنتهى.

[أمثال سليمان 7: 16] المصالحة، الصلح مع.

[يشوع 10: 1: 4] عقد الصلح والمصالحة، التسليم والضبط.

فالإسلام عبارة عن الدين المتمم والمكمل للأديان السابقة والحاكم في الاختلافات الكائنة بين اليهودية والمسيحية والمصلح بينهما، ومدخلهما في ضمن دينه المكمل المتمم ليكون الجميع سوية مسلمين لله، مسلمين ومؤمنين.

أليس هذه الآية رابطة بصورة بليغة بآية القرآن المجيد التي نــزلت على حضرة خاتم الأنبياء في حجة الوداع؟ وبلغها لأكبر مجتمع في عصره: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/3][1].

* * *

* *

*

([1]) يريد المعنى الذي أراده المؤلف إيضاحًا قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة/48]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [النحل/64]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل/76] (المترجم).

الباب الثالث

(أيادوكيا) بمعنى (أحمد)

الكلمة الأصلية التي ترجمت عنها كلمة (أيادوكيا)

نقول: إذا لم يكن الإنجيل الأصلي قد رفع من الميدان منذ زمن لوقا، أو نقول لكي لا نعرض أنفسنا للتهمة بجرم الافتراء إذ ربما كانت أنشودة الملائكة موجودة بنصها الأصلي ثم أعدمت في عهد تصرفات مجمع نيقية التطهيرية: لماذا لا يوجد النص الأصلي لهذه الآية؟ لماذا يحاولون أن نقتنع ونخضع لدعوى القائل: أن (أيادوكيا) ترجمة مطابقة للكلمة التي كانت في المتن الأصلي، وبصورة موافقة للقاعدة اللسانية الحقيقية؟ فلو قام أحد البابيين فرضًا وترجم هذه الآية بقوله: (الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض لوح. وللناس باب!! فبأي حق وصلاحية يمكن أن يرد ويرفض؟ والمتن الأصلي غير موجود ليكون للكنيسة حق الاعتراض والمؤاخذة أن البابي مجسم أو أنه يعتقد بإنسان قد تأله، وهو أيضًا يدعي الألوهية وأنه يعطي ألواحًا[1] وآيات, كحضرة (يهوه) معبود اليهود[2].

([1]) أصل التوراة كان عبارة عن (الأحكام العشرة) التي كان (يهوه) قد كتبها على لوحي حجر وأعطاهما سيدنا موسى عليه السلام في طور سينا، ومعنى توراة: عهد وشريعة (المؤلف).

([2]) لم أصادف أحدًا من البابيين، ولكني وجدتُ عدة أشخاص من البهائيين كانوا يستغفرون الله من ادعاء تجسد الله تعالى أو تأله بشر، ولم أقتنع بإفادتهم حتى أتاني أحدهم بكتاب (الإيقان) وأراني فيه ما نقلته عنه بالحروف وهو: (غيب هوية وذات أحدية مقدس إز بروز وظهور وصعود ونزول ودخول وخروج بوده. ومتعا ليست از وصف هو واصفي وادراك هر مدركي. لم يزل درذات خود غيب بوده وهست ولا يزال بكينونة خوده مستور از انظار وابصار خواهد بود. (لا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير) جه ميان اور ممكنات نسبت وربط وفصل ووصل وياقرب وبعد وجهت واشاره بهجوجه ممكن نه زيراكه جميع من في السموات والأرض بكلمه امرا وموجود شدند وبأراده اوكه نفس مشيئت است از عدم ونيستي بحت بات بعرصه شهود وهستي قدم كذاشتند. سبحان الله ملكه ميانه ممكنات وكلمه اوهم نسبت وربطي نبوده وله خواهدبود) (المترجم).

وهأنذا أسأل: ماذا كان أصل الكلمة المرادفة لكلمة (أيودوكيـــا)؟ فعوضًـــا عـــن (بروباجندا فيده)[1] التي للكاثوليك، وجمعية ترجمة الكتب المقدسة إلى كل اللغات التي للبروتستانت، أرجو أن يتلطفوا بالإجابة على هذه الأسئلة:

ماذا كان نص العبارة التي كان التهليل والترنيم بها، والمترجمة بكلمـــة (أيودكيـــا) هيهات لا شيء، عدم، كله ضاع وانمحى. وإن ما يضحكني بزيادة هو قولهم: "بما أن لوقا ملهم من قبل الروح القدس، قد حافظ على الترجمة من غير أن تبقى حاجـــة إلى المتن". ولكن المترجمين في المخابرات الدولية دائمًا يذهبون بمتن اللغة الأصلية مع الترجمة إلى الرئيس ويعرضونهما عليه معًا. فأين متن اللغة السماوية؟! وسنبرهن في الفصل الثاني بصورة قطعية ومقنعة على أن لوقا لم يكتب موعظته بالوحي والإلهام ولا بإلقاء الروح القدس. فالمتن الأصلي مفقود، والترجمة مشكوك في صحتها!!

* * *

- 13 -

المعنى اللغوي المستعمل لكلمة (أيودوكيا)

يجب أن تكون كلمة (أيودوكيا) ترجمة حرفية لكلمة سريانية مثل (إيريني) أو لكلمة عبرانية. ولكن كتاب لوقا لم يترجم عن لسان آخر. فإن قال قائل: كان هناك مأخـــذ، وإن لوقا كتب كتابه مترجمًا عن ذلك المأخذ؟ فإن المعنى يزداد غموضًـــا؛ لأن ذلـــك المأخذ في اللسان الأصلي مفقود. ولا بد أن يرد على بال كل مسيحي وجود نســـخه مكتوبة بالسريانية وهي:

(פשיטתא) بشيطتا

(סבךא טבא) سبرا طابا

ولكن تلك أيضًا مترجمة عن اليونانية[2]، فعلينا إذن أن نفهم معنى (أيودوكيا) مـــن اللغة اليونانية ومن قاموسها فقط، وذلك لا يكفي لحل المســـألة، ولا بـــد أن تكـــون

([1]) بروباجندا فيده: جمعية عظيمة تشكلت في رومية لنشر المذهب الكاثوليكي وتعميمه (المؤلف).

([2]) كتب الأناجيل كُتبت باليونانية (المؤلف).

الملائكة قد استعملت كلمة عبرانية أو بابلية أو كلمة أخرى من إحدى اللغات السامية، وأن لوقا ترجمها بـ (أيودوكيا) وهاهنا السر والظلمة.

وفي النسخة المسماة (بشيطتا) التي برزت إلى الوجود بعد مجمع (نيقية/أزنيك) الكبير قد ترجموا كلمة (أيودوكيا) بكلمة (ساورا طاوا) ومعناها (أمل صالح) وهي مثل (الصبر جميل) بالعربية تمامًا. ولا شك أن الذين ترجموها بعبارة (سورا طاوا)[1] قد كتبوها متخذين بنظر اعتبارهم أن (إنجيل) عبارة عن بشارة أمل.

إن المقصود من الاشتغال بالألفاظ ليس إلا التمكن من إظهار حقيقة لم تزل مكتومة أو خافية على كل الموسوية والمسيحية والإسلامية حتى الآن، فأرجو أن يتعقبني القراء بصبر وتأن.

لا يمكن أن تكون (أمل صالح) ترجمة حرفية مطابقة لأصل كلمة (أيودوكيا) بل يجب أن تكون إحدى العبارتين مردودة، ولكن أيتهما؟

الأثوريون النسطوريون يقرءون الآية التي هي موضوع بحثنا عند شروعهم بالصلاة، ولهؤلاء كتاب عبادة يسمى (قودشادشليحي/קודשאשליחא) وهو أقدم من مجمع نيقية بكثير. وبما أن ليس بين مندرجات هذا الكتاب المهم الآيات العائدة إلى (قربان القديس) الموجودة في أناجيل متى ومرقس ولوقا[2] نستدل على أن الكتاب المذكور أقدم من الأناجيل الأربعة، ومهما يكن هذا الكتاب فهو أيضًا أصيب بالتغيرات والتحريفات على مرور الزمان لكنه قد تمكن من أن تبقى صحائفه مصونة عن إضافة الآيات المذكورة إليه المسماة (الكلمات الأصلية) وفي هذا الكتاب (سبرا طابا) أي (أمل صالح) أو (بشارة جيدة أو حسنة) وذلك عوض عن (أيودوكيا)[3] فلدينا وثيقتان فقط في أصل أنشودة الملائكة وهما كتاب (لوقا) وكتاب (قودشا).

([1]) في العبرانية والكلدانية تقرأ الحروف ب ك، د ك ب ت كالحروف و غ ز خ ف ث فكلمة (سبرا) تقرأ (سورا) و (طابا) تقرأ (طاوا) (المؤلف).

([2]) لوقا 22: 17 – 20 ، متى 26: 26–28، مرقس 14: 22–25 (المؤلف).

([3]) إن المسيحيين الأثوريين القاطنين في مملكة فارس بقوا مصونين إلى درجة ما من تأثير (بيزانس)؛ ولذلك تمكنوا من المحافظة على اللسان السرياني أكثر من الأقوام الآرامية الأخرى.

ليت شعري أي واحدة من هاتين الوثيقتين المستقلة إحداهما عن الأخرى هي أكثر اعتبارًا وأحرى بالاعتماد عليها؟

لو كانت الملائكة في الحقيقة قد أنشدت (أمل صالح) لكان الواجب على لوقا أن يكتب عوضًا عن أيودوكيا (Ευελπις) (أيوه لبيس) وعلى الأصح (ελπιθη) (إيليبيدا آغسى) كما كتب بولس[1] وبما أننا وقعنا بين وثيقتين متضادتين تناقض إحداهما الأخرى، لا يمكننا أن نرجح إحداهما بغير مرجح.

لم يكن في الكنائس القديمة كتاب باسم إنجيل باللغة العبرانية، أما الكلمة (أيودوكيا) فهي بالعبرانية (רצון) راصون وهي تشتمل على معان مثل (رضا، لطف، انبساط، مسرة، حظ، رغبة) وهي اسم لفعل (רצה/رصا) المشابهة لكلمة (رضا) العربية فتكون النتيجة أن (أيودوكيا) المترجمة إلى اليونانية **bona Volantas** (حسن الرضا) قد تحولت وتأولت بعد ذلك إلى كافة الألسنة بالعبارات التي تفيد المعنى المذكور.

أنا أدعي أولاً أن تأويل (أيودوكيا) على هذا الطراز لا يؤدي المعنى الحقيقي، وثانيًا أنه من الجهل والمفتريات الكفرية بمكان.

أولاً لا يقال في اليونانية لحسن الرضا (أيودوكيا) بل يقال (θελημα/ثليما) وكان يجب أن يكتب (ενθελημα أو θελημυγαθη) المطابقة تمامًا لحسن الرضا. ففي هذا يكون تفسير أيودوكيا غلطًا وخطأ.

ولعل الكنائس ولا سيما الأساتذة الذين يعرفون اليونانية من أهلها وغيرهم يعارضونني في ذلك فأقول: إن هذه الكلمة مركبة من كلمتين (أيو) بمعنى (حسن، جيد، صالح، مرحى، حقيقي، حسن ملاحة) وأما كلمة (دوكيا) وحدها فلا أعرف لها استعمالاً في شيء من كتب اللغة، وإنما توجد كلمة (δοχεω أو δοχεϖ /دوكونه)

وأما الكلدانيون والسريانيون والمارونيون فإنهم سبب تعربهم لا يتمكنون من التلفظ بمقتضى اللسان المذكور، مثلًا يلفظون (ساور اطاوا) بمثل (ساور وو طاوو) (المؤلف).

([1]) ελπιδα αγυθη [رسالة بولس إلى أهل سالونيك 2: 16] (المؤلف).

وهي بمعنى (الحمد، الاشتهاء، الشوق، الرغبة، بيان الفكر)[1] وها هي ذي الصفات المشتقة من هذا الفعل (δoςα دوكسا) وهي حمد، محمود، ممدوح، نفيس، مشتهى، مرغوب، مجيد، والآن لننظر ماذا بين أنبياء بني إسرائيل من الأفكار والمعاني في الألفاظ המך حمد/מהמך محمود.

أنا لا أعلم بوجود رجل تاريخي يحمل اسم أحمد ومحمد قبل ظهور النبي الأخير الأعظم ﷺ. وبناء على ذلك فإن اختصاص النبي الأكرم بهذا الاسم الجليل (محمد) لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفة والاتفاق، ولو قال قائل إن أبوي النبي سمياه محمدًا قصدًا؛ لأنهما قرأا كتب الإنجيل، ومن هناك علما أنه سيأتي نبي باسم محمد، لكان من المحال أن يصغي لقوله أحد.

وهنا أريد أن أفتش في كتب العهد القديم العبرانية المكتوبة قبل ظهور الإسلام بألفين أو ثلاثة آلاف سنة عن المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ العربية (حمد، أحمد، محمد) وعما تشتمل عليه كلمة (إسلام) في اللغة الرسمية السماوية من المعاني الواسعة فإن كلمتي (أحمد ومحمد) أيضًا تحتويان على ذلك المقدار من المعاني.

---

(1) إن الكونت (ليو تولستوي) المفكر الروسي الشهير أحد الأخلاقيين قد كتب مؤلفًا عن الأناجيل الأربعة، والفيلسوف المومى إليه دَقّقَ في كتب الإنجيل من وجهة نظره ورد وطوى كثيرًا من أقسامها ورتب من الأربعة الأناجيل إنجيلاً واحدًا رابطًا جمل الآيات المفيدة على زعمه بعضها ببعض، وهذا الكاتب ينحي كثيرًا على الكنائس المحترمة، وقد كتب الآيات باليونانية وشرحها باللغة الروسية، ولدي ترجمة هذا الكتاب بالإنجليزية، ومما يوجب الحيرة أنه قد طوى هذه الآية التي نحن بصدد البحث فيها، زاعمًا أنها من الآيات المحرفة التافهة ولغو القول! وسبب ذلك جلي واضح، فان رجلاً مثل تولستوي ليس من الذين يتعبون فكرهم في مثل هذه الكلمات (سلامة، حسن الرضا) لماذا لم يدرج تولستوي الآية المذكورة في كتابه المسمى (مجمل الإنجيل وشرحه)؟ أليس لأنه لم يجد في (سلامة، وسلام) و(حسن الرضا) حكمة ولا نصيحة فلسفية ولا فكرًا نافعًا للبشر؟ وإنما هو يبحث عن كلمة (دوكسا) التي بمعنى (الفكرة والعقيدة والحمد) المشتقة من مادة (دوقو) [يوحنا 1: 14] لا عن (دوكسا) التي في آيتنا:

The Four Gospels. PP.24.28.29 L. Tolstoy (المؤلف)

לא תחמך لا تحمد $ουχ - επιθυμησεξ$ لا تطمع في بيت جارك [خـــروج 17: 20] إن ترجمتهم التركية تنهى عن النظر بالشهوة والحسد، وذلك غلـــط، لأن نـــص الآية: (לא תחמד אשת דעך لا تشته زوجة جارك).

(בעלו חמדתי וישבתי تحت ظله باشتياق جلست) [نشيد الإنشاد 2: 3] حمـــدة ($επιθυμητα$/ המד الحمد، الاشتهاء، الاشتياق، التعشق، التلذذ، الانشراح.

(ההר חמד אלהים الله اشتهى هـــذا الجبـــل أو الجبـــل الـــذي اشـــتهاه الله) [مزامير 68: 16].

(חמד) حمد الإعجاب، الاشتهاء، الانبساط، الانشراح، الرضا، حمد، محمد، مليح، جميل المنظر، حميد المنظر [تكوين 9: 2].

(حمد وثمن) مرغوب، $επιθυμητδς$ مشـــتهى، مرضـــي، مطلـــوب، مرغـــوب [أمثال 21: 20] والحال أنهم قد ترجموا الكلمتين (هتاوا، هاوا) من هذا الباب نفســـه بكلمة (إيبيثوميا) اليونانية التي هي أيضًا بمعنى الشهوة والاشتهاء. إذن فإن (الإصحاح السبعين) يترجم الكلمتين (حمد) و(أهوى) كلتيهما بالكلمة (إيبيثوميـــا) (הנחמדים מזהב) وباليونانية (إيبيثوميا) أحمد من الذهب أي أشهى من الذهب.

(וכל מחמדינו לחרבה) كـــل (محمـــدتنا) خربـــت. وفي اليونانيـــة ($παυτα$ $ευδοξα$ $ημωυ$ $συερεσε$) [إشعيا 64 : 11] تحب الدقة في أنهم يترجمون كلمـــة (محمديتو) التي في الآية المذكورة أعلاه بـــ (أندوكساهيمون).

إذن فمحمد מהמד $ευγοξος$ بمعـــنى **Glorieux, EIustre, Fameux** الفرنسية. أي أن علماء اليهود الذي ترجموا كلمة (محمد) العبرانية مرة بمشتهى ومـــرة بمرغوب وأخرى براض ومرضي، يعبرون عنها الآن بلفـــظ (أيندكســـوس) فالصـــفة (أيندوكسوس) المذكورة تحتوي على الصفات الجميلة كالاسم (محمد، أحمـــد، أمجـــد، ممدوح، محتشم، ذو الشوكة) والبروتستانت ترجموا هذه الصفة الجميلة بجملـــة (كـــل نفائسنا صارت خرابًا).

إذن فالكلمات (εὐγοξος أو εὐδοξια) (المحمـــدة الأحمديـــة) أو (Ευδκια) الحمدة التي ذكرها لوقا بمقابلة (أحمد، محمد) كلها الاسم المبارك الـــذي ترنمـــت بـــه الملائكة إشارة وإخبارًا بنبي آخر الزمان[1].

إن عبارة (حسن الرضا) لها كل المناسبة إلى (محمد وأحمد) فقط. لأنه إذ كان قـــد وجد في جماعة الأنبياء من ظهرت فيه هذه المعاني : طيب ومقدس حري بتوجه العالمين وجدير بحسن رضائهم وحائز على المحمدة وكل الصفات الجميلـــة بحيـــث يفيـــدهم ويرضيهم ويسرهم بكل ما يشتاقون إليه، فهو محمد ﷺ فإن كان الذين لم يؤمنـــوا ولم يطيعوه بحسن رضائهم فمن ذا الذي يرضون من بعده؟ وأما الذين يذهبون إلى الفكرة السقيمة، إلى أن المقصود من (حسن الرضا) هو أن واجب الوجود كان سيئ النيـــة، سيئ الرضا، حاملاً للبغض والعداوة والغضب على نـــوع الإنســـان إلى حـــين ولادة المسيح، وأنه بعد ولادة المسيح غير هذه الصفات إلى ضدها وتصـــالح مـــع النـــاس، فليتفكروا جيدًا أن الجنود السماوية (ملائكة الله) يعلمون أن خالقهم منـــزه وبـــريء من سوء النية والجهل وأنهم يسبحونه ويقدسونه إلى أبد الآبدين.

* * *

([1]) قد علم الله ما في أنفس أهل الكتاب لذلك كتب عليهم في [سفر الخروج 23: 2]: (ولا تجب في دعوى، مائلاً وراء الكثيرين للتحريف)، وفي [سفر الخروج 23: 6]: (لا تحرف حق فقيرك في دعواه)، وفي [إشعيا 29: 16]: (يا لتحريفكم). ولم ينه القرآنُ المسلمين عن التحريف؛ لأنه تعالى قد ضمن عصمة كتابه عن التحريف والتبديل والضياع، فقال في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر/9]. على أن ذمه تعالى أهل الكتاب بتحريف كلم كتابه عن مواضعه قد علّم المسلمين عِظَم إثمه وقبحه. قال تعالى في سورة النساء: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء/46]، وفي آية أخرى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة/41] (المترجم).

- 14 -

تنبيه مفيد جدًا للمسلمين

قد نشرت كثير من المؤلفات حول المقايسة والموازنة بين الأديان الموسوية والعيسوية والإسلامية، وترجيح بعضها على البعض من نقاط مختلفة، ويمكنني أن أقول إن المؤلفات المذكورة لم تؤثر في قارئيها تأثيرًا حسنا إلى هذا اليوم. وهذا أمر طبيعي لأنها قد كتبت بأساليب تجرح الإحساسات الدينية لثلثي أهالي تلك الأديان، بيد أن الكتابة بقصد ترجيح أحد هذه الأديان الثلاثة أمر سهل وليس من عمل أيسر وأهون على أحد ذوي المحاباة من أن يبين أن دينه حق وأن دين الآخرين باطل. ومن الجهة الأخرى ليس للمدقق اللاديني أن يجد ميدانًا واسعًا ومساعدًا لبيان المطالعة وسرد الهذيان والافتراءات كما يجده على الدين. فكما أن مؤلفات الجاحدين تسوق إلى الإلحاد وفساد الأخلاق، فإن من المشاهد أن المصنفات المكتوبة على وجه التعصب والتطرف، مضراتها أكثر من محسناتها، مثلاً البروتستانتيون قد كتبوا مئات من الكتب وألوفًا من النشرات ضد الإسلامية، ولم يتسن لهم أن يقنعوا مسلمًا واحدًا من عشرين مليونًا بصحة دينهم فينصروه[1].

([1]) سألتُ يومًا الدكتور الأميركاني وكان رئيس المبشرين في بلدة ... هل بلغ عدد المبشرين في العالم القدر الكافي؟

فقال: لم تبق جزيرة ولا محل من مجاهيل إفريقية ولا سيبريا إلا ووصلها إخواننا المبشرين.

قلت: وهل تجدون نتائج التبشير حسنة؟

قال: لا شبهة في ذلك.

قلت: وأي الأديان أكثر انقيادًا لتبشيركم واستفادةً منه؟

قال: الوثنيون عباد الأصنام في الصين والهند.

فقلت: أنا أول من يشكركم على سعيكم في إنقاذ الناس من أسر عبادة الأوثان وعلى تعريفكم إياهم بالله تعالى، ولكن كيف حالكم مع المسلمين على اختلاف أقوامهم ودرجاتهم في المدنية؟

قال: مع الأسف، لم نتمكن من إقناع المسلمين.

قلت: أتدرون ما هو السبب في عدم تمكنكم على التأثير عليهم؟

فتلعثم، ثم قال: لا أدري.

قلت: بما أنك دكتور هذه العلة يجب عليك أن تدري، فهل تريد أن أخبرك بالسبب؟

قال: ما هو السبب؟

وكذلك قد كتبت كتب على اليهودية ولم يقترن أحدها بنتيجة حسنة، فالقراء لا يكتفون بقراءة أثر الكاتب بل يريدون حالاً وبكل شوق أن يعرفوا من هو ذلك المؤلف؟ وما هي صفته؟ وفي أي دور الفنون تخرج؟ وما هو مسلكه وما هي أخلاقه؟ أي أني إذا علمت حقيقة حال رجل يبشر بالدين الذي يلتزمه ويرجحه وعلمت درجة علمه وتتبعاته ودار الفنون التي تخرج فيها، وأنه يقدم على النقد التحليلي لأسفار التوراة والإنجيل المحرفة، ووجدته واقفًا على اللغات الأصلية التي كتبت بها هذه الكتب المقدسة، فأنا أول من يقدم له الاحترام، فإن لم يكن واقفًا على العبرانية لسان التوراة ومطلعًا على البابلية والسريانية واليونانية، فبأي جسارة يتدخل في مثل هذه المسألة العويصة المشكلة؟ فإن قام لترجمة بعض الكتب الفرنسية المضرة التي فقدت جدتها (مودا) بقصد تطييب خاطر المسلمين فبالطبع هم أيضًا يدافعون عن كتابهم ودينهم، ويقومون بالدعايات ضد الإسلام والقرآن، وحينئذ تظهر الحال المؤسفة.

إن ملاحظات المنتقدين الغربيين إلى الآن في تآليفهم بشأن التوراة والإنجيل تنحصر في البحث عن التناقض وعدم الارتباط وعن وجود عدة مؤلفين للكتاب الفلاني، والخلاصة أنها تبحث عن الآيات المضرة وعن أن (يهوه) معبود اليهود كان كذا وكذا، وأن كيفية ولادة المسيح الخارقة للعادة وصعوده ليست إلا حكاية خرافية، وما تلك إلا أشياء عديمة الفائدة، فإذا لم نر واحدًا من المائة من بين مطالعي تلك الآثار المذكورة يسلك مسلك الإيمان والتوبة وإصلاح النفس فإن القسم الأعظم من هؤلاء يرفضون

قلت: لا يكون الإنسان مسلمًا إلا بعد أن يؤمن بالمسيح، وبأنه رسول من أولي العزم، أي من أكابر أنبياء الله المرسلين، وأنه أوتي كل المعجزات التي يرويها عنه النصارى وزيادة، وأنه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، وأن ينفي عنه وصمة فرية اليهود على أمه العذراء ووصمة فرية النصارى بما نسبوه إليه من الجلد وأنواع التحقير والصلب والقتل واللعنة وترك الله إياه حين الصلب ودخول الجحيم قبل قيامه. قبل المسلمُ كل ذلك بتمجيد محمد إياه وشهادته له، وأنتم تكلفون المسلم بالرجوع إلى الوراء خلاف طبيعة الإنسان. فلو أنكر محمدًا ﷺ، لم يبق إيمانه بالمسيح أيضًا، فيكون لا دينيًا وأنت ترى الوثني قد يكون يهوديًا وكلاهما قد يكونان مسيحيين، والثلاثة قد يكونون مسلمين ولا عكس؛ لأن الإنسان مخلوق ليرقى لا ليتقهقر.

قال: ليس ذلك، وإنما السبب الحقيقي هو نشأة العلماء والمؤلفين والفلاسفة في المسلمين.

قلت: كفاني اعترافك بعلم المسلمين وفضلهم، وعلى العاقل أن يتبع العالم إذا لم يكن عالمًا (المترجم).

أفكار المنتقدين ومطالعاهم بكل نفرة ولا يزالون ثابتين في اعتمـادهم علـى الكتـب المقدسة التي في أيديهم.

وأما القسم الآخر فهم أناس مغفلون مساكين مجردون من كل دين ومذهب كمقامر أضاع ثروته في بيوت القمار،لان أولئك المنتقدين لم يقصدوا تمحيص الحقيقة وإظهارها للعيان وخدمة البشر بها.

لذلك أقول إن ترجمة التآليف المذكورة وإهداءها للمسلمين مضر جدًا. إن بعـض المفكرين مثل فولتير وكارلايل وريناك يظهرون في كتبهم التي كتبوها ضـد الـدينين اليهودية والعيسوية، كأنهم ينتصرون للإسلامية، ولكنهم في الحقيقة يقصدون تخريـب الإسلامية، وإبطالها كما يفعلون بالأديان الأخرى، وكيف ينتصر للإسـلام والقـرآن هؤلاء المنتقدون وهم ينكرون كل المعجزات الواقعة من قبل لأنبياء الله بإذنـه؟[1] إن مقاصد المنتقدين الغربيين الذين يدعون أن عباد النار أو البوذيين قد أثـروا في الـدين المسيحي، عبارة عن بيان أن منبع الأديان المذكورة ومنشأها ليس هو الوحي بل أنها قد

([1]) إن من الحكم البالغة في القرآن الكريم عدم ذكر معجزات النبي ﷺ بصورة لا تقبل التأويل؛ لأن ذكرها قد يكون عثرة في سبيل بعض الناس وعلى الأخص الطبيعيين الذين توصلوا إلى تنسيق الحوادث الكونية التي شاهدوها فاستنبطوا منها نظريات ظنوها مطردة واستيقنتها أنفسهم، وكم من نظرية ظهر لهم أخيرًا فسادها. قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء/59]. هذا وإن المعجزات المعبر عنها بخارقات العادات ليست بأكثر من مثل دلالة التجاريب الفيزيكية والكيمائية على صحة بعض النواميس الطبيعية المزعومة كقولهم أن الحرارة تمدد الأجسام وتزيد في حجمها فتؤيدهم التجارب، ثم لما وجدوا أن الماء مثلاً يزداد حجمه تحت زائد أربع درجات مئوية علموا أن قاعدتهم قد تتخلف، ومع كل ذلك فإنهم لا يدركون سببًا حقيقيًا لازدياد حجم الجسم ولا لنقصانه. أما البراهين التي يستدل بها القرآن على إثبات عقائده وقواعده فهي من البراهين العقلية كقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور/35]. ولما كان كل من الفرضين المذكورين باطلاً، لم يبق إلا أن الله خلقهم وثبت المطلوب.

هذا ولتكامل العقل البشري نظرًا لحالته التي كان عليها في القرون الماضية، رجحت معجزة القرآن وبراهينه علـى بقية المعجزات (المترجم).

تأسست من خرافات وأساطير البابليين والهنود والفرس القدماء[1] وبالطبع فإن هؤلاء يحكمون على الإسلام والقرآن الكريم بعين هذه القواعد الانتقادية أيضًا. فلذلك أوصي المسلمين المؤمنين من صميم قلبي بأن يبتعدوا عن ترجمة مثل هذه المؤلفات.

ومع أني قد اجتنبت في كتابي هذا كل الانتقادات العديمة الفائدة الجارحة لشعور المسيحيين والموسويين الدينية، وأرجح بقاءهم متدينين بالموسوية والعيسوية على اللادينية، فإني أطالع وأدقق كتب الإنجيل والتوراة بأصول محاكمة جديدة لم أسبق بها لحد الآن، تاركًا معاول التخريب التي دأب عليها المنتقدون من قبلي.

إن أملي الوحيد هو الكشف عن حقيقة الموضوع والغرض الذي يجب أن ترمي إليه هذه الكتب (العهد الجديد) أي أني أشعر بأن لابد في هذه الكتب من حقيقة. وأدرك أن الحقيقة المذكورة سعادة وخير لكافة البشر. وأني قد شرعت في مطالعة الكتب المقدسة باللسان الأصلي التي كتبت بالدقة والإمعان لإظهار هذه الحقيقة بكل وضوح.

* * *

(1) قد اطلع المشتغلون بتورايخ الأديان على أن في كل دين متأخر شيئًا من الأديان المتقدمة، فزعموا أن جميع الأديان لم يُوحَ بها الله، بل هي من فلسفة مؤسسيها، بَنَوْهَا على أنقاض الأديان المتقدمة. وقام مؤلف كتاب (مصادر الإسلام) إلى بيان الغث والسمين مما وجد في الإسلامية ما يشابه أحاديث الأديان السابقة، فقابله صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) وسرد ما كتبه أولئك المؤرخون. والذي أراه من الحقيقة هو أن الله واحد، وأنه هو الذي أرسل جميع الأنبياء وقد كان وحيه إلى جميعهم واحدًا أي أن كل الأديان الإلهية دين واحد وهذا هو سبب توافق الأديان في أمور كثيرة ولا سيما فيما يتعلق بالعقائد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران/19]، و﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت/43]. ولا ننكر المشابهة في العبادات فقد قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة/183]. ولا أريد أن أقول هو صيام رمضان بعينه ولكن مطلق الصيام. ولا نلزم المشابهة في كل الأوامر والنواهي. قال تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران/50] (المترجم).

- 15 -

(Ευδοκια) مترجمة عن كلمة (רעוז) راصون العبرانية

ليثق قرائي المحترمون، بأن الاختلاف المستحكم بين العيسوية والإسلامية سينحل ويفصل فيه حالاً عند انكشاف المعنى الحقيقي الذي تحتويه هذه الكلمات بعونه تعالى، فمن الضروري أن يتتبعوا المباحث في شأن الكلمات المذكورة بالصبر والدقة.

يوجد في اللغتين العبرانية والبابلية القديمة[1] فعل ثلاثي مجرد (רעה رصه) (רעה رضا) بمعنى (رضي) العربية. وهذا الفعل مستعمل كثيرًا في كتب التوراة ونستحقق هذه الكلمات الأجنبية المهمة في النسخة المسماة (شبتو اغتبتا) وهي الكتب العبرانية المقدسة التي ترجمها سبعون عالمًا يهوديًا من اللسان الأصلي إلى اليونانية في مدة قرنين أو ثلاثة[2] قبل الميلاد في إسكندرية مصر.

ومن المعلوم لدى علماء اللغات أن الأسماء والصفات والأفعال على قسمين، أي أن كل اسم أو صفة إما مذكر و المؤنث على الإطلاق. مثلاً محمد مذكر ومحمدة مؤنث، وبالعبرانية (מהמד) محمد مذكر (מהמדה) مؤنث. وفي الأثورية (מחמדא) محمد مذكر و(מחמדתא) محمدة مؤنث وأما اللغات الغربية القديمة فلا تتبع هذه القاعدة وهي تطلق على الكلمة التي لا تذكير ولا تأنيث فيها (غير جنسي)[3] وفي اليونانية يستعملون التعبيرات (ο ευδοξος) بمقابلة محمد، للمؤنث (η ενδοξη) أيندوكسي، ولعديم الجنس (το ενδοξον) أيندوكسون فاليونانيون يطلقون لفظ (أيندوكسون) على ما يصفه العبرانيون بالصفة (מחמד) محمد. لذلك جاء التعبير في [إشعيا 64 : 11] (מחמדיתו) محمديتو و (ενδοξαημων) إيندوكساهيمون بمعنى أشياؤنا الحميدة النفيسة (أندوكسا وهو جمع أيندوكسون (מחמדיהם מחמדיה

([1]) قد كتب قسم من الكتب الأخيرة للتوراة باللغة البابلية، وترجم كل العهد القديم أيضًا إلى اللغة المذكورة وتسمى (تركوم תרגום) وإن كلمة (رضا) رضي مستعملة في السرياني الجديد وفي التركوم (المؤلف).

([2]) يروى أن ترجمة الكتاب المذكور أوجدت في عهد سلطنة الملك (بطولوميوس فيليدملبوس) (المؤلف).

([3]) neuter بمعنى غير جنسي، لا هذا ولا ذاك ولا واحد (المؤلف).

محمديهم محمديها) نفائسهم نفائسه [مراثي إرميا 1: 7 و 11] وقد ترجمت في النسخة السبعينية (επιθυμηματα) بمشتهيات (כרם חמד كرم حمد) كرم الحمد، الحديقة اللذيذة، مبتغي اللذة والشوق [إشعيا27 : 2 و 32 : 12] αγρου επιθυημτος απδ/על שדיחמד من أجل الحقول المقبولة (ובהמדות أو بحمدوت).(δοξασει دوكساسي) النفائس [دانيال: 11: 37 و38 و43] (חמדת נשים حمدة النسوان) شهوة النساء [دانيال 11: 37، 38، 43].

(מחמדות هحمدوت ثياب فاخرة) στολην την καγην جميل، فاخر، مرغوب [تكوين 27: 15].

فالمعاني التي تحتوي عليها الكلمات (حمد، حميد، محمد) في اللغة العبرانية القديمة على الوجه الآتي:

1- فعل: النظر بعين الطمع والشهوة، الغبطة، الاشتياق، الاشتهاء صيرورة الشيء مرغوبًا ولذيذًا، الرغبة والإرادة، المدح والثناء، الحمد.

2- صفة: مشتهى، شهي، معشوق، مقبول، فاخر، نفيس، ذو قيمة، حميد، جليل، ممدوح، حبيب، لطيف، لذيذ، مكيف (أو مطرب) راض، مسرور، مليح، جميل، شهير، ذو اسم (نامدار)، صديق.

3- اسم: أحمد، محمد، عشق، عال، علاء، محمدة، نفاسة، لذة، ملاحة، حسن، جمال، كيف، غلاء، انبساط، شهرة، صداقة.

ولكي لا أتعب القراء المحترمين أتيت على نماذج الألفاظ الأجنبية أعلاه على وجه الاختصار، وإن صحائف كتب التوراة مملوءة بالألفاظ المذكورة، وكل المعاني والتأويلات التي أعطيتها صحيحة حقيقية وأنا مستعد كل وقت لإثباتها واحدة فواحدة.

يقف المطالع مندهشًا عندما يحصي بحسن نية ما اشتملت عليه هاتان الكلمتان (שלם شلم חמד حمد) من المعاني الكثيرة بهذا المقدار. ويجد أن ألفاظ (حميد وأحمد ومحمد) تحتوي اسمًا وصفة، على معاني التفضيل: أحب، وألذ، وأقوم، وأعلى، وأغلى،

وأطيب، وأجمل، وأرغب، وأقبل، وأشرف، وأحشم وأشهر شيء وشخص وجنس بعد الخالق تعالى.

(עד-ירעה عاد يرصي) حتى يرضى (إلى أن يرضـــى) ευδοκηση أيـــودوكيص [أيوب 6: 14].

(ורעיתם أورصيتم) إذا ترضيهم και ευδοκησης αυοις [أيام ثاني 10 : 7].

(רעה رصي) كن راضيًا (ارض) ευδοκυσον أيودوكيصون.

(תרעוז أيودوكياص) رضا، رضوان، عناية [مزامير 5: 12].

(רעוז رصون θεληµα ثيليما) مرضاة رغبة [دانيال8 : 4].

إن البروتستانت ترجموا (أيودوكيا) רעוז טוב راصون طوب (رضا طيب) لا نظن أن أحدًا يجترئ على إنكار القرابة والاقتران المعنوي بين الكلمتين (رضـــا، رضـــوان) المذكورتين أعلاه الواردتين في كتب التوراة والاسمين (حمد، محمد) لأننـــا أوضـــحنا أن كلمة حمد العبرانية تشتمل على معان مثل (رضا، رغبة، شهوة، عشق، طلـــب، إرادة، شوق).

على أن في العبرانية كلمة أخرى (חפץ حفص) وفي العربية حفص بمعـــنى (ميـــل، اشتهاء، رغبة، طلب، اشتياق) وبما أن كلمة راصون التي ترجمت بها الأفعال والأسمـــاء (حمد ومحمد) تستعمل أغلبيًّا في ترجمة وتفسير حفص ثبت أن مدلول (حمـــد ومحمـــد) أوسع وأشمل.

وهنا أكرر قولي إن (أيودكيا) لا يكون عبارة عن (حسن الرضا) الخيـــالي المبـــهم وعديم المعنى بـــل إنهـــا بمعـــنى **Bienveìllance, Consentement bon plaisir** الفرنسية بمعنى (الرضا السرور وإرادة الخير)(1) مثلاً: أيودكيا في اليونانيـــة (ευδοκια α θεου إن شاء الله بتوفيق الله ، بعناية الباري) وكل ما يرغـــب فيـــه الإنسان من مال وروح ونفس وكل ما كان لديه محبوبًا ولذيذًا ومشهورًا ومحترمًا فهو موجود في معنى الكلمتين أحمد ومحمد.

---

(1) Ελληνο - Γαλλικον Λεξικον.

الباب الرابع

الإيضاح القطعي للمعنى الحقيقي للإنجيل

- 16 -

وظيفة خاصة تنحصر في إصلاح الأمة الموسوية وإرشادها ونفخ الروح الجديدة وإعطاء اللدنيات لدين موسى

يجب أن تقرأ وتطالع الكتب السماوية مهما كانت مضطربة ومحرفة بكل عناية واحترام؛ لأن كلام الله وآياته الجليلة لا تزال باقية بين هذه الكتابات المحرفة والمشوبة بالخرافات، في إمكانكم أن تطيلوا اللسان على المحرفين ولكن ليس لنا أن نستهزئ بالكتاب الذي لا ذنب له البتة ولهذا السبب أراني مضطرًا إلى تكرار التنبيه على ألا يشجع أحد على ترجمة التآليف المشهورة بالفرنسية والإنجليزية ضد الإنجيل والتوراة، وأن يجتنب المسلمون هذه النشرات الملوثة بالهذيان؛ لأن كل ما نشر من المصنفات ضد الإنجيل والتوراة لحد الآن لم يفد غير إيراث الضرر والخلل للدين والإيمان، ونحن عندما نطالع الكتب الحاملة اسم الإنجيل والتوراة الشريفين نطالعهما بكل احترام كسائر المسلمين المستقيمين طالبي الحقيقة، مفكرين بأن في هذه الكتب حقيقة لا تزال مكتومة مستورة فلنجتهد بقراءتها آملين أن نكشف عن تلك الحقيقة على كل حال.

إن المهمة الخاصة التي أرسل الله بها عيسى عليه السلام هي عبارة عن إصلاح بني إسرائيل، وشرح الشريعة الموسوية وبث الروح الجديدة فيها.

وإن المواعظ الأربعة المسماة بالأناجيل تقول تكرارًا إن المسيح مرسل ومأمور بإرشاد اليهود خاصة، وبإيداع شريعتهم الحياة والروح الجديدة، وبناء على ذلك نضطر إلى الاعتقاد بأن كل ما وجدناه فيها من البيانات المخالفة لذلك فهو محرف قد ألحق بالكتاب أخيرًا؛ لأنه لا يتصور أن نبيًّا عظيمًا كالمسيح عليه السلام يتكلم بكلام يكذب بعضه بعضًا فإن من يقول لم أرسل إلا لبني إسرائيل فقط. لا يقول: أنا نور العالم، أو

يقول: اذهبوا وتلمذوا العالم أجمع. فالعبارات الأولى التي في الطابق التحتاني هي الحرية بالاعتماد عليها، وأما المخالفة فهي إلحاقية يجب طيها.

* * *

- 17 -

التكامل الديني نظير التكامل القومي[1] تماماً

ما وصلت أمة من الأمم إلى المدنية والتكامل التام عقيب انتباهها طفرة، بل لابد للوصول إلى المدنية التامة من اجتياز ثلاثة انقلابات. لنتصور أمة بدوية أو تحت نير غيرها، كيف يمكن أن تصل إلى المدنية أمة مبتلاة بالجهل والفقر والمظالم؟ ينبغي أولاً إيقاظ هذه الأمة وسوقها إلى التربية القومية تدريجًا من حيث لا تشعر، وعندما يتنبه شعورها القومي وتظهر فيها فكرة وحدة الوطن تبتدئ باجتياز المرحلة الثانية فينفتح أمامها باب الحكم الذاتي فتسعى من طريق الاستقلال الإداري إلى إعداد الأسباب الموصلة إلى الاستقلال التام، وبعد أن يحضر ويتهيأ لها كل شيء، تنهض لكسر نير الأجنبي ولإعلان الاستقلال المطلق، وحينئذ تدخل باب المدنية التامة لتنال السعادة والمدنية، مثال ذلك أمة البلغار، كانت أولاً في دور الأسر ثم انتقلت إلى الحكم الذاتي الإداري وأخيرًا نالت الحرية والاستقلال التام.

وإذا أمعنا النظر في كل دين من الأديان نراه يصادف ثلاثة أدوار من الانقلابات أيضًا لكي يتكامل، ولا يمكن أن يتكامل أي دين في أول نشأته، والأديان المؤسسة من لدن بوذا وكونفوشيوس محكوم عليها بانقلاب جديد أخير.

إن ديني بوذا وكونفوشيوس نشأا من دين براهمن الهند القديم، ولم يصلا حتى الآن إلى آخر خطوة من التكامل، والعيسوية دين منقلب عن الموسوية، أي أن الدين نفسه انتقل إلى الدور الثاني بواسطة الانقلاب. وكذلك الزردشتية والبوذية دينان قد انقلبا

---

(1) استعمل المؤلف كلمة (ملة) عوضًا عن قوم أو أمة، ولكني استعملت كلمة ملة لأبناء الدين الواحد، وكلمة قوم أو أمة لأبناء النسل الواحد (المترجم).

من الأديان القديمة التي كانت في حالة الطفولة والصبا، فكل هذه الأديان وفي ضمنها العيسوية مجبورة أو لابد لها من انقلاب ثالث قطعي. وإن صحائف القرآن تثبت أن الإسلام ليس بدين جديد، بل هو دين متمم ومكمل للعيسوية والموسوية على الأخص، وحائز على صفة الحياة إلى يوم القيامة.

ومن أهم ما يستلفت نظري في استقراء مباحثي الدينية فكرة المحافظة والارتجاع، كما هو الحال في الحكومات، أي كما أن هناك قوة تمانع كل انقلاب، وأن المرتجعين في كل انقلاب ديني يخاصمون القائمين بالانقلاب ويشهرون الحرب عليهم كذلك جاء المسيح عليه السلام ولم تقبله اليهود المرتجعة، وجاء محمد ﷺ ولم يقبله المسيحيون المرتجعون، ولكن من القوانين الطبيعية أن يكون المرتجعون دائمًا مغلوبين[1].

ليس بين علماء اليهود من يستطيع أن يدعي بأن كتاب العهد القديم كتاب كاف لتشكيل دين جامع لكل الأمم. إن هذا الادعاء مما يستحقر عزة أنفس الأقوام والأمم الأخرى، نحن نقدس التوراة لأنه كتاب من الله يحتوي على بيانات وإلهامات خاصة لهداية وإرشاد قوم خاص. وكذلك نطالع كتب الدين للصينيين والهنود والفارسيين بكل احترام، ويمكننا أن نشاهد في جميعها بعض الحقائق والأوامر والنواهي الإلهية؛ لأن الله لم يترك أمة بغير إمام أو حيكم أو نبي، وقد أرسل من قبل الله إلى كل أمة مرشدون ومعلمون وأنبياء[2].

([1]) إن هذا بحث عظيم، لكن بيانه ضعيف، ولذلك يُستنكر ظاهره، وخلاصته أن دين الله تعالى على ألسنة رسله واحد وقد ارتقى بالتدريج كما ارتقت الأمم في حضارتها بالتدريج، فكان النبي يبعث إلى قومه خاصة بما يناسب درجة عقولهم واستعدادهم، ثم يبعث بعده نبي آخر بما هو أرقى مما جاء به من قبله، حتى إذا ما استعد البشر لوحدة الدين العامة الكاملة بعث الله محمدًا خاتم النبيين بإكمال دينه وأنزل عليه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/3]. وقد وضح هذا المعنى الأستاذ الإمام في رسالة التوحيد فيراجع فيها (المصحح).

([2]) لا يستغرب المسلمون هذا الكلام، فقد جاء في سورة فاطر قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر/24]، وفي سورة النحل قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ

ولهذا فلو اجتمع اليهود والبوذيون والكونفشيوسيون والمجوس بمحل واحد، فإنهم لا يستطيعون تبادل الأفكار عن وحدة الدين، ولا يمكن أن يوجد الاتحاد بين هذه الأديان قطعًا، ولا يمكن أن يكون كتاب أحدهم كتابًا عامًّا للجميع أي أن يكون الكتاب هو الكتاب الوحيد للأديان الأربعة، ولابد من كتاب آخر لأجل إيصالهم إلى تربية أخلاقية ودينية هو أكثر تدقيقًا وأكثر اتساعًا، فأي دين غير دين الإسلام له مثل ذلك الكتاب بشكل كتاب منـزل من الله؟ يجب الإنصاف.

إن المسيح عليه السلام لم يترك ولا سطرًا واحدًا بهيئة كتاب، وإذا ادعوا ذلك فليخرجوه بأي لسان كتب؟ وماذا كتب؟ وإلى من فوض ما كتب؟ حتى ولو وضعنا كتب العهد الجديد في صف الكتب المقدسة، لا يمكن أن يكون مجموع الكتب المذكورة كتاب الله الكافي لتشكيل دين عام، هذه الكتب تشتمل على عقائد وتعاليم تدمي قلب اليهودي وتؤذي إحساساته الدينية، لم تكن الكتب الإنجيلية في وقت ما مظهر التوجه والرغبة تجاه الأديان الموجودة في آسية. فالفرس بقوا دائمًا متبعين لكتاب زردشت المسمى (زنده اويسته) ونظروا إلى العيسوية بنظر النفرة. وأهل الصين والهند لا يرون العهد الجديد كافيًا كالعهد القديم، إنما ظهرت الكتب المذكورة (كتب العهد الجديد) مناسبة للأقوام الغربية المتشبعة أفكارهم بفلسفة اليونان القديمة، ولم تكن إلا أسفارًا وجدت باللغة اليونانية وصبغت بالفلسفة النئويلطونية.

فها نحن أولاء نرى أنه لا يمكن ولا يتصور دين عام جامع للبشر غير الإسلام، ولا كتاب باسم الله غير القرآن الكريم، إن الكتب الإنجيلية – مع الأسف – قد استعاضت عن أن تسوق البشر إلى الرقي، إلى الانقلاب الديني، إلى التكامل في دين موسى، بأن سارت بهم القهقرى فرجعوا إلى الوراء، فبعد أن مات الإسكندر والقياصرة الرومانيون واليونانيون القدماء الكفار (الوثنيون) إذا بإله اللاتين واليونان الكاثوليك والأرثوذكس

أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النحل/63] وفيها أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ الآية [النحل/36] (المترجم).

الجديد قد تجسد في هيئة طفل يهودي وأكل وشرب وتاجر وبعد أن تعلم صنعة التجارة صلب وقتل من قبل اليهود، ثم صار يؤكل ويشرب كل يوم في جميع الكنائس والمعابد التي تبلغ نصف مليون؟ فكيف تفتقر الموسوية وسائر الأديان الشرقية -التي تشعر بحاجتها إلى التكامل والارتقاء الديني- إلى مثل العيسوية المضطرب دينها إلى هذه الدرجة؟

تصرف جماعات المبشرين منذ أربعمائة سنة في خزائن من النقود تحت مؤازرة كل حكومات أوربا (وأميركا) ولكنهم لم يستطيعوا أن يزحزحوا أفكار الأقوام الشرقية عن مكانتها الدينية. زدْ على ذلك أن الإحساسات الدينية في أوربا وأمريكا آخذة في التفسخ وفساد الأخلاق يتكاثر، وبينما الموحدون من جهة واللادينيون من جهة أخرى يهجمون على المسيحية نرى المبشرين منهمكين في نشر الكتب المقدسة ومواظبين على الوعظ بها[1].

([1]) أوصي بمطالعة كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) ليطلع المسلم على ما يكيد له المبشرون بصورة مناقضة لما أوصى بها المسيح عليه السلام فيما يخص كيفية التبشير التي سيبينها معن هذا الكتاب... لم يأت المبشرون إلى الشرق من أنفسهم حبًا في هداية أهله إلى السعادة، بل أرسلتهم السياسة الغربية ليعملوا لمصلحتها، وكانت دعوقم في أول أمرهم دعوة بسيطة إلى النصرانية، ثم ابتدءوا بالجدل وإيراد الحجج والبراهين. ولما لقوا من المسلمين البراهين القاطعة على تفنيد مدعياقم ودحض شبهاقم، اغتاظوا وقوروا فألفوا كتبًا ورسائل تحتوي على الطعن والشتم في دين المسلمين ونبيهم. ولما كان المسيح عليه السلام نبيًا محترمًا عند المسلمين، لم يتمكنوا من مقابلتهم بالمثل، بل عمدوا إلى ترجمة بعض مؤلفات الغربيين اللادينيين ككتاب (أضرار تعاليم التوراة والإنجيل) ولا يخفى ما في ذلك من الأضرار حتى على دين المسلمين كما نبه عليه مؤلف هذا الكتاب مكررًا. ثم عاد المبشرون إلى نشر مؤلفات ينسبونها إلى أفراد من المسلمين ادعوا أنهم تنصّروا، وهو افتراء محض. ثم ترقوا في هذا الخداع إلى اقام بعض كبار العلماء من المسلمين بالتنصر أو بنصف التنصر كما ذكروا في كتاب (الغواص واللآلي في ترجمة الغزالي) لزويمر. ولما لم يجدهم نفعًا كل هذه الوسائل والدسائس، تراهم الآن يَقْنَعُون بالسعي لتجريد المسلمين من عقائدهم وأخلاقهم ومن أي ديانة؛ ليجعلوهم ملاحدةً إباحيين، وأراهم في ذلك ناجحين بعض النجاح، وفي ذلك عين الغاية التي تتوخاها السياسة الغربية، وهي تفكيك عُرَى الجامعة الإسلامية (المترجم).

- 18 -

نص المواعظ (الأناجيل) الأربعة الصريحة
في اتباع المسيح ﷺ للتوراة وأنبيائها
وعدم نقض شيء منها ولا من روايات وتفاسير العبرانيين لها

روى متى أن حضرة المسيح ﷺ قد بين بصورة أكيدة وصريحة أن المحافظة على شريعة موسى ﷺ وطاعتها والعمل بموجبها فرض قطعي، قال: (لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكمل الكل) [متى 5: 17-18].

ليس لدي وثيقة تستطيع أن تبين ما إذا كانت هذه الآية صدرت من فم المسيح ﷺ حرفيًا أم لا، ولكن هناك إفراط في ترجمة الآية المذكورة إلى اللغة التركية، وما ذلك إلا لأن البروتستانت -بسبب عدم وقوفهم على العلوم الدينية- يتصدون لمثل هذه التفاسير فكل حرف في شريعة موسى وكل نقطة موضوعة فوق أحد حروف كتاب الشريعة أو تحته أكبر قيمة من السماوات فمثلاً كان موسى ﷺ قد خصص يوم السبت[1] يومًا مباركًا، يوم عطلة وراحة للموسويين، ثم أبطل هذا ونسخ من قبل كنيسة المسيح وأقيم مكانه يوم الأحد من غير أن تزول السماوات أو تنمحي كرة الأرض وأين إلغاء إحدى الوصايا العشر من زوال نقطة من فوق أحد الحروف؟ وهاك نص الوصية الرابعة منها:

(זכור את השבת לקדשו اذكر يوم السبت) [خروج 20 : 8].

فكيف يمكن التوفيق بين إفادات المسيح القطعية وبين إلغاء يوم السبت الذي هو المادة الرابعة من أحكام الشريعة؟

---

(1) قد ترجموا السبت باللغة التركية بيوم الراحة، ولكنه في جميع لغات الأقوام المسيحية Sabbath السبت. فالبروتستانت هنا أيضًا أرادوا أن يدوروا دولابًا؛ لأنه ماذا يفهم مسلم من كلمة يوم الراحة؟ (المؤلف).

كل كتب العهد القديم تسمي هذا يوم اليهود العزيز، وتخبر أنه سيدوم يومًا مقدسًا إلى آخر الزمان، والمسيح ﷺ بالذات التزم يوم السبت وقدسه، ولكن الكنيسة جعلت يوم الأحد عوضًا عن السبت، فماذا نقول للكنيسة التي خالفت المسيح؟[1]

ولم تكتف الكنيسة بإلغاء يوم السبت بل أبطلت الختان أيضًا[2] مع علمها بأن المسيح قال بصراحة إنه لم يأت لإبطال حرف واحد من شريعة موسى، وهو بالطبع ليس له خبر عن (التثليث) وعن (الأسرار السبعة) التي لوعت اليهودية.

لم يكتف المسيح ببيان محافظته على شريعة موسى عليهما السلام فقط بل قال: حتى القوانين والأوامر الموضوعة من قبل العلماء والفقهاء من اليهود واجبة الطاعة ومنه قوله في [متى 8 : 4]: (فقال له يسوع انظر أن لا تقول لأحد بل اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم).

في هذه الدرجة كانت محبته لشريعة موسى وارتباطه بها وتعصبه لها ﷺ حتى أن متى أخبر عن المسيح بأنه كان يسمي اليهود (أبناء) ويسمي الأقوام الأخرى (كلابا) [متى 15: 21-28].

([1]) كنت أحادث أحد المبشرين السبتيين في شأن الثالوث وهو يَجُرُّ الكلام إلى مسألة الصلب، فقلت: أظنك تزعم أنك في مسألة الصلب أقوى منك في مسألة الثالوث؟ فلنبحث في مسألة الصلب كما تريد.

قال: كيف ينكر المسلمون وقوع الصلب، وهذا عالم المسيحية العظيم مُطْبِق على وقوعه؟

قلت: كم مضى على مذهب السبتيين؟

قال: نحو أربعين عامًا.

قلت: فإن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ 1900 سنة هو الذي أطبق على الصلب (المترجم).

([2]) لا يخفى أن الختان عهد الله الذي عاهد إبراهيم عليه في بنيه كما جاء في [تكوين 17 : 11] ثم فرض على بني إسرائيل [لاويين 12 : 3] وكذلك كان المسيح يقول: (أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى بل من الآباء) [يوحنا 7 :22]. ولعل المسيحيين القدماء فهموا من إنجيل يوحنا أن الختان ليس بفرض ولم تعطه شريعة موسى بل الآباء أي الكهنة ابتدعوه، لكن آية يوحنا تُفيد التأكيد على فرضية الختان فكأنها تقول: (أعطاكم موسى الختان وليس موسى أول من فرض عليكم الختان، بل هو عهد الله عليكم منذ زمن الآباء وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام). على أن عبارة يوحنا لا تخلو من ركاكة في التعبير، ولعلها حُرِّفت عمدًا أو سهوًا عند الترجمة عن اللغة السريانية الأصلية لغة المسيح ﷺ (المترجم).

وبينما كان المسيح يتجول يومًا مع تلاميذه الاثني عشر في صور وصيدا من أراضي فينيقية القديمة[1] إذ بامرأة كنعانية تركض وراءه قائلة: (ارحمني يا سيدي[2] ابـــن داود بنتي تتعذب كثيرًا من الجن). أما المسيح فلم يجبها بكلمة، والمرأة مداومة على الصياح والعويل، وفي هذه الأثناء وبناء على مراجعة التلاميذ قال المســـيح: (لم أرســـل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) أخيرًا اقتربت تلك المسكينة وقبلت قدميه وقالت سيدي أغثني فأجابها قائلاً: (ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب) ولكن المـــرأة أجابت قائلة: (نعم يا سيدي؛ لأن الكلاب أيضًا تأكل من الفتات الساقطة من ســـفرة أصحابها) وعلى هذا قال لها المسيح: (يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريـــدين) فشفيت ابنتها من تلك الساعة.

لا أعلم هل قال المسيح عليه السلام ذلك أم لم يقله، ولكني أعلم جيدًا أن أكثر من تضرر من جراء تأثير ذلك الكلام هو أمته عالم النصرانية، ومن جراء ذلك التحقير والتعـــبير بالكلاب، نرى النصارى يجتهدون بكل ما استطاعوا في محو كل من لم يكن من دينهم. والصحيح أن هذا الكلام لا يليق بدكتور أو معلم أو مدرس فضلاً عن أن لا يليق بنبي أو مسيح.

ومع كل ما هنالك فالآن ظهر جليًا أن عيسى المسيح عليه السلام قد أرسل إلى قوم بـــني إسرائيل فقط[3] ولا شك في أن المسيح الذي لم يخلص مجنونة كنعانية إلا بعـــد الجهـــد الطويل، لا يمكنه أن يسعى لتخليص العالم، فإن الصاحب الذي لا يريد أن يعطي جزءًا من فتات سفرته لكلابه، لا يفكر أبدًا بالذهاب إلى القتل والصلب في ســـبيل كلـــب ويفدي الكلاب بنفسه.

([1]) פאוניקא يونيقي أصبح من فينيقية وفينيكه (المؤلف).

([2]) قالت المرأة الفينيقية: רבוני ربوني أو רבולי ربولي؛ بمعنى: (أفندم أغام) سيدي والاروام بقالونا وطباخونـــا يقول بعضهم لبعض Κυριε . أما البروتستانت فلم يترجموها بسيد بل: (رب) (المؤلف).

([3]) ومن أدلة التوراة على أن المسيح أُرسل خصيصًا إلى بني إسرائيل: (ولأورشليم جُعلتُ مبشّرًا) [إشعيا 42، 27]، وكذلك: (على جبلٍ عالٍ اصعدي يا مبشّرة صُهْيون، ارفعي صوتكِ بقوةٍ يا مبشّـــرة أورشـــليم) [إشـــعيا 40. 9] (المترجم).

إن كون المسيح لم يرسل إلى غير الأمم الموسوية حقيقة تثبتها الطبقات القديمة من المواعظ الأربعة، فلا هو وعظ الأمم وأرشدهم ولا تلاميذه ، حتى أنه فى تلاميذه الذين أرسلهم ليبشروا باقتراب ملكوت الله أو ملكوت السماوات هكذا: (هؤلاء الاثني عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم[1] لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل بالحري اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون عظوا (اكرزوا) قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات) [متى 10: 5-7] فمن هنا تبين جليًّا أن الآيات الأخرى المضادة لهذه الآيات إما محرفة أو زائفة.

فإذا كان المسيح ينهى تلاميذه من الذهاب حتى إلى جارهم أمة السامريين الممتزج دمهم بدم اليهود، والذين يصدقون أسفار توراة موسى، فكيف وبأي جسارة يسوغ لمتى مع وجود هذه الآيات والنصوص أن يقول في إنجيله عن لسان المسيح: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) [متى 28 : 19].

* * *

- 19 -

إصلاح قوم بني إسرائيل

أنا لا أقدر أن أكتب عن الموسويين غير الاحترام وما تقتضيه الرقة والمجاملة رغم انتسابي بالجنس إلى أمة الأثوريين الكلدانيين الذين أساءوا جدًّا إلى اليهود، وكيفية إصلاح بني إسرائيل المتعلق ببحثنا مرتبط بالأناجيل الأربعة. أي أن الأناجيل الأربعة تعلمنا كيف كانت أخلاق اليهود الذين كانوا في زمن المسيح عليه السلام، وكم كانت أحوالهم الروحية قد فسدت وتلوثت بالسيئات، فنظرًا إلى الأناجيل الأربعة كان اليهود في زمن المسيح يريدون أن يتمسكوا بأوامر الكتاب الذي في أيديهم في جميع المعاملات الشرعية بصورة حرفية، ليس بحكمة الشريعة وروحها، بل بمادتها وحروفها وبما أن يوم السبت يوم مقدس حسب الحكم الرابع من الوصايا العشر، كانوا يأمرون بتعطيل كافة

([1]) كان اليهود يسمون كل من سواهم من سائر الأمم: גוים هكويم (المؤلف).

الأشغال والأعمال البدنية. ولم يكن اليهودي مأذونًا بإجراء أي عمل عــدا العبــادة والاستراحة، وليس هذا قاصرًا على اليهودي وحده بل هو مجبور على إراحــة عبــده وخادمه وجاريته وحماره وكل حيواناته الداجنة في يوم السبت: (كل من يعمــل فيــه عملاً يقتل ، لا تشعلوا نارًا في جميع مساكنكم يوم السبت) [خروج 35: 2، 3].

وكان جزاء كل من يعمل بما نهى الله عنه الموت والإعدام، لاشك أن شريعة موسى الشديدة كانت معتبرة ونافعة لقوم بني إسرائيل البدويين الذين نجوا حديثًا مــن نــير استعباد المصريين، وإن رعاية القانون تحصل أما من الخوف أو من خلق الحياء من العار، أما الأمة المتمدينة فكما أنها تقيم العدالة بروح حكم القانون، فكذلك تلطف وتعــدل بعض مواد القانون نظرًا لمقتضيات الحال والزمان. وأما تطبيــق الشــريعة وإجــراء أحكامها حرفيًا فليس بضروري إلا في الأقوام الوحشية أو التي في حال البداوة فقــط، ولابد من تربية ملية تسوق أخلاق العامة إلى الصلاح والمدنيــة والرقــي والســعادة الحقيقية كما يجب التأديب والعقاب على كل فعل وحركة مخالفة لآداب معاشرة القوم وأخلاقهم السائدة، على أن تكون مرتبطة بالعدالة وبقوانين معقولة ومشروعة ونافعة: (ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطبًا يوم السبت فقدمه الــذين وجدوه يحتطب حطبًا إلى موسى وهارون وكل الجماعة فوضعوه في المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الرب (يهوه) لموسى: قتلاً يقتل الرجل، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجه كل الجماعة خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر يهــوه موسى) [عدد 15: 32-36].

نعم يمكنني أن أتصور رجم فاعل الذنب البسيط عديم الأهمية من قبل أمــة عــدد أفرادها لا يبلغ المليونين أو الثلاثة بهذه الصورة المدهشة في الصحراء، ولكن لا أتصور إمكان إجرائه في (بارك هايد) لندن، أو في (شانــزه ليزه) باريس. فالشريعة المذكورة استمرت على الحكم بكل دهشتها مدة تزيد على الثلاثة آلاف سنة، وأصــيب بنــو إسرائيل بالانحطاط والأسر، وعلماء اليهود وفقهاؤهم وضعوا كتبًا كثيرة تحتوي علــى قوانين مغلقة وتعاليم عديمة الفائدة، تركت الملة في حالة الحيرة والاضمحلال، وبينمــا

كانت هذه الأمة البئيسة تسحق من قبل ليفيونات[1] القيصر الجديد مادة، ومن قبل زمرة العلماء المرائين عديمي الأخلاق معنًا، ظهر حضرة المسيح عليه الصلاة السلام ودعا الملة المذكورة إلى الإصلاح.

أول من خاصم النبي الكريم هم العلماء والخواص -دون العوام- أولئك العلماء الذين اعتادوا على امتصاص دماء الأمة. مثال ذلك أنهم لما قبضوا على زانية جاءوا بها إلى المسيح وسألوه: (وجدنا هذه المرأة في فعل الزنا، ومعلوم أن موسى أمرنا برجم أمثالها، فالآن ماذا تقول أنت؟) فأجابهم قائلاً لهم: (من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر) [يوحنا 8 : 7].

وبما أنهم لم يكونوا سالمين من الذنب تسللوا من عنده واحدًا بعد واحد، فقال المسيح للخاطئة المسكينة الباقية وحدها: (اذهبي ولا تخطئي أيضًا) [يوحنا 8: 11] وهذه خطة نبي مأمور بعمل الإصلاح.

(موسى أمركم في شريعته قائلاً لا تزن وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة بنظر الشهوة يكون قد زنى بها في قلبه. موسى قال لا تقتل وأما أنا فأقول لكم إن كل من يبغض ويعادي أحدًا يكون قد قتله) [متى 5: 21-26].

فالمسيح عليه السلام فسر روح الشريعة وشرح حكمها بإفاداته المجددة، فإن منبع فعل الزنى هو الشهوة وإن منشأ القتل هو البغض، وكذلك فإن نهي الشريعة عن أن يعمل عمل في يوم السبت لم يكن لمنع الاشتغال بالأمور الحسنة وفعل الخير في اليوم المذكور. وإن الشريعة التي تجزم الأمر بغسل الأيدي والأواني وعلى الأخص بالطهارة لا تأمر بترك القلب والفم ملوثين بالرجس من الأفكار والأقوال، وإن الإنسان يمكنه أن يتطهر بحفنة من الماء، ولكنه لا يمكنه أن يطهر قلبه بكل مياه البحر المحيط الكبير.

قام مسيح فقير تارك للدنيا يعظ بقلب مشتعل بحب الإنسانية، ملتهب بالعشق الإلهي، يوصي شديدًا بالتزام أسس الدين كالصدق والرحمة والعفو والحب الإلهي تجاه

---

(1) Legiones, legio كان اسمًا لجنود روما وطوابيرهم، وتطلق عليها اللغات السامية: (ليغيون، ليجيون) (المؤلف).

العلماء ذوي الطمع اللانهائي في حطام الدنيا، أكثر الناس التزامًا لرسوم الذبائح والأعشار، مرتكبي أنواع الرياء والتزوير لأجل الحصول على مديح العامة، ظهر يسوع ناصري لا يعير أهمية لمثل مسائل نقل الميت وتغيير القبور، يعلم بأن كرامة الإنسان ليست بالجسد الذي هو عبارة العظم واللحم، بل هي قائمة بالروح الساكنة في ذلك الجسد، تجاه الكهنة الجادين في تعظيم الأموات وتزيين القبور، الماهرين في فنون خداع الأحياء وتسليبهم.

الفريسيون أولئك الذين إذا وقع خروفهم في البئر يركضون بأربع أرجل لأجل إخراجه يوم السبت، يؤاخذون المسيح ﷺ، ويتهمونه بعدم التزام يوم السبت لأنه يبرئ فيه المرضى والمجانين.

الحاخامون أولئك البطالون، ذوو الجبب الطويلة، عابسو الوجوه أثناء الصوم، آكلوا أموال الأرامل واليتامى ومحرقو أكبادهم، يفترون على تلاميذ المسيح بعدم الصوم، أولئك المنافقون الذين يجولون البر والبحر ليتلقفوا مهتديًا تائبًا بقصد أن يسلبوه حتى ثيابه، أصروا على البغضاء للمسيح المتواضع الحليم الذي يدعو الأهلين المساكين أشباه الغنم الضالة إلى التوبة وإصلاح النفس، وهكذا رموا المسيح ﷺ بالكفر واللؤم، حينما كان يلقي فكرة التجديد أو الولادة من جديد، ويعلم طريق الحقيقة ويبشر به، وبعدما حارب ابن مريم عليهما السلام أولئك الرجعيين المرائين في الدين خادمي الأجسام، أنذرهم بأن أهالي سدوم وعامورا سيكونون أحسن حالاً منهم يوم الجزاء، ثم إنه أخيرًا غاب ولم يروه بعدُ من غير أن يصلح القوم المذكورون.

فإذا كانت المواعظ الأربعة تبين هذه الحقائق بكل تفصيل وتمثيل، فكيف وبأي صلاحية يمكن الادعاء بأن المسيح نبي عام؟ والتلاميذ الذين لبثوا ثلاث سنين بصفة مرداء المسيح، الذين بقوا إلى آخر دقيقة أجهل مما كانوا قبلاً، بأي علم وبأي قوة يتمكنون من إقناع الأمم بقولهم: كان رجل يسمى يسوع قتل على الصليب وكان هو الله؟ أستغفر الله ثم أستغفر الله[1].

([1]) في [يوحنا 5 16]: (أما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني)

- 20 -

كان الإنجيل عبارة عن التبشير بملكوت الله

إذا سألتم راهبًا مسيحيًا ما هو الملكوت؟ يجيبكم فورًا هو الكنيسة، ولكن لم يكن قد تشكل في زمن المسيح مثل هذه الكنيسة ومثل هذه الملة والجماعة، فالمسيح وتلاميذه كانوا يدخلون (السيناغوغا) المسمى (كنشت كنيس) كسائر اليهود ويصلون ويتعبدون، ولم يخطر على باله أحداث مذهب جديد أو جماعة جديدة وبناء على ذلك لم يتشكل ملكوت الله في زمن عيسى عليه السلام.

علم المسيح تلاميذه صلاة بشكل الفاتحة وهي - بالرغم من وقوع تحريف أو تحريفين فيها - صلاة بليغة مهمة جدًا من جهتين، أما أولاً فلأنها تبين عقيدة التوحيد بكل احترام وبكمال العزة، وأما ثانيًا فلأنها تحتوي على عبارة (ليأت ملكوتك) خطابًا لله تعالى؛ لأن كل صلاة حقيقية تحتوي على مادتين: الأولى أداء فرض التحية والكلمات الناطقة بالتعظيم والعبودية للخالق والسجود له، والأخرى عبارة عن طلبنا الإسعاف ورجائنا قضاء الحاجة من الله تعالى. فالكنيسة المتخشمة الصارخة بضع مرات في كل يوم (ليأت ملكوتك) منذ أكثر من ألف وتسعمائة سنة لم تكن غير الجماعة العيسوية، يا للتضاد، يا للعناد والعصيان! لقد مضى تسعة عشر عصرًا، أإلى الآن ننتظر قائلين: (ليأت ملكوتك).

فإن كان ملكوتك الله هو الكنيسة، فما بال الكنيسة تكرر بفمها ولسانها كل يوم هذا الدعاء وتطلب من الله أن يبعث لهم ملكوته؟ الحق أقول يجب عليهم الإنصاف والحياء. فما دام الله لم يستجب لهم، ولا أسعف لهم هذا الطلب حتى الآن، أما آن لهم أن يكفوا عن هذه المراجعة المستمرة في هذا الشأن؟ القطط العديمة التجربة، عندما ترى بائع الكبود، ترقص بين يديه وحواليه وتصيح وتطلب بلسانها لقمة من ذلك الإنسان.

وفي [يوحنا 16: 10]: (لأني ذاهب إلى أبي ولا تروني أيضًا).

وفي [لوقا 13: 35]: (الحق أقول لكم: إنكم لا تروني، حتى يأتيَ وقتٌ تقولون فيه: مبارك الآتي باسم الرب) (المترجم).

أما القطط الأخرى ذوات التجربة فإنها تجلس أمام الباب وتنظر عن بعد ولا تتحرك من مكانها؛ لأنها قد علمت بالتجربة أن بائع الكبود لا يعطي قطعة من الكبد ما لم يأخذ قطعة من النقود، وأنتم منذ تسعة عشر عصرًا تنادون: (ليأت ملكوتك) ومع أنكم تعلمون أنه لم يأت ولن يأتي، لا تزالون تكررون: (ليأت ليأت)! هل من الممكن عدم التعجب والحيرة؟ إذا كان ملكوت الله هو الكنيسة كما تزعمون، فقد جاءت الكنيسة واستولت على الدنيا، فأي ملكوت إذن تطلبون؟ أم أفلا تخافون – إذا ما جاء ملكوت الله – أن يلحق المقامات الروحانية مع البطاركة والبابا بالعدم والزوال؟ أم ماذا يكون حال الملوك والعساكر العيسوية القديرة حينئذ؟ أفلا ترون إذا ما جاء ملكوت الله، أنه لا يختم ويقضي على كنائس المذاهب المختلفة التي يتجاوز عددها الخمسمائة؟

المسيح عليه السلام لخص صلاة اليهود الزبورية وكل صلواتهم الطويلة بهذا الدعاء (أبانا الذي... الخ)[1] كما لخص شريعة موسى بوصيتين، فالوصيتان اللتان هما عبارة عن (حب الله وحب الجار) تبينان لب الشريعة الموسوية وروحها. ومما هو حري بالدقة أن المسيح عليه السلام لم يتعد حدود الشريعة المذكورة أبدًا، وقد اتصف الله تكرارًا في كتب التوراة بلفظ (الله، الآب) على أن كلمة (أب) هذه لا من حيث أن لله ابنا وحيدًا كما تزعم الكنيسة؛ بل لأنه موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات[2] على أن معنى (أب) اللغوي الحقيقي هو إعطاء الثمر كما تقدم بيانه، وأن مادة (أب) المؤلفة من ألف

([1]) إن صلاة المسيح التي تبتدئ بجملة : (أبانا الذي في السماء) تسمية الروم: πατερ ημων (باصير هيمون) والكاثوليك: (**Pater noster**) وكنائس الساميين: **אברי דבשמים** (أوقوا ورن دوشيا) (المترجم).

([2]) ويزيد هذا المعنى: (والآن يا رب أنت أبونا، نحن الطين وأنت عاملنا، وكلنا عمل يديك) [أشعيا **64**: **8**]، وقول المسيح: (وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه) [لوقا **12**: **30**]، وقول اليهود: (لنا أب واحد وهو الله) [يوحنا **8**: **41**]. ويلوح لي الآن أن كلمة (بدر) الفارسية و(فذر **Father**) الإنجليزية و(**Vater**) الألمانية (Ηατερ) اليونانية كلها نظير (فاطر) العربية؛ وهي معنى (خالق) أو (صانع) كما جاء في دعاء يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف/101] (المترجم).

مفتوحة وباء هي في جميع اللغات السامية بمعنى (الوالد) و (المثمر) وبالألف المكسورة بمعنى (الثمر) وفي العربية (اباب) بمعنى طراوة وخضرة، وبهذا القصد والمعنى كانوا يخاطبون خالق الكائنات موجدها بكلمة (أب) وبالطبع لم يكن بأس في هذا التعبير، ولكن لما أساءت الكنيسة استعماله في كتب العهد الجديد التي أوجدتها، صار لا يجوز لأبناء ملكوت الله أن يخاطبوا الله اليوم بهذا الاسم.

وإن ملكوت السماوات لما رأى مخالفة الكنيسة واعتداءها على تعاليم المسيح في تعبيرها: (باسم الآب والابن والروح القدس) أظهر خطأ الكنيسة بالآية القرآنية الجليلة: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ [الفاتحة/1].

فالمسيح عليه السلام يؤيد الأمر الأول لشريعة التوراة التي لخصها[1] في صلاته هذه: (ليتقدس اسمك) يا إلهنا الذي في السماء ليتقدس اسمك لأن لك الملكوت والقدرة والعزة إلى الأبد آمين [متى 6: 9-13].

وأما الوصية الثانية من شريعة موسى فهي (حب الجار).

سأل فريسي عارف بالشريعة من المسيح عليه السلام طلبًا للشر[2] أي يريد أن يأخذ كلامًا من فم المسيح عليه السلام حتى يأخذه عليه حجة بقصد إيقاعه في فخ (أي وصية هي العظمى في الشريعة؟) فقال له عيسى عليه السلام، هي التي لله: (لتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل فكرك، هذه الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها: (لتحب جارك كنفسك، بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة كلها والأنبياء) [متى 22: 34-40].

فبعد أن رأينا هذا التفسير من المسيح لشريعة موسى وتصديقه تعاليم جميع أنبياء بني إسرائيل بصراحة على الوجه المبين أعلاه، أقول للأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت والنصارى المنسوبين إلى المذاهب المختلفة الأخرى التي يربو عددها على الخمسمائة مذهب: راجعوا أيها القوم ضميركم وإحساساتكم التي هي محبة للحقائق،

---

(1) متى 22 : 32-40 (المؤلف).

(2) (وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه) [متى 22 35]، ولكن (فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيدًا عن ملكوت الله) [مرقس 12 34]. ويفهم من إنجيل مرقس أن السؤال لم يكن لأجل التجربة (المترجم).

وإذا اقتضى الأمر راجعوا روح قدسكم بكل دقة، وتفكروا خدمة للحقيقة في هذه الآيات المذكورة.

لمن أعطيت الشريعة؟ طبعًا لليهود، إلى أي ملة كانت تنتسب الأنبياء وإلى من أرسلوا؟ طبعًا إلى اليهود؛ لأن المسيحيين متفقون على الاعتقاد بأن الله لم يرسل نبيًّا من غير اليهود. حسن جدًا ! من أي ملة كان السائل؟ بالطبع كان يهوديًّا، ماذا كان المسيح؟ طبعًا هو كان يهوديًّا أيضًا، من كان يمكن أن قد كان جارهما؟ بالطبع لا يكون جار اليهودي إلا يهوديًّا أيضًا، والجار الذي لا يكون يهوديًّا يجب أن يكون إما أسيره أو ظالمه، وعلى كلتا الحالتين فهو مكلف بأن لا يحبه كنفسه.

إذن فانظروا المسيح ﷺ وإن كان يبحث عن الصديق والعدو في موعظته المشهورة [متى 5 إلى نهاية الباب السابع] فإنه كان دائمًا يخص اليهود بكلامه هذا وقد بين أن اليهودي ليس مكلفًا يحب جاره اليهودي فحسب، بل يقول يجب أن يحب عدوه اليهودي أيضًا، وليس هناك من إشارة قطعًا حول كون סננים (الأمم) أصدقاءهم أم أعداء.

فها أنا ذا أقول لهؤلاء المسيحيين الذين يبلغ عددهم الملايين وهم ليسوا من الإسرائيليين: انظروا، إن مسيحكم لم يعرفكم قطعًا. ولم ينقل عنه إنه قال عنكم حرفًا واحدًا، بل إنه سمى غير الإسرائيليين كلابًا. فمن أنتم؟ ثم من هم أبناء الملكوت؟ أتعلمون ماذا أنتم حسب شريعة موسى؟ إن الذين لم يختتنوا إنما يعدون ملوثين (نجسًا) حتى أن المسيح نفسه ختن في اليوم الثامن من ولادته، وهو إلى يوم غيبوبته كان على مسلك اليهودية تمامًا، إذن فارجعوا إلى الإنصاف ولا تعودا تبحثون عن الإنجيل وعن عيسى والصليب.

أليست هذه هي أناجيلكم الأربعة، كونوا واثقين أنها بسبب تصوير المسيح يهوديًّا تامًا ومليًّا (ناسيوناليست) شديد التعصب لقوميته بدرجة مفرطة، صارت قسوس البلغار يحملون الصلبان ويتلون آيات التمجيد والثناء للذين ارتكبوا أشنع الفظائع في أعدائهم في الحرب. أذن فهم ولا شك معذورون في هذه الشناعات، هذه هي آثار

الملية المفرطة، فأنى للمسيح أن يؤسس كنيسة أو ملكوتًا وإن اليهودي إذا لم يختن في لحم غرلته كان يحكم عليه بالإعدام؟ [تكوين 7 : 14، وخروج 4: 24] فكيف كان للمسيح أن يأخذ النصارى القلف أي الذين لم يختتنوا إلى ملكوت الله؟! وأمر الله في التوراة صريح بأنه واجب على اليهودي ختان ذريته حتى أنه قد أوجب عليه أن يختن عبده والأجنبي الذي اشتراه بفضته أيضًا، ولا يباح لأي ذكر غير مختون أن يسكن في بيت يهودي وليس ذلك من شعائر اليهودية فحسب، بل مما أطلق الله عليه اسم العهد والميثاق.

وإذا أنعمنا النظر في عدم تجويز الشريعة دخول الأغلف -أي: الذي لم يختن- معابد الموسويين، فهل نرى من الممكن أن يدخل المسيح معابد الكنائس التي ألغت رسم الختان وأقامت مكانه المعمودية أو يجالسهم أو يساكنهم؟!

يقول المسيح: (أحب إلهك أكثر من نفسك، وأحب جارك كنفسك) ولكنه لا يقول: أحب ابن جنسك كنفسك. حسن جدًّا، ماذا كان المحذور لو قال: أحب ابن دينك كنفسك؟ لم يتمكن من أن يقول هذا أيضًا؛ لأن ابن دين اليهودي يجب أن يكون يهوديًّا أيضًا.

اتضح جليًّا وبصورة مقنعة أن عيسى المسيح لم يكن ليفدي أحدًا بحياته بل لم يكن يسمح بتقديم قلامة من أظفاره هدية للعالم فضلاً عن أنه لم يتعهد للروس والإنجليز والأميركيين بالنجاة؛ لأنه لم يعرفهم، ولا بإراقة قطرة من دمه في سبيل جعل الروم واليونان الأجانب، والسوريين الساكنين في سورية - مسيحيين بواسطة المعمودية، لإعطائهم الحياة الأبدية، بل لم يكن ليعطي رطلاً من النجارة التي أمام منضدة (محل تجارته) لأجل ذلك.

لا ريب في أن القسم الثاني من محتويات الدعاء المذكور المبهمة عبارة عن تأسيس أخوة صحيحة وتوطيد المعاملة الفدائية بين الإسرائيليين، وتأمين مقتضيات الخلاص من شر أعدائهم وغوايتهم وهو: (خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا خطايانا كما نغفر

نحن أيضًا للمخطئين إلينا، ونجنا من الشرير الذي يذهب بنا إلى الإغواء)[1] [متى 6: 10-13].

هل كان من حد الأمم غير الإسرائيليين أن يجترئوا على مثل هذه المطالب من حضرة (يهوه) الرب الذي يحسبونه أباهم[2]. فلو سألنا اليوم الإسرائيليين: من هم الأشرار وذوو الغولية الشيطانية الذين يغوونهم؟ هل من شبهة في الجواب الذي يعطونه؟ آه هم المسيحيون، آه إنهم المبشرون.

بقي أكبر ما يتعلق ببحثنا من الصلاة الإنجيلية وهو المادة التي في شأن ملكوت الله: (ليأت ملكوتك لتكن إرادتك كما في السماوات أيضًا على الأرض).

هنا يعد المسيح بأن سيأتي ملكوت سماوي، وبأن ستعطى الإرادة والكلام الخاص بالملكوت المذكور.

عجبًا، ماذا يمكن أن يكون القصد من ملكوت الله هذا؟ هل هو عبارة عن أن شرطتنا تتألف من الملائكة، وعساكرنا من الكروبيين، وهيئة وزرائنا من السرافيين؟! المسيحيون يعتقدون أن المسيح سيأتي ويحكم قبل يوم الجزاء على وجه الأرض ألف سنة، أما نحن المسلمين فنتمنى أن لو جاء المسيح وأسس سلطنته العظيمة على هذا النمط -وعلى الأخص بمناسبة إصلاحاتنا الداخلية هذه- ساعة أقدم (لأن مجيء المسيح يخلصنا من مكايد أهل الكيد ودسائس الأغيار).

نعم نحن نتمنى ذلك؛ لأن محبي المسيح الوحيدين هم المسلمون! أما اليهود فقد رفضوه، وأما المسيحيون فقد نسوا المسيح التاريخي الحقيقي وأقاموا محله يسوعًا خياليًا متألهًا.

---

(1) بما أن الله لا يغوي أحدًا، تُرجمت هكذا: (نَجِّنَا من الشرير الذي يذهب بنا إلى الإغواء عوضًا عن الجملة المحرفة، لا تذهب بنا إلى الإغواء) أهـ من حاشية المؤلف. وفيه إن هذا الوصف الشرير (المؤلف).

إذ قد أسقط من ترجمة الأميركان العربية: (إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا) [إرميا 23 : 36] (المترجم).

(2) (إسرائيل ابني البكر) [خروج 4، 22]، (لنا أب واحد؛ وهو الله) [يوحنا 8 : 41] (المترجم).

إن المعنى المراد من كلمة (الملكوت) إنما هو على الوجه الذي ذكره المسيح تكرارًا (بكلام الملكوت) أو (كلام الله) عبارة عن إرادة ورضاء صاحب الملكــوت ﷻ وفي الصلاة المذكورة أعلاه قد استعمل لفظ ($\theta \varepsilon \lambda \eta \mu \alpha$ ثيليما) اليونانية و(רצון رضــا) العبرانية، ولا بحث عــن (أيودوكيــا) بعــد، لمــاذا لا يبحــث عــن ($E \nu \delta o \xi o \varsigma$ أيودوكيا/حمد)؟ بالطبع إن للبشرية شيئين دائمين هم (الإسلام) وهو يقيم دينًا حقيقيًّــا وملكوت الله على الأرض، و (القرآن) وهو أقدس كتاب في العالم يحتوي علــى إرادة الله ورضائه في تحقيق وتسهيل إدارة ملكوت الله وبعد أن أكمل محمــد ﷺ الملكــوت والكتاب القديم المحتوي على رضاء الله بصورة رسمية أرتحل إلى دار النعيم. وإن ديــن الإسلام والقرآن الكريم سيبقى دائمًا وثابتًا إلى يوم القيامة. وسيأتي في الفصل العاشــر أن كل تفسير أو تأويل يباين هذا التفسير فهو باطل ولا معنى له، فســتراه مفصــلاً تفصيلاً.

* * *

* *

*

الباب الخامس

حضرة المسيح لم يحرز التوفيق[1]

تحقق أن المسيح عليه السلام لم يقصر في وظيفته التي أمر بإيفائها، ولكن الملأ من علماء القوم وأشرافهم لم يقدروا عيسى عليه السلام حق قدره إذ كان يجوب قرى أرض كنعان بالفقر والفاقة ماشيًا على قدميه، يشفي المرضى ويدعو الخطاة إلى الصلاح. ولا شيء أصعب من تفهيم الكلام وبيان الحقيقة وتثبيت قواعد الإصلاح في قوم لم يكونوا على شيء من الثقافة ولا التربية الأولية ليكون لهم نصيب من الأفكار العامة على الأقل، وإذا ما أظهر علماء الملة وكبارها المخالفة لفكرة التجديد، فمن الطبيعي أن يقلدهم جهالها ضعفاء الفكر والشعور، وإن الذين أحرزوا المقامات العالية والمنافع الشخصية وهم الفريسيون المراءون المتعصبون الذين كانوا يحذرون استثارة العامة قد اسروا الحسد وأظهروا العداوة والبغضاء لذلك الشاب مرشد الملة إلى الانتباه والى مخافة الله.

لنقايس بين فقر المسيح عبد الله المجدد وزهده وبين الثروة والشرف والجاه الذي كان لرؤساء الكنيس الروحانيين الذين يدعون أن المعاني المخالفة لتفسير العلماء المتقدمين تضر بالأمة[2] فبقدر ذلك الفرق العظيم بينهما كان عمق جهل الأمة العاجزة عن إدراك ذلك.

لا بد لمن يريد أن يؤسس دينًا أو دولة من اتخاذ كل الوسائل المشروعة لذلك وتطبيقها على أكمل صورة لإدراك الظفر والفوز بمطلوبه، وأما المسيح عليه السلام فقد توسل بفكرة معنوية فقط هي عبارة عن إنجيل وبشارة بأمر عظيم، على أن الفكرة والعقيدة بغير سلاح ولا قوة لا تؤثر في قوم قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

([1]) مما يدل على أن المسيح كان قليل الأمل في استفادة قومه من بشارته قوله -بعد مثل ضربه لهم-: (ولكن متى جاء ابن الإنسان لعله يجد الإيمان على الأرض) [لوقا 18: 1-8] (المترجم).

([2]) وكذلك يقول اليوم بعض علماء الدين من المسلمين هذا وقد ورد في الحديث عن نبينا الأكرم ﷺ: "لتتبعن سَنَنَ من قبلكم، حذوَ القُذَّة بالقُذَّة" (المترجم)

قوم كانوا منقادين إلى رؤسائهم الروحانيين والجسمانيين المتغلبين فقط، بل لا تؤثر ولا تنفذ العقيدة في ورقة وردة! وبينما كان المسيح عليه السلام يجتهد في إصلاح أنفس القوم وتهذيب أخلاقهم من جهة، كان من الجهة الآخر يحارب المتغلبين. فمن الطبيعي في المسيح الذي يستقيم على هذه الطريقة ألا ينال كل مقاصده إذ لابد من القوة لتقوية الفكرة، وإن المجدد الذي لا يملك القوة لا يكون التوفيق رفيقه مهما يظهر على يديه من الخوارق والمعجزات.

ولو كان المسيح عليه السلام مأمورًا بتأسيس شريعة أو دين ناسخ لدين موسى، لتوسل بكل التدابير والوسائل الموصلة إلى تلك الغاية. أي لكان شرع بوضع أساس الدين بعد إكمال التشكيلات الجديدة على منهج يعين المسلك وخط الحركة، لأنه لابد لمن يريد إحداث انقلاب ديني من شدة التحفظ والاحتياط في البداءة ومن السير التدريجي، وما لم يمكن الحصول على عدد من علماء الدين المتقدم وعلى قسم من رؤساء الملة واكتساب النفوذ والقوة بدرجة كافية، فإن محاولة التجديد تبقى عقيمة، ولا يتسنى لأي مجدد أو نبي أن يحصل على الانقلاب فجأة، فإن هناك قوة مدهشة ارتجاعية تهلكه في الحال، وإن الأمة لا تقبل قانون التكامل والترقي عن تفهم تستوحش من المشروعات الفجائية وتخشى عواقبها فتعصي أمر مرشدها. وكذلك كل الأعمال الطبيعية والصناعية والفكرية لا تتكامل إلا بالتدريج ، وإن الله هو الذي وضع قانون التكامل هذا ويدبر الكائنات بموجبه، وإن الحكمة التي تمنع المجدد من إعلان الانقلاب فجأة عقب تلقي الوحي إنما هي حذره من عدم الحصول على المقصد المطلوب، لا حذر الموت.

وبناء على ما تقدم لو كان المسيح عليه السلام مأمورًا بتأسيس دين لسار فيه على منهج واضح وخطة منتظمة، وكان الزمان والحال مساعدين وموافقين لمثل هذه الحركة إذ كان اليهود قد سئموا اختلاف الفرق الثلاثة، وكانوا في انتظار ظهور المسيح، ولكن المسيح عليه السلام لم يعمل هذا، فلم يتخذ صديقًا حميمًا من المجلس الملي (سنهدرين) ولا أحدًا من كبار القوم فكيف أمكنه أن يحصل على انقلاب ديني بواسطة اثني عشر رجلاً

من الصيادين والعشارين؟ ماذا كان يتمكن أن يصنع بشرذمة مـن النـاس الأمـيين الجاهلين ما لم يحصل على مظاهرة من الخواص؟ ولا يوجد في شيء من الأناجيل الأربعة نبأ صريح عما إذا كان للمسيح منهج معين أم لا. بل كلها تبحث عن قرب ملكـوت الله ، ولا تبين بالصراحة ما هذا الملكوت، وهل يريد به تأسيس دين جديد أو دولـة دنيوية مادية؟ ولكنها تؤمئ إلى أن غايتها ونتيجتها أن الملكوت المنتظر يوحـد الـدين والدولة معًا، ويوجد بين الملل كتلة عظيمة تنقلب بها الأمم فتكون ملة واحدة، ومـن ذلك قوله: (ما جئتُ من نفسي لكن هو أرسلني لماذا لا تفهمون) (كلامي)؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي [يوحنا 8: 42، 43]. وأخص من هذا أنه في الباب السـابع عشر من إنجيل يوحنا يوصي المسيح ﷺ في دعائه الأخير المهم بما يحيل الذين يناجون الله دائمًا والمؤمنين بكلامه إلى الألطاف الإلهية.

ولكن مع الأسف لم تعلم حينئذ ما هذه (البشارة) (الأمل) (الكلام) الذي يريـده، يقول [يوحنـا 16: 29] إن المسيح إلى آخر ليلة كان يكلم تلاميذه بالأمثال. ووعد أن (παρακλητος) المرسل من طرف الله والذي سيأتي بعده سيفسـر ويـبين كلامـه وإنجيله الحقيقي ونحن لا نريد أن نبحث هنا عن تفسير لفظ (فارقليط) اليونـاني بـل نقتصر على أن نفهم من الآيات الإنجيلية الآتية [يوحنا 14: 26، و16: 7] و[لوقا 24: 49] ما يأتي مما استنتج من تلك الآيات:

1- أن المسيح لم يُعطِ الحواريين إنجيلاً مرقومًا في كتاب.

2- أن العقيدة والكلام الإنجيلي الذي علم به شفهيًا لم يفهمه الحواريين، بل بقـي من قبيل المعميات والألغاز.

3- لم يتسن للمسيح أن يفهم إنجيله وكلامه لتلاميذه في ثلاث أو أربع سنين لذلك اخبر وبشر بمجيء واحد آخر.

4- لا يحتمل أن يكون الذي وعد المسيح بمجيئه بعده قد جاء في زمن الحـواريين؛ لأنه لو كان قد جاء في زمنهم لكان ملكوت الله قد أتى، ولما دامت الاستغاثة والدعاء إلى هذا اليوم (ليأت ملكوتك) ولما أمكن إطلاق (Εκκλησι α كنيسة) عوضًا عـن

الاسم المبجل (ملكوت الله) ثم إن الأمر الذي ينقض هذه الفكـــرة، قـــول المســـيح للحواريين: (ها أنا معكم دائم الأوقات إلى انقضاء العالم) [متى 28: 20].

ارتحل كل الحواريين إلى دار البقاء في العصر الأول من الميلاد فكيف كان يقدر أن يبقى على الأرض (إلى انقضاء الدنيا)؟! ولكن كيف يمكن التأليف بين وعده هـــذا[1] وبين وعده بأنه سيأتي الباراقليطوس؟ يستبان من تينكم الروايتين أن اثنين من الرهبـــان الكرام أحدهما كتب في كتاب متى، والثاني في موعظة يوحنا من غير أن يعلم أحدهما بما كتب الآخر، أما الراهب متى الذي لا يعترف بالباراقليطوس فيعتقد أن المسيح سيبقى دائمًا مع الرسل إلى الأبد، وأما الراهب يوحنا القائل بالباراقليطوس فلا يرى لزومًـــا لبقاء المسيح على الأرض، على أنهما يحملان عين الفكرة والاعتقاد في مخيلتهما، كـــأن المسيح سواء أكان بذاته أو بواسطة الروح القدس سيوجد مع البابـــاوات والبطارقـــة متحدًا بهم على الدوام. إن خليفة يوحنا[2] الذي لم يؤد الصلاة الربانية يحتمل أن يكون معذورًا في الخيال الذي تلقاه ولكن ماذا نقول عن خليفة متى، البابا العظيم الذي نسي دعاء (أبانا) من حيث يجب أن يكون قد صلى به آلاف المرات كما هـــو مســـطور في الباب السادس؟!

لا شبهة في أن المسيح ﷺ أدى وظيفته على أكمل وجه، بدعوة بني إســـرائيل إلى تهذيب الأخلاق والتوبة والصراط المستقيم على منهج نجهل صفته ومع ذلـــك وبـــخ الفريسيين بشدة والعلماء على الوجه الذي استحقوه [متى البـــاب 23]، [مـــرقس 12: 38-40]،[لوقا 20: 45-47].

([1]) من عادة النساخ أن يُضيفوا في آخر الرسالة التي يستنسخونها -ولا سيما إذا كانوا من منتسبي ذلك العلـــم- عبارات من عندهم قَلّتْ أو كَثُرَتْ، وكذلك حواش وعبارات في الهامش وبين الأسطر للإيضاح أو لدفع اعتراض يَرِدُ على بالهم. ومن أمثلة الإضافة إلى آخر الكتاب ما جاء في آخر أسفار موسى [سفر التثنية 34] وأواخر الأناجيل. ومما يُضحك ويُبكي في آن واحد ما جاء في آخر إنجيل [يوحنا 21: 24-25]، ومن جملة الإضافات الأخيرة روايـــة متى المذكورة: (وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر) [28: 20] (المترجم).

([2]) Monachus الحجر الذي في الدير أو الصومعة الجالس في الحجرة (المؤلف).

ولكن لا قوم إسرائيل اصطلحوا، ولا تلاميذه استطاعوا أن يفهموا (أسرار الملكوت) على الوجه الحقيقي، وإنا لنصادف بين جميع مؤسسي الأديان نبيًّا واحدًا لم تقدره حق قدره أمته الكنود المنكرة للجميل التي أرسل لإصلاحها ومن الجهة الأخرى فالنصارى الذين غلوا فيه وأصعدوه إلى درجة الألوهية، لم يعرفوه حق المعرفة، ولكن الإسلام والقرآن الذي أخبر المسيح بظهوره قبل ستة عصور ونيف هو الذي قدره قدره وعرف حقيقته وقدس شأنه الحقيقي. هذه المعاملات التي لقيها المسيح عليه السلام من الأديان الثلاثة.

* * *

* *

*

الباب السادس

غاية الإنجيل

موضوع الإنجيل شيء وغايته شيء آخر، وليس الموضوع إلا وسيلة يعمد إلى استعمالها لأجل الوصول إلى الغاية، وبقدر أهمية الغاية يجب أن تكون الموضوعات واضحة ومرتبطة بالصدد، وعلى تقدير العكس تبقى الغاية مبهمة غير مفهومة، مثلاً يقدم لي أحد الأصدقاء بعض تآليفه، فأقرأه من أوله إلى آخره بكل شوق، أراه يبحث عن أشياء كثيرة، فإذن تلك (الأشياء الكثيرة) هي مواضيع الكتاب. وعندما أقرأ المواضيع أفكر في شيء آخر، أقول في نفسي حسن جدًّا، فهمت علمت، ولكن هناك شيء واحد لم أفهمه ولم أعلمه، وهو ماذا يريد أن يقول المؤلف الذي يبحث عن كل هذه المواضيع؟ ومعنى ذلك إني أفتش عن الغاية، فأهم شيء لأجل فهم الكتاب تمامًا هو إدراك المواضيع وبعد ذلك تظهر الغاية من نفسها، ليس من السهل تعيين كتاب ليكون مثالاً جيدًا، يتوارد على خاطري كثير من المؤلفات التي طالعتها قبلاً في لغات مختلفة، وأتذكر منها أحد النماذج وهو كتاب الشيخ سعدي الشيرازي المسمى (كلستان) هذا الكتاب النفيس يبحث عن كثير من المواضيع المختلفة، ولكن إذا سأل سائل ماذا كانت غاية المؤلف المعظم؟ فلا ريب أن يأتي من خمسة مطالعين خمسة أجوبة، ومن الصعب جدًّا كشف غاية سعدي، ذلك لأن مواضيع الكتاب المذكور ليست على نسق واحد فيصعب تعيين الغاية منها، وكذلك تعيين غاية الإنجيل فإنه من قبيل هذه المشكلات.

إن في الأناجيل الأربعة تيارين مختلفين، الأول من قبيل الرجوع إلى الأصل، وفيه يصور سيرة عيسى الحقيقي التاريخي ابن الإنسان وأعماله، ويعرف تعاليمه الأصلية الصحيحة وسعيه وإقدامه في وظيفته التي كان مكلفًا أن يؤديها.

إن الأناجيل الثلاثة لمتى ومرقس ولوقا في الطبيعة الأصلية منها التي هي عبارة عن الطابق (أو الدور) التحتاني قد صورت عيسى وتعاليمه على الوجه المذكور، وهناك

يذكر المؤلف -في أول طبع كتابه ونشره- حضرة المسيح بلقب (المعلم) و (الأستاذ) وبعضًا (بالسيد) و(الأغا) [مرقس 9: 17: 38 و12: 14: 19: 32 إلخ ومتى 17: 15: 18: 21 ولوقا 9: 39 إلخ].

على أن أحد الأغنياء إذ كان يسأل عيسى عليه السلام مخاطبًا إياه: (أيها المعلم الصالح)[1] ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ أجابه لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله)[2] [مرقس 10: 17 – 18، لوقا 18: 18، متى 19: 16]. إن ذلك المعلم المطلق كان معلم شريعة، يعلم الشريعة للأهلين ويفهمهم القواعد الدينية متنقلاً من قرية إلى أخرى، يدخل سيناغوغ كل قرية وقصبة يفتح كتب العهد القديم ويقرأها، ويفهم الأهلين معناها، وينير أفكارهم، يعمل الخير في كل مكان، يفعل كل ذلك مجانًا لوجه الله وهو راض ومقتنع بالعنوان البسيط المجرد (المعلم) لا يقرهم على أن يقولوا له (كريم) أو (صالح) إذ لا كريم ولا صالح إلا الله، فها نحن أولاء نصادف في أول طبع الكتاب ونشره عيسى المعلم عيسى الأستاذ (الخوجه).

ولكن في الطبعة الثانية والثالثة وما بعدهما على التوالي نجد أن المعلم قد صار ربًا وإلهًا والخوجه عيسى قد صار نازلاً من السماء إلى الأرض، راكبًا على السحاب، محاطًا بالملائكة قاضي يوم المحشر، وحاكمه، جامعًا كل بني جنسه إلى محكمة العالم الكبرى وكل ذلك صار وتَمَّ في ظرف سنة واحدة[3].

فالمأمور بالتبشير بكلام ملكوت الله هو عيسى الأول عليه السلام، كأن ملك الملكوت وصاحبه، ليس لله، وكأن الكلام ليس لله والملكوت، بل كل ذلك لعيسى الثاني، ومن

([1]) باليونانية ($A\iota\delta\alpha\sigma\omega\lambda\ \ \alpha\gamma\alpha\theta\varepsilon$ ريد سقله آغسه)، وفي السريانية (ܡܠܦܢܐ ܛܒܐ ملينًا طابا)؛ بمعنى: أيها المعلم الجيد (المؤلف).

([2]) تَمَّ ذكره بوصايا التوراة العشر (المترجم).

([3]) إن الأناجيل الثلاثة المسماة (سينوبتيك) تروي أن المسيح مارس النبوة سنة واحدة، وتكتب أنه بعد اعتماده انسحب إلى قطعة الجليل حيث كان يجتهد بالتبشير بملكوت الله. وبمناسبة عيد الفصح جاء إلى (أورشليم) القدس، وهناك قبض عليه وصلب. أما يوحنا فيروي أن المسيح قضى ثلاثة أعياد فصح في مدة نبوته (المؤلف).

العبث أن يبحث عن الإنجيل الرابع حتى الآن، فليس هناك بحث عـن ولادة المسـيح وطفولته، بل إنه يومئ إلى أن (كلمة الله) و (ابن الله) تجسد وصار إنسانا.

فهَلُمُّوا بنا نبحث الآن لنجد الغاية المقصودة بالذات من تلك الكتب المحرفة إلى هذه الدرجة ولنبرهن عليها، وإن كان من الصعوبة بمكان فإنما مثل الأناجيل الأربعة وغايتها كمثل الماس يلمع بين الرمال، والحقيقة كاللآلئ مشعشعة مرصعة بكل حسنها وجمالها بين تلك السطور والصحائف، فلا آيات المـرذولين الموضـوعة ولا مـداد المحـرفين يستطيعان إخفاء تلك الأشعة الساطعة الحقيقية وتلويثها، وكما أن معـاول المنقـبين تمكنت من فتح ثغرة في هرم مصر الكبير فكشفت عن موميات الفراعنة المطمـورة في رحمه، ونقضت وحفرت أسس نِينَوَى وبابل وتسنَّى لها إخراج مكتبات (آثوريا) القديمة إلى الميدان، فكذلك قلم هذا الكاتب الصغير أيضًا سيتمكن من كشف الغاية الحقيقيـة للإنجيل الشريف ووضعها أمام أنظار خيرة كل العالم بعون الله تعالى.

* * *

- 21 -

غاية الإنجيل الشريف عبارة عن ملكوت الله

إن مقصودي من هذا العنوان (الإنجيل الشريف) ليس عبارة عن كتـاب أو جملـة كتب مرقومة، بل هو عبارة عن الآيات والوحي الذي نـزل من عند الله تعالى علـى حضرة المسيح ﷺ، الذي بلغه النبي المشار إليه شفاها إلى تلاميذه وأصحابه في شـأن (ملكوت الله وكلام الملكوت) ومن المحقق أنه لم تكتب آيـة واحـدة مـن الآيـات والإلهامات الربانية النازلة على المسيح ﷺ في بحر السنة أو السنتين سواء أكان فيمـا يخص ملكوت الله وكلامه أو فيما خاطب به بني إسرائيل، وإنما بلغها المسيح بصـورة المشافهة وتُنُوقِلت عنه كذلك بالشفاه.

فالمسيح ﷺ بلغ الإنجيل لتلاميذه وسامعيه، والحواريون بلغـوه مضـمون ذلـك الإنجيل ومعانيه إلى أخلافهم، ولكننا لا نراهم قد كتبوا شيئًا من ذلك، على أنه لم يكن من ضرورة للكتابة؛ لأن الملكوت قد اقترب، وكان من المحتمل أن يتأسس الملكـوت

والتلاميذ في قيد الحياة، وحينئذ تظهر أسرار الملكوت بكل نورها ماثلة ساطعة، فالآن أصبح من البديهي أن أكثر من ثمانين في المائة من أقوال المسيح عليه السلام المروي إلقاؤها وسماعها من فمه المبارك في الأناجيل الثلاثة عائد إلى ملكوت الله، مثال ذلك، أننا إذا طالعنا باختصار كتاب مرقس المتقدم تاريخيًا على غيره، نرى أن المقصود والغاية من جميع التعاليم والكلمات المعزوة إلى المسيح عليه السلام في أبوابه الستة عشر التي يشتمل عليها الكتاب المذكور هو (ملكوت الله) ولنذكر من الخمسة والأربعين آية التي يشتمل عليها الباب الأول من مرقس ما يعود إلى المسيح نفسه على الوجه الآتي:

– [الآية 15] يعظ بإنجيل الملكوت قائلاً: (قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) (بالبشارة).

– [الآية 25] قوله للروح النجس: (اسكت واخرج منه).

– [الآية 38] قوله للتلاميذ: (لنذهب إلى القرى المجاورة؛ لأعظ هناك أيضًا؛ لأني لهذا خرجتُ).

– [الآية 42] قوله للأجذم: (أريد فاطهر).

– [الآية 44] قوله له أيضًا: (احذر أن تقول لأحدٍ شيئًا، لكن اذهب أرِ نفسَكَ للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادةً لهم).

فالروح في هذه الآيات الخمس العائدة للمسيح الصادرة من فمه من الخمسة وأربعين آية والمقصود بها عبارة عن (ملكوت الله) وعن تعليم وجوب الطهارة القلبية والبدنية؛ أي أن الإيمان والتوبة من الشروط التي لا بد منها للذين يرجون أن يكونوا أهلاً لدخول الملكوت.

ومما يلفت النظر أن المسيح عليه السلام يقول للأجذم الذي أبرأه: (اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم). وإن قانون الجذام مفصَّل في أول الباب الربع عشر من السفر الثالث من التوراة المسمى [سفر اللاويين من الآية الأولى إلى 32]، فأجدر بالمسيح الذي في مخيلَة الكنيسة أن يأمر الأجذم الذي طَهَّره بدلاً من العمل بشريعة موسى الثقيلة ذات النفقات والإخلال بالكرامة أن يذهب إلى بطرس

ويعقوب، بل إلى وكيل خرجه (يهوذا الإسخريوطي)[1]، ولكن عيسى المسيح ﷺ أمر بتنفيذ جميع مواد قانون الجذام المذكور على التفصيل في البابين الثالث عشر والرابع عشر الطويلين من [سفر اللاويين] ولم ير حاجةً إلى إضافة سطر واحد إلى كتب العهد القديم، وهو يقرر بوضوح وصراحة أن شريعة موسى باقية وواجبة التنفيذ حرفيًّا إلى حين تأسيس ملكوت الله.

وإذا فرضنا أن المسيح شبه الجذام بالذنب والخطيئة فلماذا يرسل الخاطئ الذي طهره من خطيئة بإذن الله إلى الكاهن؟ ولماذا يقول: (ليكون شهادةً لهم). فالمسيح ﷺ يريد بذلك أن الشريعة التي أنت عليها كلها جسمانية مادية، وأن شريعة الملكوت التي هي عبارة عن القرآن المجيد ستلتزم وتعنى بتعليم الأخلاق الحسنة – الطهارة القلبية، إخلاص القلب والوجدان والإيمان الخالص– أكثر مما تعنى بتعليم الأحكام البدنية. فإن مطالعة كل كتاب مرقس من هذه الوجهة تؤدي إلى الخروج عن الصدد، ولكن لنحلل الباب المذكور ليكون دليلاً مرشدًا للقارئ المحترم، فإن ثلاث عشرة آية من الباب الثاني من الكتاب المذكور الذي هو عبارة عن ثماني عشرة آية عائدة إلى المسيح ﷺ.

– [الآية 5] قوله للمقعد: (ابني قد غُفِرت لكَ خطاياكَ).

– [الآية 9-11] (لماذا تفكرون هكذا في داخلكم؟ أيما أيسر: أن يقال للمقعد: غُفِرت لكَ خطاياكَ، أم أن يقال: احمل فراشك وسِرْ؟ ولكن لتعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا. قال للمقعد: لك أقول: قُمْ واحملْ فراشك واذهبْ)[2].

([1]) إن اسم يهوذا الإسخريوطي بالعبراني (יהודדהאיש/إيش كريوت) وفي لغة الأرميين: (סכריוטא/سخريوطا) (المؤلف).

([2]) مما هو حري بالدقة أن المسيح ﷺ لم يقل: عفوت لك عن خطاياك. ولم يقل: هو قادر. بل قال: له صلاحية. ففي العبرانية والسريانية (שלטן/شلطان) (שלטנא/شلطانا) بمعنى الصلاحية والحكم، و(ابن الإنسان) بمعنى مطلق الإنسان إنسان، ابن آدم، وفي السريانية (بارناشا/ברנשא) دائمًا بمعنى إنسان، أحد أفراد البشر، آدمي (المؤلف)

وكانت نظرية اليهود: من يقدر على أن يغفر الخطايا إلا الله وحده. وهي نظرية صحيحة جدًّا. ولكن إذا ورد عن الخاطئ نظرية: (من يقدر على إبراء المقعد إلا الله وحده). فمن يقدر على رفع الفالج وإزالته من الجسد -وقد عجز علم الطب عن شفائه- يقدر أيضًا على أن يداويَ المريض بداء الخطيئة وأن يغفرَ الذنب ويمحوه من روح المقعد في الحال، ويمكن فعل كليهما بإذن الله وقدرته فقط.

فالحقيقة التي كان يريد المسيح عليه السلام تعليمهم وتفهيمهم هي أن المأمور بالتبشير باقتراب ظهور ملكوت الله كما أنه يملك صلاحية وقدرة على شفاء المرضى وأصحاب العاهات فإنه بالطبع مأذون بأن يغفر ذنوب الخطاة أيضًا. ولكن على أن القدرة على عمل كليهما قد وهبت من الله تعالى. وفي اليونانية (εξϑυσιαν εζει) بمعنى قدرة، حرية، صلاحية، وكذلك مثلها في السريانية (مارا ماريا) بمعنى (ابن آدم أي إنسان كان ابن الإنسان). ولكن المترجمين يتلاعبون ويراوغون في الترجمة، فإن كانت هذه الكلمة تعود إلى المسيح، جعلوا معناها ابن الإنسان. وإن كانت إلى غيره، جعلوا معناها: إنسان، ابن آدم، بشر. وكذلك كلمة (مار/ Κυριος) فإن كان المقصود بها المسيح جعلوا معناها (الرب الإله)، وإن كان غيره جعلوا معناها (سيد). فيا أسفا على المترجمين بتلك التعبيرات المختلفة!!!

وإذ كان يمر من الطريق رأى الجاني فقال له:

- [الآية 14] (تعال ورائي). بمعنى: اتبعني.

- [الآية 17] (ليس الأصحاء محتاجين إلى طبيب بل ذوو الملل، لم آتِ لأدعوا أبرارًا، بل خطاة (إلى التوبة).

تصدى الفريسيون والكهنة لتخطئة المسيح؛ إذ رأوه يأكل مع الجباة والخطاة، وكان الجواب الذي سمعوه منه: إنه قد جاء لأجل تهيئة الخطاة المحتاجين للتوبة وإعدادهم إلى ملكوت الله، لا لأجل الذين يعرفون أنفسهم أنهم أبرار.

لم تكن الكهنة عالمة بعظيم ذنبها ومسئوليتها عند الله بسبب تركها الجباة والخاطئين على ما هم عليه، أولئك الكهنة الشرابون للخمور الآكلون للأرز على موائد الخطاة

من الأغنياء كانوا قد تركوا الفقراء قائلين: إنهم خطاة. أما ذنب الجابي الـذي جعلـه ممقوتًا في نظر الكاهن فهو اضطراره إلى جمع النقود وإيصالها إلى حكومة رومية. وأمـا الملكوت الذي قد بشر به وأنه سيتأسس، فإنه يجعل الخطاة دائمًا مجرمين ومسئولين في نظر الشريعة، وإن كلاً منهم يناله العقاب القانوني الذي يستحقه، سواء كان غنيًّـا أو فقيرًا، سُوقة كان أو مَلِكًا.

ولكي يبين أنموذجًا لكيفية العـدل والإنصاف في مؤسسة الملكوت الذي يبشِّر به، قال ﷺ لشاب يمتدح بالبر والتقوى: (اذهب بِعْ كل مالكِ، وأعطه الفقراء، وتعـال اتبعني) [مرقس 10: 21]. فأمر كهذا لا يرتضيه كاهن يهودي ولا راهب مسـيحي؛ لأنهم يرون الأنسب أن لا يوزع الغني صدقاته بيده بل يبذلها للفقـراء علـى أيـدي الرؤساء الروحانيين.

ثم تأتي إلى الآيات 19-22 هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهـم؟ مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا، ولكن ستأتي أيام حين يرفـع العـريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام، ليس أحد يخيط رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق، وإلا فذلك الملء الجديد يأخذ من العتيق فيصير الخرق أردأ، وليس أحد يضـع خمرًا جديدة في زقاق عتيقة وإلا فتشق الخمر الجديدة الزقاق، والخمر تنصب والزقاق تتلف، بل يقتضي أن توضع خمر جديدة في زقاق جديد.

كيف يمكن أن تشرح وتفسر هذه الآيات المشكلة التي حـيرت كـل مفسـري المسيحيين وأغلقت أبواب فهمها عنهم وأعمت استعدادهم الفكري؟ الكنيسة تعتقد أن المقصود بالعريس هو المسيح، ومهما كانت العقدة ومهما كان المعنى فليس لنا وقـت للاشتغال بتفاسير الكنيسة.

يبين المسيح ﷺ في هذه الآيات المغلقة عين الحقيقة في ثلاثة أمثال، كما أن الصيام ممنوع في أيام العيد، كذلك يكون في أيام سرور العرس أضحوكة.

وإذ كان المسيح ﷺ هو المرسل المبشر بملكوت الله، فبالطبع يجب أن تنقضي أيام البشارة بالمسرة والفرح لا بالصيام، وكان يجب على رؤساء الشريعة أن يتقبلوه ﷺ

بالرضا والسرور وحسن القبول بكونه سفيرًا ممتازًا ومبشرًا باقتراب ملكوت الله المخبر عنه سابقًا من قبل أنبياء الله، ولكنهم كانوا يتهمون تلاميذه بعدم الصيام، وكانت شريعة موسى قد أمرت بصوم ثلاثة أيام في السنة وكثرت بعد ذلك أيام الصيام، وهنا لا ينسخ المسيح الصيام، بل يبين ما يؤيده ويؤكده، يريد أن يقول لعلماء اليهود: صوموا وصلوا وأكثروا صلواتكم وصيامكم بقدر ما تشاءون، ونفذوا أحكام الشريعة الحرفية الضيقة بقدر ما تشتهون، ولكن صلواتكم وصيامكم لا تنفعكم ولا تغني عنكم شيئًا ما دمتم لا تؤمنون بي وبالذي أرسلني، إنما أنتم ثوب بال وزقاق قديمة، قلوبكم قد ران عليها الصدأ والظلمة، وأدمغتكم قد تبلدت بأبخرة الخمور، أنا أقول لكم إنه قد اقترب ملكوت الله الذي مات آباؤكم وأجدادكم في أمله وانتظاره، فآمنوا وافرحوا، وطهروا قلوبكم بالتوبة، وأعدوا أدمغتكم القديمة لفكرة لتجدد ولإصلاح، ولعلكم لا تكونون في قيد الحياة عندما يتأسس ملكوت الله، فعلى كل حال تجدون النجاة وتنالون الحياة الأبدية لأنكم آمنتم برسالتي وبشارتي، ولا يتم الأمر بذلك، هو ليس بتوبتكم فقط، بل أنا أقول لكم: لا يبطل حرف ولا حركة من الشريعة حتى تزول الأرض والسماء لأن صاحب الشريعة هو الله تعالى، ولن تغير يد إنسان أصغر حكم من الشريعة المذكورة إلا بإذنه.

بيد أن الله سيؤسس ملكوتًا واسعًا أبديًا، وهذا الملك الإلهي لا يتأسس لليهود خاصة، بل هو لجميع البشر عامة، بناء عليه ستنسخ بعض الأحكام المتعلقة بطائفة بني إسرائيل، فافهموا هذه النقطة واستعدوا لها، لا تخافوا مني، لا تكونوا حمقى وأغبياء، لست بمعتد على شريعتكم، ولا جئت لتأسيس دين أو ملكوت، إنما أنا بشر، وبعد إكمال التبليغ على ما أمرت به أغيب عنكم وأذهب راجعًا إلى الله ربي.

إن الأمثال التي في الآيات المذكورة تحتوي على معان بعيدة الغور لم يتمكن من الغوص عليها وإدراكها حتى أكبر الأعزة من معلمي الكنيسة، وهنا يضرب المسيح عليه السلام الأمثال بأحب الأشياء وأشهاها إلى علماء الدهر، بالكسوة والخمر، بالخمر الجديدة، وقطع الجوخ الجديدة، بالزقاق القديمة والملابس الخلقة، جديد، عتيق، متين وبال.

الجديد سيحيا والبالي محكوم عليه بالفناء والزوال وبكتابة هذه التشبيهات يريد المسيح عليه السلام أن يقول جئتكم ببشارة جديدة، ولكن مع الأسف لا أتمكن أن أسعفكم بما تشتهون، كروشكم وبطونكم قد انتفخت بالشراب والمسكر، ومعدكم أفسدها البطنة، أجسادكم كجلد الخنزير كزقاق الشراب، وروائحكم الكريهة كبراميل الخمر الملقاة في فناء الحانات تنفر العالم، أما شراب الملكوت فشراب جديد، ليس من عصارة العنب، ولكنه علم الشريعة الأحمدية الغراء، الذي يسكر أبناء الملكوت بالعشق الإلهي؛ لأن طالبي الحقيقة الظامئين للنهل منها ليس الشراب بالذي يرضيهم ويسكرهم، بل ماء الحياة المتفجر من آيات القرآن الجليلة، وأما الذين هم أبدان تشابه كؤوس الشراب فلا يتسنى لهم أن يظهروا بالفكر السالم وحسن العبودية الضروريين لعبادة الله والسجود له.

فيأيها العلماء والفريسيون الدنيويون، السكارى المراءون، ويا محبي الجلوس في صدور محافل الضيافات والأعراس، أنتم أيها المراؤن مرتدي الجبب الواسعة والملابس السابغة، لا تنفعكم كسوتكم العلمية؛ لأن الله يريد منك كسوة الصدق والصلاح، ثياب الأخلاق الحميدة، عمائم نور الإيمان، أردية الأدب والحشمة. لأنه يأمر بكسوة الحياء والعفة، بقلانس الجهاد والشرف، بحزام العمل والوعظ، بحذاء العدل والشفقة، بكيس القناعة والاقتصاد، بجيب الحلال والكد، بمنديل الطهارة والنظافة، والتختم بخاتم الأمانة والثقة، وها أنتم هؤلاء لا تلبسون مثل هذه الكسوة المقدسة، بل تسترون أجسامكم ورؤوسكم بشفوف الرياء، فالصوم مهما يكن من عمل الخير والصلاح، وشبيها بالخز والديباج، فإنه لا يمكن أن يرقع كسوتكم البالية المحرقة، بل يتم تمزيقها فيجعلكم عراة مكشوفي العورة مشهرين، يجب عليكم أن تتداركوا لكم ملابس جديدة وإلا بقيتم على شر حالكم إلى أن تصلوا إلى جهنم وتصلوا جحيمها.

الآيات 25-28 فحواها أن: يوم السبت إنما جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل يوم السبت، إذن فابن الإنسان هو رب السبت أيضًا.

هذا القياس مخالف للمنطق تمامًا، فلو قال: ما دام يوم السبت قد جعل لأجل الإنسان إذن فصاحب يوم السبت هو الإنسان. لكان الكلام منطقيًّا. أنى يكون لابن الإنسان شيء لم يملكه أبوه؟ ولكن يأتي يوم فيه يكون ابن الإنسان (أبا ابن الإنسان) كأبيه أيضًا، وحينئذ تنتقل مالكية يوم السبت إلى ابن الإنسان الثاني وهَلُمَّ جَرًّا.

يفهم من سوء تأويل مثل هذه العبارات السريانية أن هذه الكتب الأربعة قد استقت معلوماتها من المنابع الآرامية (ברנשא بارنشا) إنسان، ابن آدم الذي جمعه بنو آدم يطلق على كل إنسان.

واليوم يستعمل الأثوريون هذه العبارة وليس لها علاقة خاصة بالمسيح قطعًا، فإذا قرأتم أي كتاب من هذه الثلاثة المعنونة باسم الإنجيل ترون أن الآيات المروي صدورها من فم المسيح المبارك تخبر بأن المسيح عليه السلام لم يسع لتأسيس كنيسة أو دين، وكان يكتفي بتفسير كل أقسام الشريعة ويشرح ما تشتمل عليه من المعاني الحقيقية. وإنما غاية أمله الوحيد إعداد كل شيء لمجيء ملكوت الله الذي أرسل هو بصورة خاصة لأجل التبليغ والبشارة به، وإن سعيه واجتهاده كان لأجل أن تقبله اليهود وتعتنقه.

* * *

- 22 -

(كلام الملكوت) بمعنى إرادة الله

*Fεηνηϑητω τδ θελημα σου, ως εν ουρανφ χαι επι ιης γης Μαθ.*6 :10)

(لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض أيضًا (متى 6: 10)

كان قوم بني إسرائيل (ملكوت) الرب (يهوه) وكانت التوراة (كلامه) وكما أن اليهودية دين سماوي، فالتوراة هي الكتاب المقدس لذلك الدين. دين بلا كتاب كدولة بلا قانون، لاشك أنها محكوم عليها بالسقوط والاضمحلال، وكلما كانت أسس الدين موافقة للعقل والعدل، يكون بقاء ذلك الدين ودوامه وطيدًا محفوظًا، وإن دينًا يستحيل تطبيق فرائضه وتعميم أحكامه على كل نوع البشر، لا يكون إلا وقتيًّا وموضعيًّا.

بما أن اليهودية دين لشعب خاص فلا يتسنى للأقوام الأخرى أن تستفيض وتستفيد منه؛ لأن ما تستفيد الأقوام الأخرى ليس (الكتب الخمسة *Hεντατευχος*) بل ما تشتمل عليه من الفرائض والأحكام، وكانت بعض الأقوام الأخرى راقية إلى درجة ما، ولكن دينهم أيضًا كان محدودًا وابتدائيًا لذلك أمر الله عيسى ﷺ أن يبلغ ويبشر بملكوت الله الذي سيتأسس في آخر الزمان، ويجمع كل بني آدم إلى الدين العام والمسيح ﷺ لم يكن ذا علاقة بتأسيس ملكوت الله، ولكنه بالطبع كان ذا صلاحية ببيان بعض المعلومات عن أوصافه وخصائصه.

وبعد أن أعطينا هذا المقدار من المعلومات الابتدائية عن (ملكوت الله) نبحث الآن عن معنى (كلام الملكوت) بعبارة مختصرة.

ستجري إرادة الله ومشيئته على الأرض في الملكوت الآتي كما هي جارية ونافذة في السموات، بين المسيح ﷺ في هذا الدعاء الذي علمه لتلاميذه موضوعين مهمين هما (ملكوت الله ومشيئته) ولاشك في أن (ملكوت الله) شيء، و(مشيئته الله) شيء آخر، (كلام الملكوت) بمعنى قانون الدولة و(كلام الدين) هو كتاب الدين، أي أنه كتاب مبين يكون مدارًا لإدارة الأمور الدينية، وكما أن ملكوت الله سيكون خلفًا للموسوية، فإن كلام الملكوت أيضًا سيخلف التوراة. فالمسيح الذي التزم حفظ الشريعة الموسوية من غير أن يمس حرفًا أو نقطة منها إلى أن يتأسس ملكوت الله، لا بد أنه قصد أن يبين في قوله إنه يقول: سيأتي يوم تنسخ فيه الشريعة المذكورة، ويفهم منه أنه سيأتي كتاب جديد باسم كلام الله (الكلام القديم).

والكلام المذكور سيجري وينفذ كما في السماء كذلك على الأرض، ولا يخفى أن الملكوت سيتشكل من بني آدم لأنه يرجو أن تجري إرادة الله المرشدة والمدبرة له على الأرض، ومع حرصي على أن لا أتعب قرائي، أراني مضطرًا على كل حال لتدقيق لفظ الإرادة والمشيئة.

هل يتلطف النصارى وعلى الأخص اليونانيون منهم أن يبينوا ما هو معنى كلمة (ثيليما *θελημα*/إرادة) المذكورة والمطلوبة في الصلاة التي يسمونها (الدعاء الرباني)؟

إنهم يستعملون كلمة (إرادة) بمعنى (أمر فرمان، مرسوم) ولكن المسيح لم يبحث عن كلمة فرمان وأمثالها، بل هو يتكلم عن إرضاء الله ومشيئته، والآن انظروا هل من مناسبة بين (أيودوكيا) حسن الرضا) الذي فسروا به أنشودة الملائكة وبشارتهم وبين هذه (الإرادة ثيليما) أم لا؟

فإذا كان كل من عيسى ﷺ وجمهور الملائكة قد أرادوا بها معنى (رضا) فلماذا ترجموها في محل (أيودوكيا $\varepsilon\upsilon\delta o\chi\iota\alpha$) وفي محل آخر ($\theta\varepsilon\lambda\eta\mu\alpha$ ثيليما) وعلى كل حال فتسبيح الملائكة والدعاء الرباني كلاهما في شأن الإسلام والملكوت، وكذلك يجب أن يتفقا أيضًا حول كلمتي (أحمد والكلام) ولما بحثنا في كلمة (أيودوكيا) كنا أوضحنا أن كلمتي (חמד حمد רצון وراصون) تفيدان معنى (أحمد ومحمد) وكذلك معنى (رضا وإرادة) وها نحن أولاء تمكنا من كشف الحقيقة التي نتطلبها من بقايا الإلهامات الإنجيلية.

ليتفكر قرائي الكرام جيدًا أني موافيهم بالتأويلات العديدة للكلمات (حمد، أحمد، محمد) المكتوبة بالعبرانية، ليس بمعنى الألفاظ بالعربية فقط، بل بلفظها وبعين حروفها، لذلك أرجو أن يمعنوا النظر لئلا يحصل سوء فهم.

لا علاقة لكلمة (راضون إرادة) التي في الصلاة المسيحية بأحمد ومحمد لأنها تبحث عن اسم معنوي عن رضا وإرادة، لا عن ذات أو شخص.

لم يتسن لتلاميذ المسيح أن يفهموا منه ما هو ملكوت الله، وما هي إرادة الله[1] فالحقيقة الباهرة التي لم يتمكن الحواريون من فهمها – على ما تقول الكتب الإنجيلية –

([1]) ومما يدلنا على تمكن الحواريين من فهم كلام المسيح على الوجه الذي كان يريده ما يأتي:

– [لوقا 19: 11] (وإذ كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلاً لأنه كان قريبًا من أورشليم وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال).

– [لوقا 24: 45] (حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب) يقول ذلك بعد الصلب الذي يزعمونه. إذن فقد كانوا لا يفهمون ماذا كان يقول إذا كان معهم قبل الصلب والعجب كل العجب في عدم فهمهم إذا كان قد قال لهم هذه العبارات الصريحة التي لا يحتمل أن لا يفهمها أغبى الأغبياء وهي هذه

كيف يفهمها الذين أتوا بعدهم؟ إذًا فلسبب جهلهم حينئذ لم يفهموا ما هو الملكوت ولا ما هي إرادة الله.

لندع البابا جانبًا والبطاركة الذين يدعون القدرة على كشف حقيقة عجز عن إدراكها الحواريون وعلى إظهار كل حقيقة. ولكن ليت شعري كيف يؤول البروتستانت هذا في مواعظهم وقيلهم وقالهم في أيام الأحد؟ وهل هم يوضحون المراد من هذا الملكوت وما هي هذه الإرادة؟

الملة العيسوية مؤلفة من خمسمائة مذهب ونيف وكل منها يدعي أن الجماعة التي ينتسب إليها هي ملكوت الله، وإن إرادة الله نافذة في تلك الجماعة وحدها، وإن الأربعمائة والتسعة والتسعين الباقية كلها في الضلالة، حتى إنه ليؤكد بالأقسام والأيمان المغلظة أن مدعاه صحيح.

* * *

- [لوقا 18: 31] (سيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه في اليوم الثالث يقوم وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئًا).
- [مرقس 9 32] (كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث. وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه).
- [مرقس 18: 31] (وابتداء يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيرًا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام). يقول القول علانية لماذا لم يفهم التلاميذ تصريحات مسيحهم هذه حينما أن قيافا رئيس الكهنة الذي لم يؤمن بالمسيح كان يعرف ذلك؟
- [يوحنا 11 49] (فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئًا ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها). ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة (المترجم).

- 23 -

صفات ملكوت الله وخواصه

ندرج هاهنا صفات ملكوت الله الخاصة أخذًا من التشبيهات والأمثال التي ضربها المسيح عليه السلام.

أ- من صفات ملكوت الله الجميلة أنه عبارة عن التأليف بين كل أنواع البشر من غير تفريق بين جنس وعرق وأمة ووطن، وتوحيدهم بإخاء معنوي وروابط قوية دينية[1] وتشكيل ملة بين الملل منهم، وسوقهم إلى توحيد الإحساسات الدينية والمنافع المشتركة الحقيقية بقصد الاتحاد المادي.

يشبه الدنيا بالمزرعة، وكلام الملكوت يزرع في قلوب الناس كما تزرع الحنطة في المزرعة، والله صاحب المزرعة يرسل ملائكته يوم القيامة المشبه بيوم الحصاد لجمع أبناء الملكوت وبنقلهم إلى السموات [متى 3: 15-24 مرقس4 ، 1-20 لوقا 8 ، 1-15].

ب- ملكوت الله ينشأ آنا فآنا، وينمو سنة فسنة، ويكبر عصرًا فعصرًا ويتقوى على الدوام وبدون انقطاع [مرقس 4، 26-29].

وإذا ما قتل قسم من أبناء الملكوت شهداء من قبل الأشرار الظلمة أعداء الدين كما مثلهم بحبات الحنطة الساقطة على طرف الطريق فالتقطها الطير، أو انمحى على مرور الأيام بعض تعيسي الحظ منهم، فلم يستطيعوا العيش بين الكفار ذوي القلوب القاسية كالحجارة، أو إذا اختنقوا بين الغادرين شاربي الدماء، كما في مثل الشوك، فإن أبناء ملكوت الله الذين في الأرض الجيدة والأماكن الخصبة والممالك الموافقة تنمو وتتكاثر بصورة محيرة للعقول، فيأتي واحدهم بثلاثين أو ستين ضعفًا أو بمائة ضعف من الثمر بحسب سيرة الناس والأرض، ومن العجيب أن معدل تكاثر أقسام ملكوت الله التي تنمو وتتكاثر ليلاً ونهارًا في القوة والمتانة، وفي الفضيلة والمكانة، يكون الواحد ثلاثة وثمانين وثلثًا.

---

(1) في هذا المعنى آيات أصرحها ما في سورة الحجرات (المترجم).

ج- أفراد أبناء الملكوت من جنس واحد، وعلى نسق واحد، يشابه أحدهم الآخر في كل وقت وفي كل مكان وفي كل الأحوال، فالإيمان والغاية والعـادات والتقاليـد واحدة والخلاصة أن جميعهم حنطة وكلهم كالسمك المحبوب الـذي في الشـبكة وأن الذين يحصلون على الدرجة الكاملة في شأن إعطاء الثمر بإيمانهم وفضيلتهم وأعمـالهم يشكلون الأكثرية في كل زمان ومكان. هم حبات الحنطة التي تعطي من الحاصل مائة ضعف[1] وأما الآخرون أيضًا فلا يخلون من إعطاء الثمر على تلك النسـبة للواحـد ستون ضعفًا أو ثلاثون ضعفًا على الأقل، كلهم أحياء وأقوياء ومثمرون، وهناك بـين أبناء الملكوت أولاد إبليس عدو الله ليسوا بالحنطة، بل هم الـزوان [مـتى 13: 24-30].

أولاد الشيطان ليسوا من أبناء الملكوت بل أولئك هم الحشرات النتنه النجسة على سواء في شبكة السمك [متى 13، 47-50 و23،10].

د- نهى الله عن قتل الكفار والمشركين المشبهين بالزوان وجيف الحشـرات وعـن استئصالهم من ملكوته بتة، وهؤلاء سيعيشون على الأرض مـع المـؤمنين إلى موسـم الحصاد يوم القيامة، والله يهبهم الشمس والهواء والمطر كما يهبها لأبنـاء الملكـوت، لكنهم لا يؤمنون أبدًا، ولا يكونون حنطة ولا سمكًا، بل يبقون مكروهين أنجاسًا إلى يوم القيامة [متى 13: 27-30 و3: 12 و5: 45 إلخ].

تجب الدقة في صفة ملكوت الله هذه وهي: لما أرادت الملائكة قطع الزوان من بـين الحنطة وقلمه وإلقائه لم يأذن الله بذلك.

لنتحرَّ أي دين ومذهب يأمر بذلك؟ يجب علينا أن نحبذه وأن نبجله ونقدسه أليس كذلك؟

---

(1) وهذا كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة/261] (المترجم)

هـ- ينمو الملكوت ويتكاثر جدًّا بين بعض الأقوام في مدة قليلة بحيث لا يبقى هناك كافر ولا مشرك، كالخردل والخمير، يؤثر كلام الملكوت في قلوب الناس ويؤدي بهم إلى الإيمان [متى 13، 3-33 ومرقس 4،31-32].

و- أبناء ملكوت الله هم ملح الأرض، وبقدر ما تحتاج الطعام إلى الملح فكذلك كل العالم وجميع أقوام كرة الأرض يفتقرون إلى أبناء ملكوت الله [متى 5، 13 مرقس 9: 50 لوقا 14، 34-35].

والممالك الخالية من أبناء ملكوت الله ممقوته مذمومة لا ملح في آداب معاشرتهم ولا طعم لأخلاقهم الملية، وهي في حاجة إلى أبناء ملكوت الله، ليصلحوا حالها، يهذبوا أطوارها الرذيلة؛ لأن في أفواههم الأقوال الحميدة، والكلام الطيب ذا الملح.

ز- كل حركات أبناء الملكوت وأطوارهم كالنور ساطعة متألقة، وكل من يراهم يفهم عاجلاً من كلامهم وأطوارهم وأخلاقهم من هم وإلى أي دين ينتسبون وبأي كتاب هم يهتدون.

ليجتمع خمسمائة رجل من الأديان والمذاهب المختلفة في مكان واحد، ولا يبحثوا عن دين أو مذهب أو أخلاق، بل يقصروا بحثهم على الفن والتجارة والمسائل الدنيوية المعاشية فإنك لا تلبث نصف ساعة إلا وترى ابن الملكوت علنًا بينهم بصفة محسوسة.

ذلك لأنهم نور العالم [متى 5: 14]؛ لأن أبناء الملكوت كبلدة جميلة على جبل وكسراج منير يضيء بيتًا، يعلن ولا يختفي، يعرف ولا يبقى مجهولاً، يظل مكشوفًا لا يستتر ! لأن النور الإلهي نور الإيمان الذي فيهم يلقي بالأشعة إلى الأطراف فينير كل شخص ويفيده [5: 14-16].

ح- أبناء ملكوت الله لا يكنزون لهم كنوزًا في الأرض حيث يفسدها السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل يكنزون لهم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب السارقون ويسرقون، يعلمون أنهم لا يدومون على الأرض فلا يبتغون من الدنيا غير الطيبات المشروعة، وكل رجائهم في الآخرة وعلى ربهم يتوكلون. مال الدنيا لا يهمهم. وأحب شيء لديهم هو الدين

وكتاب الله، وهم مستعدون كل وقت للجهاد بأموالهم وأنفسهم، وكل غال ونفيس لديهم في سبيل الله. فالذين يأكلون اليوم الربا ويملكون البنوك والثروة والشركات الكبيرة هم الأقوام الذين لا ينتسبون إلى ملكوت الله، ولكن عند اقتراب يوم الضرورة يرثون جواهر الكفار وخزائن المشركين التي تجمعت بالكذب (الغش) والربا المحرم لدفع حاجتهم فقط وليتمتعوا بكل ما هو حلال مشروع من طيبات الدنيا، فإنهم لا يفكرون في جمع الثروة والمال لذاته؛ لأن مال الدنيا في الدنيا يبقى. إن ملكوت الله هو مثال ملكوت السموات، لا يفكرون في جمع الخزائن ليكونوا أغنياء في الدنيا لأنهم عما قليل يتركون الدنيا ولذاتها وخزائنها [مت 6: 19-21].

الأغنياء غير الشاكرين الذين يتوكلون على مال الدنيا هم خارج ملكوت الله [مت 19: 22-24].

ط- أبناء الملكوت لا يعطون القدس للكلاب، ولا يطرحون دررهم أمام الخنازير [مت 7: 6].

بدون أماكنهم المقدسة في وجوه الكفار والمشركين ولا يترجمون آيات الكلام القديم الجليلة إلى مئات من اللغات متهالكين في بيعها وإهدائها إلى كل من يصادفونه[1].

לא תתנו את הקדש לכלבים ולא תשליכו פניניכם לפני החירים מתיא ז. ו.

Μη δωτε τδ ξγτς Κυσι – μηδδ Βαλητε τους μαργαριτας υμων επμροσθεν Χοιρων. [*Ματθ.* **1** :**6**]

(لا تعطوا المقدس للكلاب، ولا تطرحوا لآلئكم قدام الخنازير) [مت 7: 6].

---

(1) قيل: قد ترجم الأتراك القرآن إلى التركية. قلت: ليس كل الأتراك، وإنما تركه من تركه بعد أن أعلن اللادينية، وقد ترجمه الفرنسيون والإنجليز والألمان من قبل؛ ليفهموا من معناه شيئًا، وليست الترجمة من القرآن في شيء (المترجم).

ما هو الشيء المقدس وما هي اللآلئ، التي يملكها أبناء الملكوت؟ آية متى هذه هي الوحيدة عديمة المثل في كل التوراة والإنجيل، ولو ادعى مدع أن مقصود المسيح ﷺ من هذا الكلام ومخاطبه هي الكنيسة، لكان إذن يحق لنا أن نوجه إليهم سؤالاً قائلين:

ما هي الأشياء المقدسة (קדש توهميون)[1] للكنيسة ومن هم الذين يشبههم بالكلاب والخنازير؟ قدس أو مقدس وبالسريانية (قودشا קידשא)؟ يجب أن يكون شيئًا مقدسًا ما هو مصون لدى أبناء الملكوت؟ الرحم مقدس للوالدة الولود!. فانظروا أي عنوان ذي شأن يوجه إلى بنات ملكوت الله ونسائه! فرحم بنت الملكوت التي ستكون أما مقدس طاهر مبارك[2] بنت الملكوت هي الشيء المقدس للملكوت لأن رحمها طاهر وبتول بمثابة الأرض الخصبة التي فيها يزكو الزرع.

فانظروا إلى حكم المسيح ﷺ التي في أعلاه هذه الأسرار العجيبة الباعثة للحيرة ، بنت الملكوت لا تقدر أن تفتح حضن محبتها أو تتكرم برحمها على الكلاب، وعلى الزوان والحشرات المنتنة، لا تتمكن من الاقتران بهم أو الائتلاف معهم، ما أكره من سر! تأمل: أي بنت من أي دين أو مذهب لا يمكنك الاقتران بها؟ حسبك أن تكون ذا حسن أو ذا دراهم، فيمكنك أن تأخذ بنت البرنس الكاثوليكي، أو بنت المليونير

([1]) (هيغيون) اضطررت لكتابتها بالغين لعدم وجود كاف فارسية.

Res curiosa, Lingua tarea Liltera g. usata est, sed nuuquarn imprimatam essevidetur.(المؤلف).

([2]) الكنيسة أيضًا تمنع الزنى والفحشاء ولكن عدد مرتكبات الفواحش في عاصمة فرنسا الكاثوليكية يربو على أضعاف الزوجات الشرعيات اللاتي في جميع بيوت تركيا. أنا أصدق أن المواخير في الآستانة وبلاد المسلمين لم يفتح إلا بضغط الأجانب كما هو الحال في الأمور الأخرى وهي مملوءة من غير المسلمات حسب العرف الرسمي. وفرض على أبناء الملكوت وبناته أن يبتعدوا عن تلك الخرائب الجهنمية وهم بعيدون جدًا عنها (المؤلف).

وقد كان أحد المحامين النصارى في مصر قد ألف رسالة في البراهين على جواز تعدد الزوجات في العهدين القديم والجديد ولو أمعن المسلمون النظر في القرآن لعلموا أن التزوج بأكثر من واحدة لغير عذر وإن كان لا يعد زناء إلا أنه جور وظلم؛ وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء/3]، مع قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء/129] (المترجم)

اليهودي، أو كريمة رئيس أساقفة البروتستانت، وأما بنت الملكوت فلا شك بأنها لو خطبها القرال للزواج لردت طلبه ولو كانت متسولة.

المراد من اللآلئ حسب فكري العاجز عبارة عن كتاب الله والأماكن المقدسة والذين يخربونها ويلوثونها عبر عنهم باسم (الخنزير) المقوت، فالخنزير معروف بالنجاسة وعدم الوفاء لكن الكلب صادق ووفي وذكي ومعين، غير أن له عيبًا واحدًا وهو الميل الشهواني للإناث، فلهذا يقول المسيح عليه السلام: (لا تعطوا أشياءكم المقدسة للكلاب) يريد من أبناء ملكوت الله وبناته أن يتركوا الكلاب خارج بيوتهم، وأن يبتعدوا عن الزوان والحشرات التي تظهر فيها الكلاب.

صفات ملكوت الله الجميلة كثيرة جدًا، ولكنا نكتفي الآن بهذا المقدار منها ليكون أنموذجًا.

* * *

- 24 -

كلام الملكوت هو كتاب الله وقانونه الأساسي

كلام الملكوت هو القانون الأساسي للدولة الإلهية أي الشريعة، ونظرًا لاعتبار أن ملكوت الله دين فالكلام أيضًا كتاب ذلك الدين ودستور عمله، وكل حركة خارجة عن أوامر الكتاب ونواهيه تحدث ضررًا بالملكوت، وكل حركة على وفق أوامر الكتاب هي في مصلحة الملكوت ووسيلة لرقيه، والمسيح عليه السلام كان يعظ بكلام ملكوت الله ويبشر باقتراب تأسيسه.

بحثنا مختصرًا عن بعض المعلومات التي أنبأ بها روح الله عليه السلام مما يعود إلى ملكوت الله، ولننظر الآن ما خبر هذا السفير السماوي الجليل عن كلام الملكوت؟

أ- لا شك في أن صاحب ملكوت الله هو الله تعالى.

انظروا إلى روح الله عليه السلام الذي أتى بنبوة ملكوت الله المقرر تأسيسه على الأرض كيف يعرف الله؟ (أجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) [مرقس 12:29].

لا شبهة في إن المسيح ﷺ ذكر الآية بنصها الحرفي وهي الآية الرابعة من الباب السادس من كتاب التثنية خامس أسفار التوراة، ولنذكر الآية التوراتية باللغة الأصلية العبرانية على الوجه أدناه:

(שמע ישראל י דוך אלהינו ידוך אחך)

(اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد).

هكذا ترجم البروتستانت الآية المذكورة ولكني لا أقدر أن أفهم المقصود والحكمة في ترجمتهم (אחך أحد) في مرقس واحد، وهنا وحيد وإنما يجب قراءة هذه الكتب القديمة باللغة الأصلية، فبالترجمة تذهب معاني الآيات وتفقد فصاحتها وبلاغتها الأصليين. وهي:

(اسمع يا إسرائيل إلهنا يهوه، يهوه واحد) لأن يهوه ليس بمعنى رب قطعًا والفرنسيون فسروا هذا الاسم المقدس بلفظ (Eternel أزلي) وبما أن الأمم أي الأقوام الأخر يسمون أصنامهم ومعبودهم إلهًا، كان الموسويون يضيفون إلى اسم الله الذي يعبدونه (يهوه) وهكذا كانوا يخاطبونه، وبما أنهم لا يتجاسرون على التلفظ بهذا الاسم الجليل الذي يعتقدون بعظم قدسيته، كانوا يقرؤونه باسم (אדוני أدوني) أي رب إذن فالمسيح ﷺ يذكر يهوه لأجل التفريق بين (إله) وبين (الله) ولا أظن أن كلمه (يهوه) إلا عين ما يقصده الطوقيون من (هو) أو (ياهو) وإذا ما أنعما النظر نجد أن عيسى ﷺ الذي يؤيد كلمة التوحيد مكررًا، لا يعبر عن (الله الملكوت) وإنما يعبر عن (يهوه) إله إسرائيل فقط. فالوصايا العشر التي لخصها المسيح وحصرها في أمرين فقط أي بوجوب حب الله وحب الجوار ليس لها علاقة ولا شمول لغير الملل اليهودية؛ لأن (يهوه) كان (الله إسرائيل) فقط ، لذلك كان كل يهودي مكلفًا بحب الله (يهوه) أكثر من روحه والمسيح ﷺ كان يصدق ويحفظ جميع أحكام الشريعة نقطة فنقطة بصفته يهوديًا تامًا، وعلاوة على ذلك بين لهم ملكوت الله أيضًا.

عندما ترك المسيح ﷺ مملكة اليهود وتوجه إلى البقعة الشمالية المسماة (الجليل) أجل الوعظ والتبشير بكلام الملكوت اضطر إلى أن يجتاز أرض السامرية فجاء إلى

البلدة المسماة (سوخار) تعبًا عطشان وجلس عند بئر يعقوب وجاءت في تلك الساعة امرأة سامرية لتستقي ماء فقال لها المسيح ﷺ. (أعطني ماء لأشرب. قالـــت المـــرأة السامرية: كيف تطلب مني ماء وأنت يهودي وأنا امـــرأة ســـامرية؟! لأن اليهـــود لا يعاملون السامريين). وعلى هذه الصورة جرى بين المسيح ﷺ وبين المرأة مكالمة دينية مهمة جدًّا. رويت في الفصل الرابع من كتاب (يوحنا)؛ فالمرأة التي أدركت أنـــه نـــبي خاطبت تلك الحضرة قائلة: (آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون: في أورشـــليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه).

كلام المرأة هذا صحيح جدًّا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام لم يسجدوا في أورشليم بل كانوا يسجدون في ديار (شـــكيم) [تكـــوين 33: 18-20 و28: 22] وعندما رجع يعقوب من فدان (بدان) آرام جاء إلى (سالم)[1] بلدة (شكيم) ونصب خيمته أمام البلدة، وبنى هناك مذبحًا ودعاه (إيل ألوه إسرائيل).

وأما بلدة أورشليم فقد فتحها داود ثم بنى ولده سليمان عليهما السلام فيها هيكله (المسجد الأقصى) ومن ثم بوشر بالسجود هناك.

وأما المسيح ﷺ فقال لها: (يا امرأة، صدقيني؛ إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبـــل ولا في أورشليم تسجدون للآب.. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا[2]؛ لأن الآب أيضًا يطلب له مثل هؤلاء الساجدين) [يوحنا 4: 21-24].

إذن فهو لا يقول: اسمع يا إسرائيل، يهوه إلهنا يهوه واحد. فهنا ليس المقصود (إلهنا) الذي لا يقوله إلا اليهود، بل هو (آب وإله جميع الأمم) وبناء على أن الله منـــزه عن

([1]) البروتستانت قد ترجموا هذه الآية هكذا: (آتي يعقوب سالمًا إلى مدينة شكيم). وهو غلط، والصحيح: (آتي إلى سالم بلدة شكيم איקדש ויבא יעקב שלם ציר) (المؤلف).

رأيت أن قد قال بعض البروتستانت بما يفسره المؤلف. واسم المذبح (שכסל אלהי ישראל) (المترجم).

([2]) هذه العبارة قد اختصرت من يوحنا، وقد فات المؤلف هنا أن يقول: إن مراد المسيح ﷺ أنه متى جاء يوم الملكوت وظهر الإسلام يسجد لله في كل مكان؛ لأن كتابه القرآن يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ إلخ [البقرة/115]، ورسوله يقول: "وجعلت لي الأرض كلها مسجدًا" (المصحح).

المكان والزمان فإن يكون محل السجود له لا جبل شكيم ولا معبد أورشليم. وبما أن الله مبرأ عن المثال والشبيه فسيسجد له الساجدون بالروح والحقيقة. فالرب يهوه تصوره التوراة في شكل إنسان فبالطبع كانوا قد تلقوه كأنه له مكان ومحل إقامة في أورشليم، ويأتي على شكل إنسان ماشيًا على قدميه وقت العصر عند آدم وحواء في جنة عدن، وارى ظهره موسى، وظهر في زمن دانيال بشكل شيخ هرم جدًّا ذي لحية بيضاء. أما الله ذو الملكوت فمنزه عن هذه الأمثال والأشباه والأشكال، هو روح ليس بجسم ولا هيولى بل وجود مطلق وواجب الوجود. أحد ليس مركبًا من أجزاء ولا عناصر ولا منقسمًا إلى كثير. وبما أنه خالق لا يكون مخلوقًا. وأنه وإن كان أبًا أي مُوجِدًا لا مولودًا ولا مُوجَدًا وكما أنه لا شيء من الموجودات التي خلقها يسمى (الله) فكذلك المولود (الابن الوحيد) المعزو إليه لا يدعى (الله).

وأما الكنيسة فبتجويزها الإصلاح إطلاق (والد) محل (آب) تكون قد أقرت واعترفت بالكثرة في الألوهية.

وبما أنها مضطرة إلى التسليم بأن ذلك كفر فهي تتشبث بإثبات الباطل باعتقاد وادعاء وجود وبقدر ما كان السوفسطائية[1] الذين يتصدون ويقومون للبرهنة على (أن الجهل عقل) يشهرون أنفسهم بالسخرية عند حكمائنا فكذلك (المتكلم) أي المنتسب إلى علم الكلام الذي يسميه المسيحيون (علم اللاهوت) الذي يدعي أن الله والد يعرض هيكله بالجهل على ساحة المضحكات في مجلس العارفين. ومهما كان الفرق بين التكوين والتوليد وبين المخلوق والولد فكذلك الفرق بين الخالق والوالد. إن التكوين فعل قديم وعمل أول. والتوليد فعل جديد وعمل ثان، فالتكوين بمعنى فعل الواحد، أما التوليد فعبارة عن اشتراك عمل فاعلين اثنين. وبناء على ذلك فالله تعالى أولاً يوجد من العدم ويكوّن ويخلق، ثم الموجدات الكائنة تتوالد فيما بينها أي أنها تثمر وتتناتج.

---

(1) (Sophista σοφιστης) تطلق على ذلق اللسان الذي يحاول إثبات الباطل والكذب بأصول المنطق أ هـ من الأصل. والمراد من أصول المنطق قياس المغالطة منه دون البرهان (المؤلف).

إن الذي دس في فكر الكنيسة فكرة (الأبوة والبنوة) الإلهية السقيمة هو الخصي الكوسج المصري خادم الرهبان المسمى (أوريفين)[1] وهذا عندما شرح هذه الآيات المذكورة عرفه قائلاً:

(αληνως μονογενης ως περι πατρδς حقيقة أنه من عين جنس الآب (الله).

أي باعتبار أن مريم أمه فهو من عين جنس الإنسان (أو مساو لجنس الإنسان) وباعتبار أن الله أبوه، فهو من عين جنسه (مساو لجنس الله) (حاشا) وهذه عبارة (هرموسيون) أي (واحدي الجوهر أو من عين الجوهر) هي التي أصر عليها تليثيو نيقية وأثبتوها في دفتر اعتقادات العيسوية.

وإذا كانت هذه الفلسفة اليونانية هي التي أفسدت كلام المسيح عليه السلام في شأن التوحيد الخالص المحض، فإننا إذا صححنا الغلط الواقع على أصول الفلسفة المذكورة، فإن شرف نجاحنا يعود إلى حضرة أستاذنا المقدس أرسطو.

في رأس المقولات العشر (كاتيفوريا) أو أولها الجوهر (أوسيا) ولنفرض أن عيسى هو آخر ما تحتويه المقولات من الصفوف فعنوان (أوسيا) يحوي تحته كل الموجودات الروحانية والجسمانية التي ترد على العقل والفكر والخيال؛ لأن كل موصوف إليه من التسع الأخرى (الكاتيفوريا) لها صنوف خاصة أيضًا[2].

([1]) (**Origenus** أوريغينوس): راهب أعزب عالم عارف باللغات عاش في العصر الثاني للميلاد ترجم كتب التوراة إلى ست لغات وكان له تآليف كثيرة، وكان من الممكن عده من أكبر معلمي الكنيسة الأعزة؛ لأنه هو الذي كشف عن ولادة عيسى الأزلية، ولكن لم يكن من الجائز أن يستحق العزة؛ لأنه لم يكن تام الأعضاء بل هو خصي من الخدم (المؤلف).

([2]) إنني لم أفهم هذا البحث كما أفهم بحث الكليات والمقولات مما تلقيته من الكتب العربية من اصطلاح علماء المعقول، ومن ذلك أنني لم أعلم المراد من كلمة الصنوف هنا والصفوف قبلها (والموصوف إليه) ولا من احتواء الجوهر على عيسى عليه السلام فإن عيسى في اصطلاح علماء الفلسفة والمنطق جزئي لأنه شخص، والجوهر تحته خمسة أجناس كلية هي الهيولى والصورة والجسم والنفس والعقل ويعرفونه بأنه (ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع) والماهية ما يتعقل من معنى الكلي كالجنس مع صرف النظر عن وجوده في الخارج فإذا وجد في الخارج يسمى حقيقة. وأما الموضوع هنا فالمراد به محل المرض المختص به، وإنما سميت الأعراض أعراضًا لأنها تعرض

الجوهر (أوسيا $ουσια$) إما قائم بذاته وإما قائم بغيره، أي أنه إما وجود مطلق، وإما وجود مقيد، فالوجود المطلق القائم بذاته هو الله تعالى وهو منزه عن الزمان والمكان؛ لأن حياته لسيت مقيدة بالزمان، وعرشه ليس مقيدًا أو محدودًا بالمكان. إذن فالمقولات الأخرى ليس لها تعلق قطعًا بالله تعالى لا صنفًا ولا جنسًا لأنها محدودة ومتحيزة، وأما الله تعالى فليس متناهيًا ولا محدودًا ولا متحيزًا، والوجود القائم بغيره إما روحاني أو جسماني، والوجود الجسماني إما ذو حياة أو جماد، وذو الحياة روح أو نبات، وذو الروح إما ناطق.

أولاً فإن كان ناطقًا فهو من جنس الحيوان ونوع البشر، وهذا يشير إلى موضوعنا عيسى المسيح.

فالفرد من نوع البشر لا يمكن في أصول الفلسفة أن يكون متجانسًا مع الوجود المطلق؟ ثم لا يكون الإنسان الذي هو من الجوهر المحدود مساويًا لغير المحدود، ثم إن لك في الفلسفة المذكورة أن تفكر: هل لله جنس وهو الوجود المطلق؟ هل يريدون تشبيهه بالأجناس الأخرى؟ كلا إنه لا نسبة بين الله تعالى والمقولات العشر غير النسبة التي بين الخلق والمخلوق وهي التباين في الذات والصفات، فلا المحدود يكون مجانسًا لغير المحدود ولا الجوهر المطلق يكون متحدًا بجوهر مطلق آخر، فذات الله تعالى لا يكون مساويًا لموجود آخر فيطلق عليه اسمه؛ لأن المساواة من خواص الحدود والقياس وأما غير المحدود فلا يمكن أن يكون له مساو، بناء عليه فإن عبارة (مونو غينيس) واعتبار المسيح مساويًا لله تعالى مستحيل واعتداء على العقل والفلسفة[1].

للجوهر، والمتكلمون يقولون للجوهر ما يقوم به بنفسه والعرض يقوم به. والله تعالى ليس جوهرًا ولا عرضًا، والمؤلف يوافقهم على هذا كما يأتي قريبًا (المصحح).

([1]) قد تصدق نظريات الفلسفة على المحسوسات من الطبيعة ومع ذلك فإنها لا تخلو من الغلط في ذلك فكم من نظرية قبلت مدة ثم ظهر فسادها بعد مدة طويلة كما خطأ أينشتاين نيوتن. أما ذات الله فلا سبيل للفلسفة أن تبحث فيها لأن ذات الله غيب محض عن إدراك كل المخلوقات، وكلما خطر ببالك فالله سوى ذلك. ولو كان للفلسفة سبيل للبحث عن ذات الله لكانت الاعتقادات علمًا بشريًا ولم يبق من حاجة إلى الرسل، ولا يجوز لنا أن نطلق على الله ما لم يطلق على نفسه في كتبه فليس من الجائز أن نقول إن الله هو جوهر مطلق ولم تدخل الفلسفة في

والأسباب التي ساقت العيسوية إلى فيافي الضلالة وأوقعتهم في قعر هذه الظلمات هي سوء تأويل لتعبيرين أو ثلاثة لكلمتين أو ثلاث كلمات سامية نقلت إلى اللغة اليونانية: كلمة أطلقت وهي محصول فكر حكيم عبراني (يهويست)[1] وعلى إثر نقلها إلى موضع التدقيق في فلسفة الأفلاطونيين تلك الفلسفة الداهية حدثت بها أشكال وأفكار وعقائد جديدة.

في اللغات السامية مادة (ילד يلد) بفتح فاء الفعل وعينه وهي (ولد) العربية بفتح فاء الفعل وكسر العين بمعنى (التوليد والولادة أو الخلق والإيجاد) والفعل المذكور ورد استعماله مجازًا في الكتب العبرانية بمعنى الخلق والإيجاد. ولكن كيف تحول إلى اليونانية؟

(γεννω گنّو) بالكاف الفارسية وتشديد النون، ويشتق من (γεννιν) بمعنى (أنا أحصل خلقًا، أنا أولد).

باليونانية	القراءة	المعنى أي الترجمة
γενος	كنوس	جنس، أصل، تولد، ذرية genus
γενεσις	كنسيس	تكوين، الولد genesis
γεννητωρ	كنطور	مكون، والد، أب genitor
γεννητὸς	كنبطوس	ولد، وليد، مولود genitus

(1) كتب التوراة الخمسة والستة مؤلفة من أسفار مخصوصة لثلاثة مؤلفين:

أحدهم: (يهويست) وهو دائمًا يذكر الاسم (يهوه)، وله أسلوب خاص به.

والآخر: (ألوهيست) وهو يذكر الله باسم (ألوهيم).

والثالث: المحرر أو (ريداكتور) وهو يوحّد ما ألفه الأولان (المؤلف).

وقد نشر الأستاذ/جبر ضومط المدرس في كلية بيروت الأميركانية رسالة استدل فيها بنظريات لا بأس بها على أن سفر التكوين من تأليف: يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام، يقول فيها: إن كشف هذه الحقيقة كانت نتيجة بحثه ودرسه للكتاب المقدس مدة عشرين سنة، ومما أراه مؤيدًا لهذه الفكرة ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ [المؤمن/34]. على أن لا يوجد في الأسفار أن يوسف جاء قوم فرعون ببعثة نبوية أو آيات إلهية مستقلة؛ فيحتمل أن يكون الذي أتى به يوسف هو سفر التكوين (المترجم).

ومن المعلوم أنه لما وضع الفيلسوف أرسطو χατηγοριω مقولاته وضع بمقابل ذلك مفسر الفيلسوف فورفور χαηγορηματα الكليات الخمس وكانت عبارة عن: الجنس والنوع والفصل والعرض العام والخاصة، ولا بد لكل الموجودات القابلة التصور والتي صنفها أرسطو في المقولات العشر، على كل حال أن تكون واحدة من هذه الكليات الخمس[1] التي صنفها فورفور. مثلاً إذا سألت (من هذا الرجل؟) فالأجوبة التي تعطي نحو (هذا الرجل رسام ماهر، أو جاء من أزمير، أو هو يصلي) كلها مغايرة للمنطق. لأن السؤال عائد إلى الرجل، وبما أن الرجل عائد إلى مقولة (الجوهر ουσια) فالفكر يصعد حالاً إلى الجوهر. والجوهر إما وجود مطلق أو مقيد (ذو روح، حيوان، إنسان، حسن) فبما أن هذا المسمى حسن هو أحد الأفراد المنسوبة إلى جنس الحيوان وإلى نوع الإنسان فلو كان التعريف بصورة (هو ابن عمي حسن أفندي) فيكون الجواب موافقًا للمنطق، أما الجواب الأول فكان عن الكيفية، والثاني عن المكان والثالث عن العمل.

وليس المقصود بكتابة هذه الأسطر التشدق بالبحث عن كمالات أو نقائص كاتيفوريا أرسطو طاليس، ولكني أريد تشهير التأثير السيئ الذي أحدثته الفلسفة اليونانية على الكنيسة.

أسال من قسيس عيسوي (من المسيح؟ δ υιδς μανογενης του θεου) يجيبني قائلاً: (ابن الله الوحيد) [يوحنا 3: 16: 18 و 1: 18].

فانظروا الآن (موذكينيس) بمعنى (مساوي الجنس، مساوي العرق، من عين العرق، من عين الجنس والنسل).

([1]) يعلم بالنظر في علم المنطق أن الله تعالى ليس بجنس ولا نوع ولا فصل ولا عرض عام ولا عرض خاص (خاصة) وبالنظر في المقولات العشر تعلم أنه ليس بكم أي أنه ليس متعددًا أي لا يكون اثنين أو ثلاثة أو أكثر - وليس بكيف أي ليس متصفًا بإحدى الصفات النفسانية أو الجسمانية. وليس بفاعل بالطبع أي لا يلد. وليس بمنفعل أي لم يولد من غيره. وليس بزماني بمعنى أنه كان في الزمان الفلاني أو لم يكن في الزمان الفلاني. وليس بمكاني أي لا يقال إن الله فوق كذا أو تحته أو على يمين كذا أو يساره أو في الشرق أو الغرب. وليس له وضع أي لا يقال وجهه في الطرف الفلاني وظهره في الجهة الفلانية. وليس يملك غيره. كما في سائر الأجسام والمخلوقات (المؤلف).

كان نيقوديموس رجلاً من الفريسيين وأحد أعضاء مجلس صافهيدرين، أتى ليلة لزيارة عيسى ﷺ، وكان عيسى ﷺ يتكلم في شأن ملكوت الله ولا شك أن المحاورة كانت باللسان العبراني أو الآرامي، ونص المحاورة باللغة الأصلية مفقود.

وإنجيل يوحنا كتاب كتب باللغة اليونانية وأصيب بالتحريفات العديدة في العصر الثاني أو الثالث فلا يجوز التعويل عليه، على أنه لا يوجد فيه عبارة صريحة مما أسنده مؤلفه إلى فم المسيح تدل دلالة قطعية على أن المسيح هو الله، فإن المسيح ﷺ كان يريد في هذه المحاورة العميقة – التي تركت نيقوديموس متعجبًا مبهوتًا – أن يقول: (لأجل الدخول في اليهودية تكفي الولادة من الماء، أي من (المني) ولكن لأجل دخول الملكوت لا بد من ولادة جديدة من الماء والروح والتولد الجديد هو التكون الجديد والخلق الجديد، وهذا يجب أن يولد من فوق أي من الله تعالى[1] ولما لم يفهم الشيخ الفريسي هذا كرر روح الله كلامه قائلاً ما حصله: أنا لا أقول لك بالدخول في رحم أمك والتولد ثانية ولا فائدة في ذلك، لا أبحث عن التولد الطبيعي، فإن كنت لا تفهم هذا وأنت من (سن سينود) لليهود فماذا يكون حال الآخرين؟ أتيت للإعلان والتبشير بأن ملكوت الله سيأتي ويتأسس وأنا روح الله، خلق الله روحي وأرسلني بنبوة خاصة، وبما أني إنسان وأنا في عين هذا الوقت (مونوغينيس) أي أني المخلوق الوحيد الآن لملكوت الله (لأنه لم يتأسس بعد) فأنا أول أبناء الملكوت وولده الوحيد، ولكن سيأتي إنسان آخر (ابن آدم، بارناشا) مثلي ويؤسس الملكوت، وذلك الإنسان لا يزال في السموات، روحه عند الله؛ لأنه لم يصعد أحد إلى السماء الآن ابن الإنسان النازل من السماء وهو (الآن) في السماء [يوحنا 3: 13].

دين إلا أفسدته وفرقت أصحابه طرائق قددا كما وقع المسلمين الخلاف عند تلقيهم الفلسفة وتوغلهم في علم الكلام (المترجم).

([1]) يقدم المؤلف برهانًا آخر على أن لفظة (يولد) هي بمعنى (يخلق أو يتكون) لأن الإنسان يولد من أمه وأبيه ولكنه يخلق من (الماء) الذي هو (المني) غير أنه قد يطلق التعبير يولد من المني مجازًا والمراد أنه يخلق أو يتكون من المني (المترجم).

أقول: ألم يتضح أن عيسى هذا ابن آدم الذي أغرق الفريسي الهرم في الحيرة شيء، وابن آدم الذي لا يزال في السماء وسينــزل أخيرًا شيء آخر؟

فهذا كلام قاله المسيح ﷺ حينئذ بفمه في أرض فلسطين بلغة أمه، وبعد مائتين أو ثلاثمائة سنة ظهرت في الوجود ترجمة يونانية عن الكلام الذي فقد متنـــه، والفلاســفة يتفلسفون فيه ويخرجون من العدم معاني أخرى يصورونه بهــا وهــا هــو ذا ســيدنا عيسى ﷺ يبين ويعلن في جميع مواعظه ومحاوراته بكمال الإخلاص والصدق أن كلام ملكوت الله هو كلام التوحيد، ومن البديهي أن عيسى الذي لم يرض أن يخاطب بعنوان (الكريم، الصالح) لا يقبل أن يكون مساويًا لله أو متحد الجوهر -أي: الــذات- مــع الله[1].

ب- يبين كلام ملكوت الله علنًا أن أبناء الملكوت لا يجدون أي كلفة أو صعوبة في التوبة والاستغفار والصلاة والسجود لأجل التقــرب إلى الله، وقــد بلغنــا ســيدنا عيسى ﷺ أن لا حاجة إلى توسط أي شخص ثالث بين الله وعبده وأن ذلك ممنــوع البتة. لا حاجة إلى الشفعاء والكهنة والقسيسين والمعلمين عنده. وإن الشفيع المطلــق لأبناء الملكوت هو التوحيد لا التثليث.

أولئك يتمكنون من ملاقاة ربهم رأسًا وبلا واسطة في الزمــان والمكــان اللــذين يريدونهما، بالقلب وبواسطة الدعاء، يلاقون ربهم معنويًا ويوالونه. لا ضرورة تضطرهم أن يذهبوا إلى أورشليم، فيقدموا للكاهن ثيرانًا وخرافًا وشرابًا وزيتًا ونقودًا. لا حاجة تدعوهم في استغفار ربهم إلى التوسل إليه بعبادة تماثيــل المكــرمين و الأصــنام أو إلى الاستغاثة أمام القبور والتضرع أمام الهياكل بالذلة والمسكنة، أو إلى إيقاد الشــموع، وتقديم الهدايا والنذور للموتى، لم يبق من حاجة إلى تقديم الهدايا والحملان والحمام إلى الكاهن كما تتطهر نساء الملكوت اللاتي تنجسن بدم الحيض أو النفاس، إذا وقع أبناء الملكوت أو بناته في خطيئة فلا يحتاجون إلى الذهاب إلى القسيس أو الراهب أو المعلم

---

(1) هلا يفطن العيسويون إلى كلام المسيح نفسه ﷺ إذ يقول: (لأن أبي أعظم مــني) [يوحنــا 14: 28]، فــأين المساواة بالله؟ يا لَلْعناد (المترجم).

أو إلى أي مخلوق ليعترفوا له؛ لأن صاحب الملكوت يغمر عبيده باللطف والإحسان بسبب أعمالهم الصالحة وسعيهم ومزاياهم الذاتية، لا لأجل خاطر هذا وذاك كلام الله وشريعته المقدسة يجعل كل واحد من عباده محترمًا مكرمًا ويعين حقوقه ووظائفه. يمنع الاعتداء والبغي، شريعة الله تسوقهم إلى الله رأسًا وتريهم طريق الهداية، كتاب الله قد بين الفرائض والمحرمات بصراحة فيما يخص إرشاد العباد.

يقول: اذهب يا عبد الله اذهب واعرض كل رغباتك وحاجاتك وخسراتك ومشكلاتك ووجهها إلى من أنت عبده، ارجع عن فلان وفلان وأقبل على خالقك وحده بخلوص النية والإيمان واطلب منه كل ما تتمناه. إن إلهك يطلب منك إيمانًا وعملاً صالحًا فقط، ولا يطلب منك شيئًا آخر. إن الذين يحبون فخفخة المراسيم الدينية ومظاهرها الخلابة هم عباد الظواهر كما كان يفهم القدماء وليس الله عز وجل ليس لله فم يأكل، ولا معدة تهضم لحوم الحُمْلان، أو مشويات الطير، أو مقليات أفخاذ الثيران، أو الخمور البيضاء والسوداء، أو الخبز المدهون والمعسول لا تنخدع، فإن الكهنة أو المجوس هم الذين يأكلوها ويشربوها باسمه. ليس لملك الملكوت أن يأكلها ولا يصل إليه منها شيء إن مالك الملكوت منزه ليس له كالبشر حاسة شامة تستلذ الروائح العطرية والأزهار الربيعية، أو تستكره الروائح الكريهة حتى تتقرب أنت إليه بها.

هيا اذهب إليه بمجرد نفسك وقلبك وإيمانك وتوحيدك، فإنه لا يريد منك مثل هذه الأشياء التي تهديها باسمه إلى من يستغفر لك. إن إلهك ليس في المعبد الفلاني أو المكان الفلاني أو العيد الفلاني أو اليوم الفلاني. فإنه قريب في كل مكان وكل زمان، فاذكره وادعه بلسانك أو بقلبك فهو يسمعك ويقبل عريضتك لأنه روح وأنت تخاطبه بروحك ونفسك وفكرك. اسجد له بالدقة والاحترام من غير جلبة ولا لغط متذكرًا أنك في حضرة ربك، فإن ربك لا يحب التظاهر بالدف وآلات الطرب والأبهة والأجواق أثناء العبادة والصلاة. وأن ينفر من الأيقونات ومن صور الملائكة الحسان ومن تغني النساء وعزفهن على البيانو والأرغون، وكل الذين يقيمون هذه المواسم هم عباد الظواهر وإنما يفعلوها للإغواء ولتحريك شعور الطرب والعواطف النفسانية.

وأنتم أيها المؤمنون، عبيد الله المحبوبون، كبروا الله واشدوا بعظمة الله وكبريائه وعزته وجلاله بالأدب والهدوء والاحترام، ولكن بالروح والقلب، لا باللهو واللعب، (وأما أنت فمتى صليت (دعوت)؛ فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علنًا) [متى 6: 6].

وهنا لا يقصد المسيح عليه السلام أن ستلغى صلاة الجماعة ولكنه يقصد أن ابن الملكوت المتشبع بروح الدعاء وعشقه يدعو ربه في خلوته وحيدًا منفردًا في الخفاء.

إن مسألة الشفاعة تشغل موقعًا مهمًّا جدًا في جميع الأديان، فإن مؤسسي الأديان يشفعون عند الله للأمم التي تنتسب إليهم. وهذا أمر طبيعي نرى فيه التوراة تكرارًا أن الله رفع غضبه عن بني إسرائيل بسبب شفاعة موسى عليه السلام [عدد11: 1-3 و12: 14 إلخ]. وكتب يوحنا أن المسيح أيضًا في أيامه الأخيرة ناجى الله وشفع في تلاميذه [يوحنا 17].

وقد كانت هذه المسألة أول الأسباب التي انتهت بي إلى عصيان الكنيسة: تأمرني الكنيسة أي المسيحية أن أومن بالأمور الآتية في الشفاعة:

1- أن الله لا يخلص أحدًا من جهنم (من الهلاك الأبدي) بدون شفيع.

2- أن نوع البشر مفتقر بصورة قطعية ومطلقة إلى شفيع.

3- يجب أن يكون الشفيع المطلق إلهًا تامًّا وإنسانًا تامًّا.

يقولون: إن هذا الشفيع الإله التام والإنسان التام هو المسيح، إذ لا يمكن إبقاء مهمة الشفاعة بوجود الإله التام وحده؛ لأن التقرب من الشفيع الإله التام مستحيل كما أن التقرب من الله الذي لا يخلص أحدًا من جهنم بغير شفيع خارج الإمكان، والشفيع الذي هو إنسان تام فقط إنما يتقرب منه بنو جنسه فقط، ولكنه لا يتقرب من الله بحسب إنسانيته، وهذا هو الشفيع المطلق الذي في مخيلة الكنيسة.

4- الرسول بولص يصور مهمة هذا الشفيع الحمل[1] المتشكل نصفه من التراب[1] ونصفه الآخر من الوجود المطلق على الوجه الآتي:

([1]) 1 بطرس 1: 19-21 بولس إلى العبرانيين 9: 12و 14 و26. رؤيا يوحنا 5: 9 إلى الرومانيين 3: 25 و16: 5: 26 ورؤيا يوحنا 13: 8 إلخ (المؤلف).

- (الذي مات وعلى الأخص قام أيضًا والذي هو أيضًا عن يمين الله الذي أيضًا يشفع فينا هو المسيح) [إلى الرومانيين 8: 34].

- (وأما هذا (عيسى) فإنه باق إلى الأبد له كهنوت لا يحول، ومن أجل ذلك هو قادر أيضًا على أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين لأجل الشفاعة فيهم) [إلى العبرانيين 7: 24-25].

- (لأنه يوجد (إله) واحد، ويوجد وسيط واحد بين الله والناس: الإنسان عيسى المسيح) [رسالته الأولى إلى تيموثاوس 2: 5].

5- الوظيفة المحملة على عاتق الشفيع المذكور هي عبارة عن أن يكون جالسًا على يمين عرش الجبروت منذ تسعة عشرًا عصرًا يعرض بيديه ورجليه المثقوبات بالمسامير، وجنبه المجروح بالحربة لا إلى نفسه، بل إلى الله الآخر - كلما أجريت مراسم (قربان القديس) من قبل الرهبان الكرام في آلاف من الكنائس والأديرة وكأنما يدا رجل كان يسمى يسوع ورجلاه وجنبه لم تتفسخ منذ زهاء عشرين قرنًا أو كأنما جسد بشري عبارة عن لحم ودم وعظم تمامًا يزين عرش اللاهوت بعرض هيكله لأجل خاطر الكاثوليك والأرثوذكس والنصارى المتجددين قليلاً، المدعوين بروتستانت.

6- كانت الكنيسة تأمرني بوسيلة شفعاء آخرين لا يحصون عددًا، وكانت تفرض علي ابتغاء الوسيلة إلى ميكائيل وجبرائيل الملائكة الآخرين والحواريين والأعزة والمعترفين[2] والكنيسة على أن رئيستهم مريم، ولو ترون كتاب الزبور كيف حولوه باسم مريم، وإن مريم لم تبق من النساء بل انقلبت (وينوسه) أي إلاهة وقد محيت أسماء الله (يهوه) وقدير من كتب المزامير[3] التي يخاطب بها الله تعالى وأثبت بمكانها اسم مريم. وأذكر هنا إحدى آيات الزبور التي في حفظي لأجل المثال:

([1]) آدم: معناه اللغوي: تراب، أو: تراب أحمر (المؤلف).

([2]) المعترفون: مسيحيو العرب أيضًا يستعملون بينهم كلمة (مودیانا) السريانية، وهم الأولياء العيسويون الذين تحملوا العذاب والاعتساف في سبيل المسيح ودينه ويدعون (Confessores) (المؤلف).

([3]) الزبور قسم واحد فقط من المزامير الموجودة في أسفار العهد القديم (المؤلف).

(Laudat pueriDeo احمدوا الله يـــا أولاد) فالكاثوليـــك لأجـــل إظهـــار عبوديتهم لمريم طووا من الزبور هذا وأضافوا إليه بعض الآيات تعمدًا بقصد تحويلها إلى عبادة مريم:

(Laudat pueri Matia احمدوا مريم يا أولاد) وهذه الكنيسة كلما صلى فيها مرة واحدة بالصلاة الربانية (أبانا) يصلي فيها بالصلاة المريمية عشرين مرة.

7- وكانت الكنيسة تأمرني أن أعتقد أن الرهبان المأمورين بإجراء الأسرار السبعة هم أيضًا شفعاء مطلقون، وأن لا خلاص ولا نجاة أبدًا بدون الراهب، ويجتمون بـــأن شفاعة الكهنة والرهبان شرط قطعي متبعين طبيعة جلوسهم على يمين المسيح.

وكانت الكنيسة تقول لي: (ما لم يعمدك قسيسك، وما لم يضع لقمة مـــن قربـــان القديس في فمك، وما لم يدلكك عندما تموت بدهن الزيتون، فإن شئت كـــن كريمًـــا ومقربًا للفقراء كإبراهيم، وصبورًا ثابتًا كأيوب، وحليمًا سليمًا كموسى، وعالمًا حكيمًا كسليمان، وزاهدًا كريمًا كالمسيح، ومستقيمًا متينًا كمحمد، كل ذلك عبث وهباء. أي مهام يكن إيمانك سالمًا وأعمالك مقبولة عند الله، وإيمانك وصلاحك مسلمًا بهما عنـــد الناس، فكل مزاياك وفضائلك لا بد من بقائها بدون ثمرة ما لم تدخل إصبع القسيس في الوسط.

وكانت مسألة الشفاعة هذه هي التي حيرتني، وأورثتني الريب في صحة المســـيحية، وساقتني إلى البحث الدقيق وفحص أسس الأديان بحرية، وإني على ثقة من أن كتـــبي هذا الذي لم يسبق له مثيل لحد الآن سيبرهن على صحة دعواي بأن غايتي إظهار حقيقة للعيان كانت نتيجة مطالعاتي الجديدة وتتبعاتي الخاصة، عاريًا عن الغرض والغضب.

والآن ألخص نتيجة التدقيقات العميقة التي أجريتها في موضوع مسألة الشفاعة على الوجه الآتي:

1- استدللت بالعدل الإلهي على أن الله لا يتخذ لديه شفيعًا مطلقًا بصورة قطعية، وعلى فرض كون الشفيع المطلق هو الله، فبما أن نوع البشر شيء زهيد وقليل الأهمية بين الكائنات، كنت أرى من الأوفق للعقل أن يكون تعالى قادرًا على تخليصـــه بغـــير

شفاعة أحد على الوجه الذي يشاؤه فقط، وإذا كان الشفيع المطلق بشرًا أيضًا فحينئذ يكون تخليص جميع البشرية التي قد نفر منها هو لأجل محاباة مخلوق واحد[1] وكما يقتضي العدل أن يعاقب المستحقين للعقاب يقتضي أن لا يحتاج غير المستحقين له إلى الشفاعة لأجل خلاصهم من العقاب.

2- ماذا تكون نظرية الشفيع المطلق غير إسناد الضعف والجهل والظلم وسوء النية إلى الله تعالى؟ وهل يغفر الله القادر المطلق العليم الرحيم إلى مثل هذا الشفيع؟

ثم إلى من سيكون الخاطئ المعفو عنه والعتيق المخلي سبيله أكثر امتنانًا، وإلى من يكون مدينًا بالشكر؟ إلى الله أم إلى المخلص؟ بالطبع أن يحمل أكبر منة وأكثر محبة نحو الشفيع المطلق، وبأي واسطة كانت فسيكون المجرم مدينًا بالشكر إلى الأبد إلى الشفيع مخلصه من سكين الجلاد، من حيث يذكر القاضي بإهلاكه دائمًا بصفات القهر وحب الانتقام.

3- حضرات أنبياء الله عليهم السلام يتمكنون من أن يشفعوا في أممهم المنتسبة إليهم ولكن بالشفاعة المقيدة، وشفاعتهم مقبولة عند الله على الأغلب، ولكن ليس ذلك بمعنى أن الله تعالى يكون مجبورًا على قبول شفاعتهم فهؤلاء بصفتهم وسطاء مأمورون بإعلان إرادة الله بين أممهم وتبليغهم أوامره ونواهيه كانوا يتضرعون إلى الله أن يهون محنتهم ويقضي حوائجهم، ويعفو عن تقصيرهم ثم إن المؤمنين يدعون بعضهم لبعض ويستغفرون الله واجب الوجود ويدعون لهم وفي ذلك ثواب وبركة.

4- الشفاعة على نوعين: إحداهما اختيارية تقع بباعث المحبة، والأخرى توسط بطلب الخير يؤدي حسب الوظيفة. وبناء عليه يجب علينا أن نتمنى دائمًا هداية الله وتوفيقه وندعو بها في صلواتنا ودعواتنا لإخواننا في الدين وللضالين والمضلين، وأما

---

(1) إن مؤاخذة كل البشر بخطيئة آدم وحواء أبلغ في مخالفة العدل، النصارى يقولون: إن جسد المسيح بريء من الذنب الموروث. والسبب في ذلك أنه لم يحصل من رجل، بل اتخذ جسده من مريم فحسب. ثم يقولون: إن جسد مريم أيضًا بريء من الخطيئة الموروثة. ولكن لا يعقلون كيف يكون ذلك وجسدها مكون من أم وأب بشريين، فمن الممكن إذن أن يخلق الله جسدًا بريئًا من الخطيئة مولودًا من جسدين خاطئين فهلا اتخذ أجساد أولاد آدم وحواء الأولين أو جسدي نوح وزوجته سالمين من إرث الخطيئة وأراح ابنه الوحيد الحبيب والعالم معًا (المترجم).

النتيجة فموقوفة على إرادة الله وحكمته[1] وإننا نقرأ الصلوات والتسليمات على الأنبياء في صلواتنا ودعواتنا، ولكن المدعو المخاطب بذلك هو الله تعالى وحده بلا واسطة.

وإذا كان أولاد الملكوت قد نالوا التربية الدينية، وعرفوا إلههم وخالقهم على الوجه الصحيح، وكان إيمانهم بالله كاملاً فهم الآن يتمكنون من التوجه إلى خالقهم حنفاء مخلصين له الدين ويقدمون له العرائض في كل زمان ومكان. والمؤمنون الذين تعلموا من أنبيائهم الرشد والهدى يسبحون بحمد ربهم ويعظمونه بقلوبهم وعقولهم في صلواتهم.

5- تعاليم كلام ملكوت الله في هذا الشأن:

لا تراجع أحدًا لأجل الدخول في الملكوت والبقاء فيه، بل حسبك أن تراجع عقلك ووجدانك، الدنيا والآخرة، السعادة الحقيقية والكاذبة هما أمامك، الحياة الأبدية والسعادة الحقيقية هي في ملكوت الله، ودخولك فيه وكتابة اسمك في لوحة المحفظ خير لك على كل حال، وفي خارجه الهلاك والموت المعنوي الذي لا ريب فيه، ففي حالة اقتناعك بأن الملكوت مملكة إلهية وأن كلامه هو الحق، الملكوت سيسعدك ويربحك فلماذا لا تدخله؟ أليس لأن هناك موانع؟ نعم الموانع كبيرة جدًا، تعترضك تضحيات ثقيلة؟ أليس لك دين ومذهب قديمان تحبهما حبك لعينك اليمنى؟ كيف الانفكاك عنه؟ هذا صعب وثقيل جدًّا، أليس لك عاطفة نحو العائلة والطهرية والملية التي هي مفيدة لك بقدر يدك اليمنى؟ ما أصعب ترك هؤلاء والإعراض عنهم! أأنت من أبناء الملكوت؟

([1]) إذا كان هناك شفيع مطلق كان الخلاص محققًا. فمن ذا الذي يحول بين الأشرار وشرورهم، والفساق والفجار وفسوقهم وفجورهم؟ إذا كان الظالم مغفورًا له على كل حال بواسطة الشفيع المطلق. والمظلوم مأمورا بالعفو وبأن يحول الخد الآخر لمن يضربه على الخد الأيمن، فهل تلك الحالة موافقة للعدالة، ليت إحدى دول الغرب تجرب تنفيذ مواد هذا القانون فإنها إن فعلت لا يبقى صالح فيها إلا ويرفع وجوده من بين الأحياء في مدة يسيرة، ثم تتبعهم الأشرار أيضًا (المترجم).

إلا أن مثل هذه التجارب والجواذب الفاتنة للقلوب غير القابلة الامتناع تسوقك إلى العثرة وإلى الضلالة والهلاك؟ أنت إذا كنت تريد علاجًا لإنقاذك. فالعلاج بيدك، أتدري ما هو؟ انظر ماذا يأمر كلام الملكوت الذي بينه المسيح ﷺ:

- (فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم، وإذا كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم) [متى 5: 29-30].

- (وإن أعثرتك رجلك فاقطعها لأن خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن يكون لك رجلان وتلقى في جنهم تلك النار التي لا تطفأ) [مرقس 9: 45-48].

أولاد ملكوت الله ذوو صلاحية على أن يجروا بالذات كل العمليات الوجدانية من غير أن يراجعوا طبيبًا أو حكيمًا من الروحانيين، ومن غير أن يبوحوا لهم بمرضهم ويعترفوا لهم بخطيئتهم، لا يوجد بين أبناء الملكوت رهبانية ولا كهنوت ولا عرافة ولا كهانة ولا شعوذة سحرية ولا خط على الرمل لمعرفة الفأل.

وأما في خصوص الدعاء والصلاة، فولد الملكوت يقيم صلاته على الوجه الذي عينه وقرره (الكلام) في أي محل يريده وفي أي مكان يوجد فيه، يدعو ويناجي ربه في الوقت الذي يريده، حتى أنه في خلوته يدخل غرفته ويغلق الباب ويعبد خالقه ويدعوه في الخفاء، لا يضطر إلى الحضور في المراسم الدينية التي تمتد ساعات من الزمن بالملابس المزركشة بين المشتغلين بتلحين الأناشيد، وتكرار عبارات الترنيم العجيب، أجل جلب الأرواح من السماء وتحويل الخبز والشراب إلى لحم ودم، وكما أن الولد يتسنى له أخذ كل ما يريده من والده ضمن دائرة الأدب والقانون فكذلك أبناء الملكوت يأخذون من خالقهم كل عون وبركة ونعمة مشروعة، أي أب يعطي ابنه أو ابنته حجرًا أو حية عندما يطلب بيضة أو سمكة؟ كذلك الله تعالى لا يعطي شيئًا رديًا لعبيده قطعًا، حتى أن ربهم الله الذي في السماء يعطي النعمة والرزق والقوة لعبيده المحتاجين من غير أن يطلبوها، ويبذل إنعامه ويفيضه على جميعهم، والعبد التائب النادم على الخطيئة

والذنب الذي اقترفه لا حاجة له الذهاب إلى مخدع الكاهن وتقبيل قدميه وطلب العفو والغفران منه، بل يعرض ندامته وتوبته على الله في مخدعه أو غرفته فتغفر له خطاياه وتمحى وتنسى بأجمعها يجري ويؤدي وظائفه الدينية كالصدقة والصوم والصلاة لله خفية ليرضي الله وحده ولا تعلم اليد اليسرى بما أعطته اليد اليمنى من الصدقة.

لا يعطي صدقة ولا يقيم صلاة ولا صوما بفكرة رئاء الناس وبأمل كسب مديحهم وثنائهم، بل يوفي ذلك لله وحده إراحة لضميره، وتسكين وجدانه فقط.

لا يكلف كلام الملكوت بتكاليف عسرة أو بما يخالف العقل والطبيعة، أي أنه لا يأمر بشيء وراء العقل أو فوق الطاقة، وإنما شريعة الله عبارة عن تقريب الناس من الله وجعلهم خلوقين سعداء على الأرض، وكما توجب عليهم النظافة وآداب المعاشرة توجب عليهم أن يطهروا قلوبهم ويخلصوا إيمانهم، فماذا يكون أقدس وأبسط وأسهل وأوفق للطبع والفطرة من ذلك؟

انظر الباب الخامس والسادس والسابع من (متى) حول الإيضاحات المختصرة في شأن الصوم والصدقة والصلاة المذكورة أعلاه.

– ج –

كلام ملكوت الله يأمر بأخوة معنوية وباتحاد مادي

السعي والاجتهاد للقومية العصبية الجنسية خاصة عقيدة سياسية مخلة بالسعادة البشرية ومخلة بالأمن العام من حيث عموم الإنسانية، وإذا كانت فكرة ترقي الأمة وتفوقها وتقدمها هي أخص آمالها، فلترتقب حربًا دامية عاجلاً أو آجلاً؛ لأن تفوق إحدى الأمم ينتج تدني الآخرين، وهل ثمة من أمل غير انتهاب أراضي الأمم المجاورة وثروتها وهدر شرفها وكل ما تملكه؟ وهل إيقاع أمة كبيرة مجاورة، وهدم ديارها وقتل أهليها، والإحراق والانتلاف، وارتكاب أنواع الفظائع من مكارم الأخلاق في شيء؟ أم هل يجوز؟ وهل قول الفرد (أضحي روحي في سبيل الأمة المتكلمة بلسان أمي) كلام يأتلف مع العدل والحق؟ وإذا لم يكن الدستور القائل (إما أن أقتل أو أُقتَل في سبيل الوطن) جنونًا فماذا هو؟ هل يقول مثل هذا الكلام الجنوني الوحشي حكيم عاقل

مهذب وقور محب للإنسانية؟ يود الإنسان بطبيعته وخلقته لو يمتلك كل ما هو غال ونفيس، ولكنه يضطر لصرف النظر رغائبه وعن كثير من حقوقه لكي تتبنى له الحياة وبقاء النوع وتشكيل العائلة، لا يمكن أن تنال اللذة في الحياة إلا مشوبة بألم الجهاد والتضحية، إذن ماذا يستحيل أو يتعذر على الأمم فيما لو حسن سلوكها وأحب بعضها بعضًا حسب قانون الملل؟

فاليوم أقوام أوربا كلها تتأهب لمحاربة بعضها بعضًا ولإراقة الدماء وكلها تريك من الإحساسات الملية عجبًا. هذه الاستحضارات المدهشة الباهظة الثمن هي ضد من؟ لا شك في أن الواحدة ضد الأخرى. هؤلاء كلهم مسيحيون، كلهم منقادون للرهبان، كلهم معتقدون بما كتب في الأناجيل، كلهم يقرءون موعظة المسيح تلك الموعظة المشهورة [متى 5 إلى نهاية 7].

كلهم يمضغون لحم المسيح ويشربون دمه، والحاصل كلهم يدعون في صلواتهم: (ليأت ملكوتك لتكن إرادتك). كل أقوام أوروبا قد أجري لهم التعميد. فالبلقانيون والروس والسلاف والجرمان واللاتين والإنكلوساكسون - كلهم قد تطهروا وتنظفوا وغفر لهم من الذنب المغروس (الموروث) إذن فعلام أولاد هذه الكنيسة يحملون شعور حب القومية ويوجهون مدافعهم ومدرعاتهم وطياراتهم إلى صدور بني دينهم؟ لماذا لا يرجعون إلى الصليب والإنجيل، إلى الروح القدس -وعلى الأخص- إلى الله الآب، عوضًا عن هذه الآلات الجهنمية؟[1]

([1]) لو كانت الأقوام الغربية ملتزمة وصايا الإنجيل والنصرانية المكتوبة لقلنا إن قدوم المبشرين إلى الشرق ناشئ عن حسن نية وعن حب الغربيين لأخوتهم الشرقيين ما يحبون لأنفسهم، ولكن كيف يمكن فرض ذلك الاحتمال والغربيون على سيرة وخطة تناقض وصايا المسيح التي في أناجيلهم، إن الحقيقة التي لا شك فيها هي أن حكوماتها لما تأكدت من أن تلك الوصايا كانت هي الباعثة لحالتها السابقة المظلمة التي كانت في بلادهم قبل احتكاكهم بالمسلمين والإسلامية، ولما لم يبق من وظيفة لرجال الدين في بلادهم لأنهم سائرون على ما يقتضيه العقل والعلم والفن والتجربة بصورة مناقضة لتعاليم الإنجيل - قذفت بهؤلاء المبشرين إلى الشرق، لكي تبعث في أهله الخنوع والاستكانة، أي أنهم إذا تنصروا وأخذوا في تطبيق وصايا إنجيلهم القائلة: لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا) يهون عليهم أن يكونوا عبيدًا للغربيين، وإلا فلماذا لا يبعثون معلمين أو مبشرين فنيين يعلمون الشرقيين صناعاتهم ومن الجهة الأخرى لما لم

هيا قم الآن واجتهد في إيجاد الإخاء المعنوي والاتحاد المادي بين المسيحيين؟ هيهات هيهات! الإخاء العيسوي؟ الاتحاد العيسوي من المحالات، لماذا؟ أليس للكنيسة كتاب؟ أليس لها ملوك ورؤساء روحانيون؟ أليس لها قسيسون يغفرون ذنوهم ويمحون جناياهم بكلمة واحدة؟ هل ينقصهم الوعاظ والدعاة؟ أو أرباب الفنون والصنائع والاختراعات؟ أم عجزت معدهم عن الهضم بسبب التخمة من أكل الدنيا؟ هيا ليتحدوا، ليتحدوا باسم الصليب والإنجيل! هل من الممكن ذلك؟ هل يكون الكاثوليك والأرثوذكس في كنيسة واحدة؟ والأرمن والنسطوريون أمام محراب واحد؟ أو الباتيست والإنجيليكان على منبر واحد؟

إن حضرة السيد هرمز أخي حضرة السيد مارشمون سليل بطرق النسطوريين المحترم المنسوب إلى فلك البيت الذي كان مظهر توجه الخلفاء وسلاطين المسلمين منذ أول ظهور الإسلامية، قد راجع مسيحيي الروم وغيرهم في أثناء السنتين أو الثلاث التي قضاها في القسطنطينية راجيًا أن ينال لقمة من لحم (الرب يسوع) ولكنهم استنكفوا عن إهدائها له لاعتقادهم أن ذلك حرام عليهم، هل تعلمون لماذا؟ ذلك لأن النسطوريون يأبون أن يقولوا: إن المسيح إله تام، وإن مريم والدة الله.

أقصد في هذه البيانات أن أقول: إن المسيحية ليست دينًا واحدًا، بل هي أديان شتى مبعثرة، أما كلام ملكوت الله وقرآنه فهل هو أيضًا كذلك؟ إن من له نصيب من الإنصاف يقول بالطبع حاشا وكلا، إني عندما كنت أترجم أحيانًا لباب المشيخة الإسلامية بعض الرسائل والجرائد الإنجليزية الواردة حتى من جنوبي أفريقية الباحثة في شئون جماعة المسلمين كانت تتولاني الدهشة من صدق المسلمين الساكنين هناك وفي جاوة الصين وروسية وفاس، وأحار لإخلاصهم للقرآن والدين المبين المحمدي، أما من

بقي في أوروبا وأمريكا من يصغي لأقوال الروحانيين ويطيعهم تلك الإطاعة العمياء التي كانوا قد اعتادوها طفقوا يجوبون الأرض ليجدوا عبيدًا آخرين من غير المتنورين على زعمهم. فقد يصيب ظنهم إذا ذهبوا إلى عابدي الأوثان. ولكن هل يأملون ذلك في عابدي الله الحق؟ (المترجم).

يدقق في حالة المسيحيين الذين في أوروبا ووضعيتهم الانفرادية المتفككة الباردة يقول ويجزم متحققًا بأن هؤلاء ليسوا أبناء دين واحد البتة.

يأمر كلام ملكوت السموات بإخاء معنوي والذين يؤمنون بكلام الملكوت هم أولاد الدين المعنويين بالرغم من انتسابهم إلى العروق والأقوام المختلفة، فهم إخوان بعضهم لبعض، فالمسلمون في الدنيا كلها يصدق عليهم أنهم ولدوا جديدًا من أم واحدة -هي الملة المحمدية- كالأخوة المولودين ولادة طبيعية من رحم والدة واحدة، فامتزجت دؤماهم وموادهم الجسمانية ذلك بأنهم حيوا بروح الإيمان وتغذوا بكلام الله وسقوا من ماء الحياة واكتسوا وتزينوا بأثواب الفرائض المقدسة، وتقووا بالأذان المحمدي، واستناروا بالأخلاق السامية، وتربوا وشبوا على الأطوار الحسنة، فهؤلاء لا تكون أخوتهم مصطنعة زائفة بل هي صحيحة وحقيقة[1].

المسلمون المرتبطون بعضهم ببعض بالروابط الدينية يمثلون الأمة المحمدية في كل حال من الأحوال روحًا ومعنى وجسمًا ومادة أينما كانوا، والى أي عرق وأي لون وأي لغة انتسبوا ألا ترى إلى هذا الأذان المحمدي، إلى هذه الصيحة الدينية الحية الخالدة، إلى الصدى المدهش صدى ملكوت الله، صدى الشريعة الغراء لملكوت الله؟ ألا ترى الحقائق الباهرة المشهود بها في التكبيرات والتحيات؟! ثقوا بأنه ليس صوت ألحان تهتز في الأفلاك، إن هو إلا قوس سحاب الفيض الرباني أنعم الله به إعلامًا للعالم بدوام غيث رحمته وتوفيقه الصمداني لأجل إرواء أبناء ملكوته، يعلن للعالم حقائقه ذات الأنواع العديدة والألوان البديعة كقوس قزح يعطيهم القدسية بجمله وعباراته. وإن الشمس (وهي أمة الله) المأمورة بإدامة مواسم كرة الأرض الأربعة، تواظب على أداء وظيفتها وشماستها[2] الحقيقية وهي تحمد الله وتثني عليه في قربها وفي بعدها، وذلك منذ

([1]) أي بنص قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات/10] (المترجم).

([2]) الشمس في العبرانية والسريانية (שמש و שמשא) بمعنى خادم ومنها (الشماسة) أي الخدمة (المؤلف).

ثلاثة عشر قرنًا، وكذلك اقتضت رحمته أن لا يدع القمر والنجوم محرومة من قراءة كلمة الشهادة فقضى أن يكون هؤلاء أيضًا يؤدون التحيات في نداء صلاة العشاء.

الاتحاد والإخاء الإسلامي محض حقيقة لا ريب فيها، بحيث إن الذين يكتمونها عن تخوف إنما يبرهنون بهذا التكتم على قلة إيمانهم أو عدم اعتمادهم على رب الملكوت، وأما المدى والخناجر المشحوذة التي تغمد في جسم هذه الملة الكبيرة القهارة في أثناء نومها فلا تتمكن من قتلها، إذ هي لا تموت ولن تموت لأنها خلقت للحياة الأبدية، بل هي توقظها من نومها، إذ لا محالة سوف يأتي ولا بد من أن يأتي يوم يثب فيه الأسد الضرغام ويفترس تلك الحشرات وثعابين الحيات التي أقلقت راحته فيمزقها شر ممزق ويبيدها.

إن أمة حية وقوية كهذه الأمة ستعيش إلى ما شاء الله على الوجه الذي يبينه كلام الله[1] وإن الحراب التي مزقت أحشاء شبان المسلمين في الرومللي قد هيجت نخوة شبان الهند، والبنات المسلمات اللاتي هتكت أعراضهن وافتضت بكارتهن بعدوان الوحشيين، واللائي ودعن الحياة طاهرات الذيل وذهبن ضحايا العفاف قد أقيمت مآتمهن في بيوتات كابل من قبل عقائل نساء الأفغان وعذاراهن بالولولة ودموع العيون وإن أسارى الجنود العثمانية الذين قضي عليهم بالقتل العام، والشيب والولدان العثمانيين الذين قطعتهم وفرت جلودهم سيوف مسيحي البلقان – قد أغضب مصابهم العالم الإسلامي وأورثه الأسى والأشجان، وإن إهانة المساجد والمقابر الإسلامية قد كانت اعتداء على عظمة الله وجبروته، ليست تلك الفجائع بالتي تنسى، ولا يحسبن الذين يتجرؤون ويحضون على ارتكاب مثل هذه الفجائع أنهم عاملون على محو الإسلامية، كلا بل إنما يسعون من حيث لا يشعرون إلى انتباهها ونهضتها، وبناء عليه

---

(1) لقد أحسن المؤلف بوضع هذا القيد قوله: (على الوجه الذي بينه كلام الله) وقد ورد في القرآن، وعد الله المؤمنين بالنصر ولكن على شرط نصرهم لدينه. قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد/7]، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج/40]، ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة/40] (المترجم).

يكونون قد مهدوا السبل لتقويتها واستعدادها. فهم لا يذبحون المسلمين ويقتلــوهم في ناحية من كرة الأرض، إلا جاءت النواحي الأخرى بمائة ضعف بدلاً منهم، يحتمــل أن يمحى عنصر الإسلام من إحدى البقاع ولكن سيظهر في أحد الأيام أمر واقع ليس لــه دافع ولا هو بالحسبان، فيه يهتدي أحد الأقوام كاليابان أو الإنجليز فيقوم مكانه. ويحل محله بأقوى وأمنع ممن يمحون بتقصيرهم في الجهاد.

إنه لا يجوز إبقاء العالم في ولولة (يسوع بن بانديرا) الذي ظهر في زمن كاهن اليهود الأعظم (إسكندر يانيوس[1]) الذي حكم قبل التاريخ الميلادي بعصر أو (يســوع بــن ستادا)[2] الآخر بعد المسيح بعصر أو (يسوع) الآخر الذي وعظ منه بولص والــذي رجمه اليهود ثم صلبوه وقتلوه بسبب أعماله السحرية، وفي الباب الســابع معلومــات متممة لهذا الموضوع.

* * *

* *

*

---

(1) (إسكدريانيوس **Alexander Yannaeus**): عاش من **104** إلى **78** قبل المسيح (المؤلف).

(2) (ישוע בן פנדירא) يسوع بن بانديرا (ישוע בן סהדא) (المؤلف).

الباب السابع

ملكوت الله يكمل اليهودية

ليس لأحد أن يذهب إلى أننا غمطنا شيئًا من حق سيدنا عيسى عليه السلام أو لم نقدره حق قدره بقولنا إنه لم يؤسس دينًا وملكوتًا، فإنه ليس من حدنا أن نحدد سمو درجات أنبياء الله أو نفرق بين رتبهم، بل نؤمن أن كلا منهم رسول الله وحبيبه، وعليه فإننا نحبهم ونعظمهم ونحترمهم جميعًا، إلا أنه نظرًا إلى أهمية الرسالة التي بلغوها والخدمة التي أدوها، قد عرف بعضهم أكثر من بعض، مثال ذلك أن النبي حَبَقُّوق الذي ليس له غير كتاب واحد هو عبارة عن باب واحد[1] بالطبع لم يكن معروفًا ولم يكتسب شهرة بقدر النبي داود صاحب الزبور، ولهذا لم يبق اليوم أثر في التاريخ لألوف الأنبياء.

ومع ذلك إذا تأملنا جيدًا رأينا أن روح الله لم تكن وظيفة قليلة في خصوص ملكوت الله، فإن مئات الألوف من الناس آمنوا بملكوت الله وكلامه الذي بشر به، وارتحلوا إلى دار البقاء مؤمنين موحدين منتظرين للملكوت مخلصين له، وعند ظهور الملكوت وتأسيسه وإعلانه دخل في حظيرته مئات الألوف من الموحدين المسيحيين، وكان بين المسلمين في زمن الخلفاء الراشدين ما يعد بالملايين من الموحدين الذين أسلموا لبشارة المسيح عليه السلام، على أن كل العيسويين الموحدين الذين كانوا في قارتي آسيا وأفريقيا قد اعتنقوا الإسلامية، ولكن الأقلية منهم أصحاب التثليث لم يؤمنوا بالدين إلى يومنا هذا.

ولذلك لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إن عيسى ومحمدا عليهما السلام أسسا الإسلام متحدَيْنِ ولكن هيهات لنا أن نتمكن من تفهيم ذلك للنصارى وإقناعهم بهذه الحقيقة.

* * *

([1]) سفر حبقوق: من أسفار العهد العتيق لا يزيد على ورقة ذات صفحتين، وقد جعلوه ثلاثة فصول (أصحاحات) (المترجم).

- 25 -

ملكوت الله ليس اليهودية

והתברכו בזרעך כל גויי הארץ

(يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض) [تكوين 22 :18]

أخبر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأن سيتبارك بنسله كل أمم الدنيا (نسل بصيغة المفرد) وذلك قبل موسى والتوراة بأربعة أو خمسة عصور، نسل إبراهيم حسب اللغة العائدة له كما في العربية بمعنى (الزرع) و (البذر) وبولص الرسول يبحث عن وعد الله هذا قائلاً: لا يقول أنسال. أي بصيغة الجمع ولكنه يقول (نسل) مفرد، وذلك هو المسيح [إلى الغلاطيين 3 :18][1].

Ου λεγει, χαι τοις σπερμασιν, ως επι πολλων, ωλως εφ ενδς, χαι τω σπερματι σου, δς εστι Χριστδς. [*Γαλλ.* 111.16]

لقد عهد الله إلى إبراهيم بصورة ميثاق أن النسل (الزرع) النازل من صلبه يكون (رحمة للعالمين) ولست باحثًا هنا عن (هذا النسل) الذي هو رحمة للعالمين) ولكن لا شبهة في أنه سيتيسر لجميع أمم الأرض التبرك بدخول ملكوت الله والاهتداء وإدارة الأمور بكتاب ملكوت الله، وعلى كل حال فإن الله قد وعد بأن يرسل من سلالة إبراهيم الطاهرة ذاتا قدسية يكون رحمة وبركة لكل الأمم التي على وجه الأرض.

إن نبوة إبراهيم عليه السلام انتقلت إلى إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، فكانت من إسماعيل العرب، ومن إسحاق -بمناسبة أن لولده يعقوب اثني عشر ولدًا- أسباط إسرائيل، فكتب العهد القديم أي كتب بني إسرائيل المقدسة ليست بذات علاقة

([1]) لم يتذكر بولص الآية التي قبلها في [تكوين 22: 17] حيث قال: (أكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر). فهل يعد نسله مع هذه المبالغة في الكثرة مفردًا، أولم يتذكر ضمير الجمع العائد إلى نسل إبراهيم في قوله: (وبين نسلك في أجيالهم)، (وأكون إلههم) [تكوين 17 7 و8 ..] وكذلك سها عما جاء في (تكوين 21 : 13 وابن الجارية أيضًا سأجعله أمة لأنه نسلك) كما أنه نسي أن النسل هو اسم جمع أي لفظ مفرد ومدلوله جمع مثل: أهل، وقوم، وجيل، وشعب (المترجم).

بوضعية أمم العرب الدينية الذين ظهروا من إسماعيل عليه السلام، فالتوراة والزبور وسائر كتب الأنبياء كلها نـزلت إلى بني إسرائيل.

إن من الحقائق المعترف بها في تاريخ الأديان أن اليهودية دين وبهذا الاعتبار تكون التوراة كتاب الله. وكلاهما متفردان وعديمي المثيل، فليس من ملة نالت أنعم الله كالملة اليهودية باعتبارها منفردة، كما أنه لم يثبت في الأدوار القديمة كهذا الدين المقدس، ولا كتاب يحتوي على حقائق إلهية كالتوراة، والصينيون واليونانيون كان لهم كتب في الحكمة والأخلاق وكان لهم حكماء ومرشدون ملهمون، ولكن كل ذلك كان دقيقًا ومحكومًا عليه بالاضمحلال، سقراط وأبلاطون[1] وأريسطوطاليس وبقية حكماء اليونان الملهمين لم يوفقوا إلى تأسيس دين، فاليونان انقادوا إلى آلهة الأساطير، والصينيون أيضا كان لهم المرشدون الدينيون (فوهي) و(لاعوتس) و(كونفوشيوس) و(الكتب الست) المسماة (كينغ **Kings**) ولكنهم لا يساوون اليهودية وأنبياءها، اليهودية حائزة على صفة الدين، والأنبياء كانوا يبلغون ما يأمر به الله بصورة الوحي والإلهام، والحال أن كتب الملل الأخرى ومرشديهم بقيت عبارة عن الحكميات والحكماء ليس غير[2].

اليهودية دين ملي خاص، وكل الأنبياء (فيها) أرسلوا إلى هذا الشعب نفسه وعملوا على تأييد ذلك الدين، نحن مضطرون إلى احترام شعب أحبه الله وأنعم عليه بهذا القدر، وعلى تعظيم شريعة موسى التي أنتجت وأنجبت هذا المقدار من الأنبياء الصالحين.

([1]) بما إن ليس في العربية حرف p يكتبون اسم أفلاطون بالفاء. ولكن وجود الحرف المذكور في التركية يمكننا من كتابة اسم هذه الفيلسوف باللفظ الذي ينطق به (المؤلف).

([2]) الحق الذي بينه القرآن يخالف ما قرره المؤلف هنا كما فهمه من كتب اليهود المحيط بها، وهو أن جميع الأمم القديمة بعث فيها أنبياء أوحى الله إليهم أن يعبدوه وحده ويؤمنوا بأنه بعث الخلق بعد الموت ويجزيهم بإيمانهم وأعمالهم وأن يجتنبوا الطاغوت والخرافات والرذائل ويتحروا الأعمال الصالحة ولكن منهم من كانت لهم شرائع مكتوبة بعد وجود الكتابة فيهم ومن تركوا إلى عرف حكمائهم في الأحكام الدنيوية ولكن كتبهم فقدت بطول الزمان أو حرفت بدون ما حرفت به كتب بني إسرائيل على قرب عهدها (المصحح).

كل أنبياء بني إسرائيل كانوا قد أخبروا بأن سيظهر (ملكوت الله) و(الدين العـــام) ومهما كانوا يدعون، طول مدة بقاء شريعة موسى، أن (يهــوه: الله) إلــه إســرائيل فحسب، فإنهم كانوا يشعرون بأنه سيأتي يوم فيه يتعرف الله إلى جميــع الأمــم، وأنــه سيجمعهم ويجعلهم ملة واحدة.

وها هم أولاء لا يزالون ينتظرون أن يأتي شخص من نسل إبراهيم ليشكل ذلــك الملكوت واليهود لما لم يجدوا الصفات التي ينتظرونها في المسيح عليه السلام، لم يقتنعوا بأنه هو المسيح الحقيقي المبشر به ولذلك رفضوه، لاعتقادهم أن شريعته التي ستكون ملكوت الله هي شريعة موسى مع قليل من التحوير، وأن مركزه أورشليم (القدس) وأن يومــه المقدس يوم السبت، ولعدم وجود إحدى صفات ملكوت الله وخصائصه الــتي مــر ذكرها في الفقرة (26) على ما ذكره وعدده المسيح عليه السلام وصــل ديــن موســى إلى الانقلاب الثالث ونسخ في جملته وهيئته العامة، فعيسى بن مريم عليهما السلام آخــر أنبياء اليهود لم يقبلوه والنبي يوحنا المعمدان[1] المبعوث في ذلك الوقت قتلوه من قبــل أن يقبلوه، وفي تلك الحال كانت اليهودية في انتظار المسيح الذي سيأتي، منذ خمســة إعصار قبل الميلاد، وليس من مقتضى تاريخ الدين المذكور، أن يكون الانتظــار لمــدة طويلة بهذا المقدار، لأننا نعلم من أسفار التوراة أنه كان في كل عصر مئات من الأنبياء، وعلى الأخص في زمن إلياس واليشع، ولما لم تتمكن اليهودية من أداء فرائضها الدينية أضاعت دينها باعتباره دينًا، ولم يكن الهيكل[2] الذي هو فــرض للعبــادة موجــودًا، وكانت سلالة هارون الكهنوتية قد فقدت، وكانت السكينة[3] أوريم توميم[4] وألواح

([1]) מצתבא Baptista؛ أي: المعمد (المؤلف).

([2]) (היכל temlpum سراي) بيت الله، المسجد الأقصى، الهيكل، وهنا اللفظ قد فقد معناه الأصلي في اللغة التركية تمامًا (المؤلف).

([3]) [الخروج 25: 10-22 و 27: 1-9] כפרת غطاء تابوت العهد. السبعينيون في البدء ترجمــوا بكلمــة (غطــاء $\epsilon\pi\iota\vartheta\eta\mu\alpha$) وأما بعد ذلك فصار ($\iota\lambda\alpha\sigma\tau\eta\rho\iota o\nu$)(المؤلف).

([4]) (אורים תמים) يعني: الوحي والحقيقة – زينة كانت في صدر هارون (المؤلف).

يمسه تعب ولا لغوب كما أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، فهو إذًا لا يحتاج إلى الاستراحة، لأنه لا يكابد العمل بكفيه، أو يحمل على كتفيه، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس/82] وتعلمون أن الأنبياء من قبل موسى كإبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا على خبر من قداسة يوم السبت.

البابليون قبلكم كانوا يلتزمون يوم السبت في الشهر مرتين، ومن المحتمل أن أجدادكم اقتبسوا يوم الأسبوع هذا منهم في زمن سبي البابليين لهم، ولنفرض أن الله خصص اليوم المذكور للعبادة والراحة لكم كل أسبوع فما هي أهميته؟ سواء كانت الاستراحة يوم الجمعة أو يوم السبت فكلاهما سيان، وكما أن مليونًا من القسيسين ولو اتحدوا لا يقدرون على تحويل درهم واحد من الماء إلى دم، فكذلك الشمس أيضًا لا تعطي كرة الأرض بضيائها وحرارتها في أربع وعشرين ساعة قدسية ولا روحانية ليوم من الأيام.

أذكر أن عمر الخيام في المشهور يقول في إحدى رباعياته: "الجمعة والسبت كلاهما واحد ويجب أن يكون الإنسان عابد الحقيقة لا عابد الأيام".

وإنه عند افتتاح ملكوت الله أي إعلان الرسالة المحمدية كان بنو إسرائيل قد منحوا بعض الامتيازات كالقبلة والصوم والسبت، أي أنها كانت ستجري على ما في اليهودية. ولكنها نسخت لفرط ما أعطيت من الماهية الروحانية، بمعنى أن ملكوت الله لا يعير أهمية لمثل هذه الظواهر بقدر ما للأمور الحقيقية الباطنية، الصوم فرض وسواء أكان ثلاثة وعشرين يومًا أو ثلاثين يومًا كما عند اليهود أو كان في رمضان يكفي أن لا يكون أبناء الملكوت محرومين من بركة الصيام، كذلك يجب تخصيص يوم للعبادة والراحة، وأي يوم كان فليكن من غير إجبار، والحكمة في أن المسيحية حولت يوم السبت إلى يوم الأحد على زعمهم حياة المسيح وقيامه من القبر يوم الأحد، والإسلامية ألغت كلا اليومين لأن السبب الذي علل به في الملتين كان باطلاً وفاسدًا، وبذلك عملت ما هو المعقول وطبق المصلحة.

ثم إن هناك مسائل أخرى وهي الذبائح والكهنوت التي يحبها اليهود حبهم إنسان عينهم، ولكن مع أنه يستحيل إحياء مثل هذه الأمور من جديد، فمن البديهي أيضًا أن لا حاجة إليها في الدين العام حتى أن البحث عنها عبث.

والذي أراه حسب فكري العاجز، أنه إن كانت أمة تعيسة الحظ على وجه الأرض اليوم فهي أمتكم يا أحفاد إسرائيل، أما تدرون أن أسوأ أفراد الناس حظًّا في الدنيا هم الأيتام والأرامل؟

آه يا ليتني كنت أقدر على الدخول إلى قلوب هؤلاء لأشاهد ما فيها من اليأس والآلام! ما أعمق حزن ذلك اليتيم الباكي لإدراكه أنه فقد أباه فقدًا أبديًّا، وتلك الأرملة البائسة التي تحولت حلاوة فمها علقمًا بفقدها زوجها الذي تحبه أكثر من نفسها، وتنظر بعينها اللتين تفيضان من الدمع إلى أطفالها مفكرة في أمرهم، أولئك الأطفال الذين يأتون فقراء ما لهم من ولي ولا ظهير.

فاليهود اليوم هم في مثل هذه الحالة، لا يملكون وطنًا ولا وليًّا، اليهود غرباء وممقوتون في كل مكان، وقد أصيبوا بمظالم قلت أو كثرت، لا يجدون أمة يستندون إليها ولا وطنًا يدركون السعادة فيه، فهم مشردون في أربعة أقطار الأرض، هلكى كالماشية السائمة أشتاتًا أشتاتًا، إن فيكم أيها القوم كثيرًا من الرجال الأغنياء والعلماء المفكرين فليتوسلوا بما أوتوا من العلم والثروة لمعالجة حالتكم هذه، أنتم لا تكونون مسيحيين، ولكم الحق في ذلك؛ لأنكم ستبقون دائمًا موحدين.

عدوكم المبين وخصمكم اللدود ليس الإسلامية بل النصرانية، ويمكنكم الاتحاد مع الإسلامية على أهون الشروط وأسهلها فهي تمد لكم يد الود والاتحاد من غير مساس بسبتكم ولا بصومكم، حتى أنها توافق على تشكيل حكومة محلية ملية لكم، وها هي ذي الحكمة الشعرية لعمر الخيام:

در مذهب ماشنبه وادينه بكى أست ... جبار برست باش نه روز برست

وعربها النجفي نظمًا فقال:

السبت والجمعة عندي استويا ... لا تعبد الأيام واعبد ربها

الوصايا العشرة وغيرها كلها قد رفعت من الوسط وزالت، وأي دين زال تنفيذ أحكامه وفرائضه بأجمعها، فإن ذلك يعد نسخًا وإلغاء له.

* * *

- 26 -

السلام عليكم يا إخواني اليهود

أنتم يا شعب الله المحترم بما أنكم أولاد إبراهيم عليه السلام وبانتساب ذلك النبي العلي الشأن إلى أمة الكلدان[1] تكونون إخواني، ولكني أود أن أخاطبكم بعنوان إخواني المعنويين أنتم من القديم موحدون قد اعترفتم وأقررتم بوحدانية الله ولم تزالوا قائمين بها وثابتين عليها وقد مضى عليكم خمسة آلاف سنة.

النور والنجاة إنما وُهبا للدنيا من نسل جدكم الأعظم حضرة إبراهيم عليه السلام ذلك النسل النجيب لصالح وارث النبوة، وسواء أكان النسل من صلب إسحاق أم من صلب إسماعيل، حسبكم فخرًا أن تكونوا من نسل إبراهيم، إن أجدادكم خالفوا الحق بعدم إيمانهم لعيسى عليه السلام.

ولكن لا شبهة في أنه لم يكن آخر نبي عام ولا آخر مسيح، على أن كل أنبيائكم وملوككم ورؤساء كهنتكم كانوا مسحاء؛ لأنهم كانوا يمسحون جميعًا بالزيت، ولكن النبي العام لم يمسح بالزيت على مراسم الكهنوت بل تعين وتقوى بقدرة الله وبروحه، أنا أفهم أن عيونكم باقية دائمًا في أورشليم، ولكن ما العمل وقد خرب معبدكم بإذن الله وخربت بلدتكم المقدسة مرارًا وصارت قاعًا صفصفًا؟ ولكن بيتكم المقدس باق يعبد الله فيه الموحدون ويسجدون فيه للوحدة الإلهية، ويذكرون اسم الله وأسماء الأنبياء الذين تعرفونهم، فهذا البيت هو الآن مفتوح لكم وهو لم يزل بيتكم.

---

(1) كانت بلدة (أور الكلدانيين אור הכשדים) مسقط رأس حضرة إبراهيم عليه السلام (المؤلف).

لا أرى بينكم وبين المسلمين فرقًا أساسيًا، كلكم تؤمنون بإله إبراهيم. كل أنبيائكم وكتبكم مصدقة ومقبولة لدى المسلمين، ولا أظن أنكم تصرون على الخلاف في مـــادة أو مادتين.

إن كان المسيحيون لا ينفكون يقدسون (قربان القديس) أيوخاريسطيا ($Ευγαρηστια$) فأنتم أيضًا لا تنفكون تقدسون يوم السبت، والحال أن قربان القديس في نظركم ليس له أصل ولا فائدة وأنه من وضع الرهبانية، وكذلك لا أساس ليوم سبتكم؛ لأنكم صرتم ملة ذات تجارب وتربية دينية منذ خمسة آلاف سنة، ويجب أن تعلموا أن الله منـــزه عن الجسم والزمان والمكان وأنه تعالى لا ينفعل ولا يعرض له عكس العمل، ولا توجد قوة ولا عمل يجعله تعالى متأثرًا أو منفعلاً، وعلى ذلك لا يعقل ولا يصدق القول بأن الله قدس يوم السبت لأنه عمل ستة أيام واستراح في اليوم السابع[1]؟ لله أن يقدس أو يخصص أي يوم شاء لأجل الاستراحة العامة لا راحة عباده[2] ولكن السبب الذي تعللون به ذلك لا يمكن أن يكون صحيحًا، فإن الله لا

([1]) إن كتب العهد القديم تصرح بأن الله لا يتعب فقد جاء في [إشـــعياء 40: 28]: (أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكـــل ولا يعيا) (المترجم).

([2]) قد بينت التوراة حكمة تخصيص يوم الاستراحة أو يوم السبت:

- في [خروج 23: 12]: (ستة أيام تعمل عملك وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب).

- وفي [تثنية 5: 13]: (ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت -أي: استراحة- للرب إلهك لا تعمل عملاً ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونـــزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك؛ واذكر أنك كنت عبدًا في أرض مصر... لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفـــظ يوم السبت).

ففي الآيتين المذكورتين تصريح عن سبب فرض يوم السبت وهأنت ترى أنه غير السبب الذي يزعمونه من أن الله كان قد تعب في خلق العالم فاحتاج إلى الاستراحة، وأما ما جاء في [خـــروج 20: 11]: (لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدســـه). فيجـــب تأويل لفظ (استراح) بمعنى (فرغ)؛ لكي يرتفع الخلاف بين الآيات المذكورة وتبقى المناسبة بين عدد أيـــام الشـــغل فقط، فإن الله لا ينصب كالمخلوق كما قدمنا في الحاشية المتقدمة، وأي يوم كان من الأسبوع يمكن أن يكون يـــوم سبت أي يوم راحة (المترجم).

تفكروا جيدًا وأمعنوا النظر في تفحص المسألة عريضًا وعميقًا ، أنتم والمسلمون كلاكما تعبدون إلهًا واحدًا وهو الله الحق، فأنتما في هذا الباب وهو الباب الأساسي متحدون تمامًا سوى مسألة واحدة وتلك أيضًا تبقى بينكما تتمكنون من الفصل فيها.

أنتم تقرون بأن حبقوق وحزاقيل من أولاد إبراهيم، فلماذا لا تقبلون خاتم الأنبياء محمد ﷺ وهو أيضًا مثلهما من أولاد إبراهيم؟ تالله لا أرى لكم عذرًا في هذا، بل ولا مانعًا مبررًا يخل بحقيقة ديانتكم، كلا إني لا أرى لكم علاجًا للحياة، ولا تدبيرًا ناجحًا للبقاء إلا الالتجاء إلى الإسلامية، وبعد أن تقبلوا الإسلام تكون فلسطين ملككم، وهناك العرب يحتضنونكم، وهم أولاد إبراهيم إخوانكم في الجنس والنسب، هأنذا أخاطبكم قائلاً: السلام عليكم، فإذا أنتم أجبتم تحيتي بقولكم وعليكم السلام، فالمسألة تنتهي.

* * *

- 27 -

هل أتى زمن دخول اليهود (ملكوت الله)

لا أفكر في إحداث مسألة سياسية في هذا الخصوص لأنه لا فرق بين الطرائق والوسائط التي تتخذها السياسة وبين طرق الحيل والخداع التي يسلكها المقامرون.

ما أدهش هذه المدينة الحاضرة! والعجب العجاب أن الكنائس تبجل هؤلاء السياسيين المقامرين الكذابين الغاضبين وتناولهم (قربان القديس)!

إني عالم بشدة عداوة الكنيسة للإسلام، ترى كل ما يفعل بالمسلمين جائزًا ولائقًا. لماذا؟ لكي ينتصر الصليب ويهلك الهلال ويمحى، وهنالك تنشرح صدور كل المعتمدين بماء المعمودية بضحك وسرور. ولكن ليت شعري ألا يفكرون في أن الهلال ليس بعدو للصليب ولا رقيبه؟ ليس للهلال من قدسية أو معنوية في الإسلام، وإنما هو محض علامة للأثوريين أو الكلدانيين أو أي قوم آخرين لا ادري أيهم، الهلال لم يصلب عليه جني ولا ابن إبليس وإنما الهلال قمر الله الذي جعله يستفيد منه كل سكان الأرض والنباتات على سواء.

لكن لما صار الهلال في أعلام العثمانيين صار يعتبر كأنه عدو لصليب يسوع كلا وحاشا وبينما كان المأمول من وعاظ وبسقبوسي الإنجليز والأميركان أن ينهوا عن مثل هذه العداوة التي لا صحة لها ولا أساس دينيًا ويعلنوا هذه الغلط بصوت رفيع، نراهم يسكتون عليه ويقرونه لأنهم...!

إن منشأ النـزاع بين الإنجيل والقرآن هو التوراة، فللموسوية حق أو مجال للكلام في هذا الباب.

إذن فلتصدع الموسوية بقولها من غير ما خشية ولا جبن بحيث يقول الصديق والعدو: أحسنت أحسنت. وأما إذا هي أظهرت العداوة الدينية للملتين المسيحية والإسلام كليتهما معًا - كما في السابق - فبالطبع لا يكون الخاسر غيرها.

قلت: إني لا أفكر في إحداث مسألة سياسية؛ لأنه إذا ظهر تشبث جدي بإيجاد اتحاد ديني بين اليهود والمسلمين فلا شك ولا شبهة في أن ديبلومات أوروبا ومجالس وزاراتها تقيم القيامة في الحال ولهذا سنواظب على مطالعتنا في المسألة المذكورة من غير إعطائها مسحة الساسة.

أريد أن أسأل هذا السؤال من الموسويين: ألا يوجد من أساس أو سبيل إلى الائتلاف أو الاتفاق بين اليهودية والإسلامية؟ ألقي هذا السؤال وأكرره ليكون لإعطاء الجواب بتأن وإمعان النظر فرصة واسعة، ليجب متفكرو اليهود على سؤالي هذا، لكن بعد أن يراجعوا وجدانهم ويستحضروا صفاء قلوبهم.

لو كان عيسى بن مريم قد جاء بقدرة محمد عليهما السلام، وبقوته التنفيذية المعلومة، وطرد الرومانيين ووسع الفتوحات الإسرائيلية في القارات الثلاث من كرة الأرض كما فعل محمد ﷺ وأضاف القرآن المجيد في آخر أسفار التوراة، فهل كانوا يصرون على رفضه؟ لا أظن ذلك. كذلك لو كان محمد من سلالة داود عليهما السلام لم يكن من شبهة في أن اليهود كانوا يقدسون حضرة فخر الكائنات ويسمونه سلطان الأنبياء، وجعلوا القرآن تاج رأس التوراة، لا أقدر أن أتصور أن اليهود يتمكنون من أن يجدوا عيبًا حقيقيًا في حضرة النبي ﷺ وإذا فرضنا أنهم ذكروا ما يزعمون أنه قصور

كبير وتمكنوا في هذا اليوم من إسناده إلى حضرة نبي آخر الزمان، فحينئذ أدعوهم إلى التدقيق في ترجمة الأنبياء المبعوثين من أمتهم على حسب ما هو مكتوب في كتب العهد القديم لديهم، أي أني أقول أن ليس لديهم من تاريخهم ما يبرر لهم الاعتراض على محمدﷺ.

فإذا قايسنا حياة الأنبياء المرسلين إليهم وسيرتهم بحياة محمد صلوات الله عليهم وسيرته فلابد أن يذعن اليهود ويسلموا من نتيجة هذه المقايسة بأن الحق لسيد المرسلينﷺ، وإلا فإنكم سوف تضطرونني إلى كتابة كتاب آخر باسم (التوراة والسبت) بعد أن كتبت كتابي هذا الذي سميته (**الإنجيل والصليب**).

والخلاصة لو كان محمد ﷺ منسوبًا إلى سلالة داود أو هارون ولم يكن من صلب إسماعيل لجعلتموه قرة لأعينكم على كل حال، نعم لم يكن محمد ﷺ يهوديًا إسرائيليًا، هكذا أراد الله، ولكنه هو الزرع (זרע) النسل المقدس الموعود به في الميثاق إلى إبراهيم، ولا يمكنكم أن تقولوا شيئًا بحق على شخص النبي ﷺ وعلى تعاليمه أو على قرآنه لأن كل ما تقولونه في هذا الباب سأقول لكم تجاهه: (أنت أيضًا هكذا) بموجب القانون المنطقي.

وأرجو من فضلكم الإذن لي بأن أذكركم بأنكم ما نسيتم ولن تنسوا أبدًا في تاريخكم الملي والديني كم من مرة مالت أمتكم إلى عبادة الأصنام والتماثيل الباطلة بالرغم من كثرة كتبكم السماوية والأنبياء حتى ارتبطت بشريعة الله بعد سبي بابل ولكن بعد ماذا؟ بعد أن محي الكثير من مقدساتكم الدينية. على أنكم اليوم أيضًا في حالة هي أدهى وأمر من تلك الحالة السالفة.

فلو فرضنا أن شريعة موسى مع هيكل سليمان (المعبد، المسجد الأقصى) وغيرهما أعيدت لكم، فمن الذي يتعهد بأنكم لا تصدون بوجوهكم، وترجعون كالسابق غير راضين بها؟ أقول: ما مضى مضى، والماضي لا يعاد، ولكن الواجب عليكم الآن الرجوع إلى طاعة الله.

وهناك سياسة يهودية وجمعية دينية باسم (الصهيونيين) ولا يتصور موسوي هو خارج عن هذه الجمعية.

(صهيون צהיון) هي كعبة اليهود وبمثابة (لغة *Αελφοι* اليونانيين).

أنتم ستسعون وتجتهدون لتشكيل حكومة صغيرة في فلسطين في القدس الشريف تسهيلاً لمجيء משיח مسيح.

والدولة العثمانية بالطبع لا تساعد على ذلك، أما إن كنتم تنتظرون انقراضها للحصول على هذه البغية فذلك شيء معناه محوكم في ذلك الوقت لو تتفكرون[1].

لأن بغض أوروبا القديم من كاثوليك وأرثوذكس باق كما كان إلى درجة كنسكم من على وجه الأرض لأنكم أنتم، أنتم الذين تمهدون السبيل لمجيء مسيح عوضًا عن مسيحهم! يحتمل أنكم تفكرون بأن الله يبيدهم في آن واحد، وأن (مشيح) سيثبت كرسي داود في القدس وعليه يحكم! ويفتح الفتوحات، أنا لا أستطيع أن أتعرض لفكرتكم هذه؛ لأني لا أريد الاعتداء على عقيدتكم، فهأنتم أولاء تنتظرون في تلك الحال معجزات كبيرة، وخوارق فوق العادة! فأنتم وشأنكم! ولكن قدروا وفكروا بأن (العصا שבט قد زالت وأنه عند زوال العصا يأتي شيلوح שילוח).

لا أفكر في المباحثة مع الموسويين في هذا الباب، لأن الزمان والصدد لا يتفقان وموضوعنا، ولكن خلاصة ما أريد أن أقول هو:

([1]) أظن أن المؤلف قصد أن يقول: إذا انقرضت الدولة الإسلامية من حيث السياسة لا من حيث الخلافة.

ولقد أصيب العالم الإسلامي عدة مرات بنكبات شديدة نتيجة انشقاقهم وتخاذلهم فيما بينهم حتى كادوا أن ييأسوا من أن تقوم لهم قائمة من بعدها، ولكن عندما أحسوا بالاضمحلال تركوا الشقاق وعادوا إلى الوفاق فأعاد الله لهم الكرة على عدوهم، والذي أراه أنه لابد للشرق عامة وللمسلمين خاصة من كسر سيطرة الغرب عليه في القريب العاجل، لأن الحال لا تخلو من أحد أمرين:

– إما أن يرعوي الغرب عن غيه وبغيه ويكف عن الضغط على حرية الشرق؛ فتحصل جميع الأمم على حريتها أو حقها الطبيعي وذلك من حسن حظ البشر.

– وإما أن يتمادى ويزداد في غطرسته؛ فيضطر الشرق إلى الانتباه وينهض للذود عن كيانه وحريته.

ولا بد من أن يظفر ببغيته، ولكن بعد أن تخسر البشرية ما لا يستهان به، وقد بدت طلائع انتباه الشرق بصورة محسوسة، ولم يكن سبب انتباه الغرب إلا ضغط الشرق عليه (المترجم).

ربما كان من الممكن تصور موضوع للاتفاق والائتلاف بين اليهود والمسلمين وعلى تقدير ذلك أسارع لعرض بيانات العاجز الآتية، بسائق حب الخير لا غير، ومن اللازم الضروري حسب فكري تأسيس هيئة مؤلفة من علماء المسلمين واليهود، لتتذكر تلك الهيئة المختلطة هذه المواد:

– أ –

أن يتذكروا ويتداولوا البحث عن المساعدات المذهبية التي يمكن إعطاؤها لليهود:

أولاً: عن كيفية إبقاء كتب التوراة عينًا، ويقتضي إبقاء القسم الأعظم من هذه الكتب، لأنها تاريخ الملة اليهودية وأدبهم وأمثال ذلك من آثارهم الخاصة، وأما الأقسام الأخرى من الكتب المذكورة، فلو أنعم النظر فيها بحسن النية لا يتصور أن تكون مخلة بنقطة من أصول الإسلامية، ولكن كما يقتضي إعطاء الغذاء والتربية للأولاد لإيصالهم من الطفولة إلى سن البلوغ فكذلك إذا أمعن النظر في حياة بني إسرائيل الدينية في ظرف ثلاثة آلاف سنة فستكتسب كتب التوراة براءة في كثير من جهاتها المستوجبة للاعتراض، وها هي النصرانية لم تمس كتب العهد القديم حتى أنها تقرأها اليوم في الكنائس.

ثانيًا: ربما يريد اليهود التزام يوم السبت، فلا بأس بالإذن والسماح لهم بذلك لأنه لا فرق بينه وبين نوروز العجم الملتزم إلى هذا اليوم.

ثالثًا: أن تترك لهم الأماكن المقدسة بالعبرانية كالقدس وحبرون.

– ب –

ما تتعهد اليهود

1– إلحاق القرآن الكريم بكتب العهد القديم بصفته كلام ملكوت الله المتمم والمكمل للتوراة.

2– إلقاء الأذان المحمدي في الأوقات الخمس.

3– الارتباط القطعي بخليفة المسلمين.

وعلى مثل هذه الأسس أظن أن الجمع بين الدينين ليس خارجًا عن الإمكان، وإلا فبما أن اليهودية لا تملك صفة تمثل الملل الأخرى ولا هي تتمثل فيها، فمن المشكوك فيه جدًّا أن تحافظ على كيانها وسط هذا التيار المدهش في التنازع بين الإسلامية والمسيحية، إن آفة اليهودية هو انفرادها، وإن الشقاق العظيم الكائن بين العيسويين جعل الموسويين يأخذون لهم نفسًا وخلصهم مما كانوا فيه من الاضطهاد بصورة مؤقتة، ولكن أليس لأخذ هذا النفس من نهاية؟ إلا أنه لابد له من نهاية.

فهذا العالَم المسيحي المتلاطم الأمواج لابد أن يحاول إغراق قارب الموسوية الصغير، إن ملل الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ودولهم تستنكف بدرجة ما من إيذاء اليهود وإيصال الجور إليهم لخوف بعضها من بعض ولوجود الرقابة التي فيما بينهم أو لأسباب أخرى، ولكن هل من شبهة في أن كل واحدة من هذه الدول عندما تطمئن وتعتمد على قوتها ستقضي في أول فرصة وتختم على أنفاس اليهود؟ إن كلاًّ من هؤلاء الدول لا يتأخر ولا يتوقف يومًا من الجري على خطة إبادة بعضهم لبعض على حين أنهم أبناء دين واحد، فماذا يكون حال اليهود إذا ما ظهرت مثلاً حكومة روسية ذات قوة لا يبقى معها خوف ولا مبالاة من الرأي العام لأوروبا وأمريكا؟ إن مجلس مذهب الكاثوليك ذاك الشهير باسم مجلس التدقيقات[1] هو اليوم أيضًا، موجود، وإذا تقوى البابا مرة ثانية، فإلى أي (سلانيك) لمسلمي العثمانيين يذهب اليهود؟ من يضمن لنا أن دعاة مذهب البروتستانت الذين يزعجون راحة الموسويين ليلاً ونهارًا كلما تقووا أن لا ينفد صبرهم فيتوسلوا التدابير الزجرية القاسية إلى إبادة اليهود؟ ألا إن هذا هو مستقبل اليتيم الضعيف المنزوي المنفرد، والملة التي لا وطن لها ولا نصير، وبناء على ذلك ليتفكر الصهيونيون[2] في مستقبل أمتهم

(1) كان في رومية هيئة باسم (مجلس التدقيقات المذهبية/ Sacra Congregatio Inquisitionis Rituum) وكان ذلك المجلس سابقًا يقضي بالمظالم والوحشة على الإسرائيليين خصوصًا في إسبانيا (إنه يعني محكمة التفتيش الاضطهادية) (المؤلف).

(2) (צהיין صهيون) اسم قمة أنشئ عليها القدس الشريف القديم، و(صيون، سيون، السيونيست) هي عبارة (صهيون) نفسها (المؤلف).

وسلامتها، آخذين مطالعاتي المعروضة أعلاه نصب أعينهم ودقـة أنظـارهم، ولاشـك أن أخذهم موقعًا ممتازًا في الإسلام أولى وأرجح ألف ضعف من اضمحلالهم في النصرانية[1].

* * *

* *

*

(1) قد سبق جماعة من المسلمين هذا المؤلف إلى فكرة التأليف بين مسلمي العـرب واليهـود بـاقتراح المرحـوم السيد/عبد الرحمن الكواكبي الحلبي الشهير ولكن من ناحية السياسة دون الدين وألفت لجنة للبحث في ذلك بـدار المنار.

وأما الناحية الدينية فقد كان النبي ﷺ عقب هجرته أقر اليهود المجاورين له على دينهم وأنفسهم وأموالهم بمعاهدة مكتوبة، ولكنهم نقضوها وغدروا به وساعدوا المشركين عليه حتى اضطر إلى قتالهم وإجلاء بقية السيف من الحجاز ثم كان المسلمون يحمونهم من ظلم النصارى في كل الممالك الإسلامية، وقد تجدد للصهيونيين منهم بعـد الحـرب العالمية أمل جديد بمساعدة الإنجليز على إنشاء وطن لهم في فلسطين حال دون اتفاقهم مع بقية اللجنـة السياسـية العربية وسينتظر العالم مآلهم فيها وأما أوروبة فيزداد اضطهادها لليهود سنة بعـد سـنة إلا في إنجلتـرا وفرنسـا (المصحح).

الباب الثامن

ملكوت الله ليس النصرانية

هل تستطيع الكنيسة تعيين ما هو (ملكوت الله)؟ هل تتمكن أن تعين أي دين هو من الأديان المؤسسة على وجه الأرض على هذه الصفة (بانيه وشارعه هو الله، وشريعته كلام الله) هيا فلتبين لما الكنائس متحدة كلها دينًا هو كذلك (بانيه الله وكتابه كلام الله) كالذي بشر به وأوضحه مجملاً حضرة المسيح ﷺ على ما تفهمه من مضمون أناجيلكم المقدسة، أرونا إذن ما تشاءون من هذه الأديان الموجودة، اطرحوا في الميدان أيا ما تختارون من أديانكم ومذاهبكم ومدارس الأفكار التي لكم على حين أنها تنيف على الخمسمائة - من المسيحية التي أنتم بها معجبون، هل هذا الدين الذي هو موضوع بحثنا وتحرينا دين الكاثوليك؟ فها أنا ذا أنتظر من جميع الكنائس ما عدا الكاثوليك جوابًا إيجابيًّا يقول نعم إنه هو، هل من قائل يقول هو مذهب الأرثوذكس، ما عدا الأرثوذكس أنفسهم كالفاتيكان وشركات بايبل الإنجليزية والأمريكان؟ أم أنتم إذًا مالكون ما ينيف على الخمسمائة ملكوت الله؟

ليت شعري أي جواب لكم نقبل، وتعريف أي ملة نعتبر؟ أنا أعلم أن قسمًا منكم سيجيبني قائلاً إن ملكوت الله عبارة عن المعمدين باسم الآب والابن والروح القدس. والحال أن جوابكم هذا ليس له مغزى غير تجويز الظلم والاعتساف إذ كلما قويت كنيسة الكاثوليك تعلن في الحال أن كل المعمدين يعتبرون كاثوليكيين، وتعمد إلى القوة وتجعلهم كاثوليكًا بالإكراه، وكذلك الأرثوذكس في البلقان أيضًا تقتفي هذا المنهج نفسه، أليس الذين في بلاد اليونان والصرب والبلغار متشبعين بهذه الأفكار عينها؟ فكنيسة الصرب لا تريد أن تعترف بالبلغار، ولا كنيسة اليونان تعترف بالصرب.

والقسم الآخر منكم يقول: نعم، المعمدون، ولكنه يدعي أنه لا يعني عماد الأطفال والصبيان، وإنما يخص به المعمدين برضائهم ورغبتهم بعد سن البلوغ وحسب عقيدة هؤلاء أن كل الواصلين إلى سن البلوغ ليسوا مسيحيين ما لم يعتمدوا برضائهم مرة

ثانية فبقدر ما يجب ويفرض الاعتماد على عابد الصنم وعابد النار أو اللاديني الراغب في دخول مذهب الباتيست، يجب ويفترض على البسقبوس والبطريرك أن يعتمدا مرة ثانية.

فبينما أنتم مختلفون بينكم في مئات من مثل هذه الدعاوى الأساسية يجب عليكم أن تفكروا في أنفسكم كيف تدعون الصلاحية في تعريف أو تعيين أو إراءة ملكــوت الله من بين هذه المذاهب.

أيها المسيحيون انظروا إلى عقيدتكم وتصوراتكم، لا بد أن يكون ملكوت الله أحد هذه الفرضيات الثلاث: ملكوت الله على تعريف المسيح ﷺ، ملكــوت الله علــى تعريف بولص، ملكوت الله على ما لا يتناهى من تعريفات الكنائس، وليس وراء هذه الثلاث ما يمكن تصوره، فأي هذه التعريفات يجب أن ندقق فيه؟ أتعريــف المســيح أم تعريف بولص أم تعاريفكم؟ ليعذب القولنج أحشاءكم ما شـــاء أن يعــذب، فــنحن مضطرون إلى قبول وترجيح تعريف المسيح ﷺ وتفسيره خاصة، ولكن ليكن وعــدًا علينًا أن نمر تفاسير بولص والكنائس أيضًا من نظر التدقيق والإمعان.

إن المعلومات التامة التي أعطاها المسيح ﷺ تدل دلالة قطعية على أنه لا يمكن أن تكون الكنائس والنصرانية هي المراد من كلمة (ملكوت الله).

* * *

- 28 -

بما أن العيسوية ليس بانيها وشارعها هو الله وحده
فمن المحقق ألا تكون ملكوت الله

إني أدعوكم إلى مطالعة موعظة المسيح ﷺ البليغة على الجبل الممتدة من البـــاب الخامس إلى نهاية الباب السابع من إنجيل متى، وإلى مطالعة الباب الثالث منه أيضًا مـــع

إمعان النظر فيها. ثم بعد ذلك ليمعن النظر في مباحثنا السابقة في صفات ملكـــوت الله وخصائصه[1].

المخاطب في الدعاء وفي الصلاة دائمًا هو الله الواحد الفرد الأحد، وأبناء الملكوت كعيسى عليه السلام هم عبيده، وبناء عليه نبرهن على أن المسيحية ليست ملكوت الله علـــى الوجه الآتي:

1- العيسوية التي تعترف بتأسيسها من قبل ثلاثة بانين مستقلين يجب أن تكون غير ملكوت الله الأحد الذي بشر به المسيح عليه السلام[2].

المخاطب في الصلاة وفي الدعاء الله هو الواحد، الصدقة تعطى لوجه الله الواحــــد، الصوم يلتزم ابتغاء مرضاة الله الواحد، صاحب الحقل، زارع الحنطة ومربيها، مرســـل الحاصدين، جامعها في مخزنه، حارق الزوان، كل هذا هو الله الواحد، الفاعل هو فـــرد واحد رامي الشبكة في البحر، ومفرق السمك من الحشرات المضرة والنجسة، ومعيد الرديء منها إلى البحر، فاعل واحد، في هذه الأمثال كان عيسى عليه السلام دائمًا يعرف الله ويعرف بوحدانيته، ومن حسن الحظ أن الإنجيل يطلق على الله لفظ الآب، وإلا فـــإني عالم بما يقوله المسيحيون السوفسطائيون يقولون: نحن أيضًا نريد بعنـــوان التثليـــث أن نقول إن الله واحد. حسن جدًّا، كم (آب) لديكم؟ بالطبع ستقولون آب واحد، هــــل الآب هو الابن؟ بالطبع تجيبون أن الآب ليس هو الابن. هل الآب هو ورح القــــدس؟ كذلك ستجيبونني بالنفي وتقولون: لا، وهو الجواب الذي أعرفه.

---

(1) راجع الفقرة (26) من الباب السابع من هذا الكتاب (المؤلف).

(2) تعلم من الأناجيل أن اليهود كانوا يتربصون بالمسيح عليه السلام الداونر ليقفوا منه على زلة يتخذوها وسيلة للإيقاع به مهما كانت تافهة كدخول بيوت الخاطئين وإبراء الأبرص والمفلوج يوم السبت وكـــون تلاميـــذه لا يغســـلون أيديهم قبل الأكل، حتى أن الذنب الذي يزعمون أنه كان السبب الأعظم في حكم اليهود عليه بالصلب هو قوله: (أنت قلت) إجابة على سؤال رئيس الكهنة منه: (هل أنت المسيح ابن الله) [مى 26: 63-68]. على أنه كان قـــد سبق منه مثل هذه الكلمة ولما اعترضوا عليه أجابهم بما معناه أن هذا تعبير مستعمل في التوراة لكل نبي [يوحـــ 10: 29-36] ولما كانت الحال هكذا ولم نجد في الأناجيل أن اليهود اعترضوا لقوله بالثالوث أو الأقانيم الإلهية علمنا أنه لا يعقل أن يتفوه المسيح بالتثليث واليهود يقبلون منه ذلك أو يسكتون عنه ولا يعترضون في حين أنهم موحـــدون (المترجم).

والآن أتصور أن الحكمة في أن المسيح عليه السلام سمى الله بعنوان (الآب) هي تخجيل وتبكيت المثلثين الناشئين أخيرًا، عباد تعدد الآلهة، وما دام البشر قد سموا خالقهم بأسماء عديدة فلنكن متمايلين إلى قبول عنوان الآب الذي أضافته أناجيلكم، إذًا فكل من الإلهين الآخرين ليس بالآب، وإذ كانت الحالة كذلك فلماذا لا تقدرون أن تفهموا أنكم تكونون قد اعترفتم بأنهما ليسا الله مثله؟ فالإلهان (الأم[1] والابن) الآخران اللذان لم يقدرا على أن يبلغا درجة الله درجة الأبوية إلى الآن (ومن المحقق أنهما لن ينالاها فيما بعد أيضًا) بينما يجب أن يكون الله قادرًا على كل شيء لأنه القادر المطلق، إذا فمن الضروري للإلهين غير الواصلين إلى مقام الله الذي هو الأبوية أن يكونا متصفين بالعجز والجهل حسب اعتقاد النصارى.

ألا إنني لأستحي من إخواني المسلمين عند استعمال مثل هذه التعبيرات غير المعقولة التي لم تألفها أسماعهم بل لا يستطيعون سماعها؛ لأن محل استعمال مثل هذه التعبيرات ليس الفلسفة والعلوم الدينية بل الأساطير وحدها.

جاء في كتاب العقائد الدينية المرتب على طريقة السؤال والجواب: يجيب كل مسيحي عن الأسئلة الثلاثة أدناه هكذا:

السؤال: من خلقك؟ — الجواب: خلقني الله الآب.

س: من خلصك؟ — ج: خلصني الله الابن.

س: من أحياك؟ — ج: أحياني الله روح القدس.

أما الموحد فيجيب على كل سؤال من الأسئلة المذكورة أعلاه قائلاً: هو الله. يقول: إن الذي خلقني وخلصني وأحياني هو الله تعالى.

إن الذي يعمل أجل الأعمال في تثليث المسيحيين هو الروح القدس لأنه هو الذي يهب الحياة للأجساد المخلوقة والمخلصة معًا، فالآب قد خلق الجسد فقط، وأما الابن فقد خلص الجسد! من أي شيء خلصه يا ترى!؟ أمن الخطيئة أم من جهنم؟ فالأمر هنا

---

(1) إن لفظ روح في العبرانية والكلدانية من أسماء الجنس المؤنث (וכום אלים מחפת על-פני המים) والحال هي في اليونانية غير جنسي وتأتي في العبرانية والكلدانية من المذكر (المؤلف).

صعب! من أي شيء خلص الجثة الهامدة؟ وممن؟ أمن الوحش أم من التفسخ؟ أسئلة لا جواب لها! والحال يبقي الروح القدس دائمًا في الصف الثالث من الخطاب، ولنفرض أن أحد الجمع السامعين على رأس ذلك الجبل قول الواعظ المسيح ﷺ سأله قائلاً: (يا معلم من هو خالق ملكوت الله الذي أنت تبشر به ومن هو منجيه ومن هو محييه؟) فكيف كان يجيب ذلك المعلم؟ كما أن المعلم كان موحدًا فالجمع أيضًا كانوا موحدين، فلا شبهة في أن المعلم كان يجيب من أورد مثل هذا السؤال بما يأتي:

الغالب أنك أصبت بمس من الجنون، أيسال يهودي عاقل مثل هذا السؤال كالأحمق الجهول؟ هل من إله غير الله إلهنا؟ هل سمعت مني كلامًا يوهم مثل هذا المعنى؟ هل من شك في أن خالق ملكوت الله الآتي هو الله وحده، وأن الذي يحفظه من كل هلكة، ويصونه من كل ضلالة هو الله الأحد؟ وأن الذي يحييه ويربيه ويديمه أيضًا هو الله تعالى؟ إن الله واحد ليس له ند ولا شبيه ولا شريك، وأشهد أن لا إله إلا الله[1].

وهل كان من الممكن أن يقدم المسيح ﷺ على إعطاء جواب بخلاف هذا؟ أم هل كان يمكن فرضًا أن يقول: لي مئات من الملكوت: ملكوت الأرثوذكس وملكوت الكاثوليك، ولي جيش نجاة[2] ولي.. ولي... ولي.... إلخ.

* * *

- 29 -

ملكوت الله على تفسير بولص

الفرق بين عيسى الواعظ على الجبل ﷺ، وبين عيسى بطل موعظة الرسول بولص -عظيم كالجبال، فبولص لم يكن قد رأى المسيح، ولا علم شيئًا من ترجمة حاله، ولا

(1) أكرر أن في الإنجيل آية شبيهة بقولنا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. تمامًا عليها تتوقف الحياة الأبدية، وهي: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الله الحقيقي وحدك، وأن يسوع المسيح هو الذي أرسلته) [يوحنا17 : 3] (المترجم).

(2) Thesalvation army.

كلمة من تعاليمه، وإن جهله بوجود الأناجيل الأربعة حقيقة لا تنكر بقول بــولص في رسالته الأولى إلى تيموثاوس [13: 6]: (المسيح يسوع الذي شهد بإقرار حسن لــدى بيلاطس النبطي (بونطيوس بيلاطوس). ولكن يفهم من الآية 20 من الباب المــذكور وهي: (باتيموثاوس، احفظ الوديعة معرضًا عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلــم الكاذب الاسم).

إن رسالة (مخلفات العلم) المذكورة من تأليفات العصر الثاني للميلاد، إذ كــان في العصــر الثــاني (مــاركيون) عــدو الرهبانيــة قــد كتــب كتابًــا باســم (Αντιθεσεις της γνω σ εως) أي اختلافات العلم لإثبات أن التعليمات المعزوة إلى عيسى مغايرة ومخالفة لتعليمات الله في التوراة وبما أن الكتــاب المــذكور المــدعو (اختلاف العلم) زلزل موقع الرهبان، فيفهم بصورة قطعية أن الآية المذكورة أضــيفت وعزيت إلى بولص على وجه التحريف[1].

وعلى كل حال فإن بولص يبجل ويعظم رجلاً اسمه عيسى أميت ومات وحيي فقط، وإن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم المشار إليه (بولص) فلا محل للحيرة إذا قلت إن المؤسس الحقيقي للمسيحية (الحاضرة) هو هذا الذات (بولص) فإن شخص شاءول الشاب الطرسوسي من سبط بنيامين ومن مذهب الفريسيين وتلميــذ أحد علماء الدهر عضو مجلس صنهدرين المدعو جملئيل[2] الحائز لحياة نقيــة حســب شريعة موسى الذي كان في البداءة يجتهد في رفع اسم عيسى وأتباعه من علــى وجــه الأرض والذي رأى أخيرًا عدوه الناصري في السماء لامعًا داخل الأنوار وقت الظهــر أمام دمشق اهتدى وسماه باسم بولص، هو الذي وضع أساس (هذه) العيسوية، والقسم

([1]) أكرر ما قلت سابقًا: إن أكثر النساخ كانوا يضيفون إلى آخر الرسائل التي يخطونها عبارات من عندهم؛ لــدفع اعتراض يرد من الكتاب على اعتقادهم؛ أو لصرف ذهن القارئ عما فهم من العبارة إلى ما يعتقدونه؛ أو لغير ذلك من مقاصدهم (المترجم).

([2]) لا يوجد حرف الجيم غير العربية في اللغات السامية، والثالث من حروف الهجاء كمثل الكاف الفارسي (گ) يتلفظ بفتحتين ويتلفظ كالغين أو الكاف الفارسي (غملئيل) (المؤلف).

الأعظم من (أعمال الرسل) يبحث عن سياحات بولص الطويلة وعن مجاهداته ومشقاته [أعمال 30: 8 و22 و1-22 و26: 9-23 إلى الفيليبين 3: 5-7].

إن عشق المسيح الذي أشغل كل قلبه وعقله وخياله، لم يدع راحة هـذا الرجل الممتاز ليلاً ولا نهارًا، في البحار والسجون والكنيس والمعابد، في حضور الحكام والولاة، في سوط جمعيات الفلاسفة، في أثنية وفي آريوياغوص، وفي روما بحضور القيصر، من حين اهتدائه إلى أن فصل سيف الجلاد رأسه الأشيب من جسده، لم يفتر طرفة عين عن نشر اسم مسيحه وعن التلذذ والتعزي باسمه!

وبما أن علاقتنا بتعليم بولص دون شخصيته، فعلينا أن نتتبع ونطالع [سفر الأعمال] والخمس عشرة رسالة الأخرى لبولص لأجل تعين بولص في هذه الساحة، وكما أن الأناجيل الأربعة تصور المسيح في صور متخالفة، فكذلك للرسائل وأعمال الرسل أيضًا تصور بولص بصورة متنوعة ومتضادة.

فإثباتًا لصداقته وتمسكه بحبل الشريعة الموسوية ينذر بولص ويحلق رأسه على ذلك الوجه [أعمال 18: 18 و21: 24: 26].

إن قانون النذر مكتوب في الباب السادس من الكتاب الرابع من التوراة المسمى [سفر العدد] فإذا تأملنا في بولص المكلف في أيام نذره بعدم أكل الزبيب وعدم قص شعره بالمقراض أو حلقه بالموس، وبالتباعد عن الجنازة فضلاً عن الشراب والمسكرات، المجبور على أن يربي خصل شعر رأسه إلى أن يأتي وتحت إبطه سلة ملموءة من الفطير رقاقًا وأقراصًا ملتوتة بزيت، وبثلاث خراف حولية صحيحة على أن يكون أحدها للمحرقة والآخر للخطيئة والثالث للسلامة، وبيرميل من الخمر يقدمها للكاهن فيحلق شعره على نار المحرقة، وبعد أن يطيع كل أوامر الكاهن ذي الصلاحية بإجراء المراسم الأخرى - نفهم أنه لا يمكن أن يكون بولص أرثوذكسيًّا ولا كاثوليكيًّا ولكن كان يهوديًّا موسويًّا فقط!

ولما كان بولص يتجول في معبد آثينة ورأى هذه العبارة (Αγνωστω θεω الله غير المعلوم) المكتوبة على أحد المذابح، كان موحدًا يعظ بكل طلاقة وبلاغة وشجاعة عن

(الله غير المعلوم) الذي يعرفه حكماء اليونان في آريوباغوص ولكننا نجده في الأماكن الأخرى لا يعرف الشريعة ولا يخاف من أن بعد المسيح مساويًا لله نجد أن مؤلف الرسائل المرسلة إلى الرومانيين والغلاطيين والعبرانيين ينسخ شريعة موسى.

ربما نكون قد ارتكبنا ظلمًا في انتقاد بولص؛ لأننا إذا نظرنا بدقة إلى عبدالله المرتحل إلى دار البقاء منذ تسعة عشر قرنًا، وإلى تلك الأيدي التي اختلفت على رسائله التي خلفها يجب علينا على كل حال أن نفتش عن مسئولية التعاليم المخالفة للحقيقة والمعزوة إليه في مواضع أخرى، فبناء على هذا نحن مضطرون رغم الاحترام الفائق الذي في أنفسنا لشخص بولص إلى نقد تعاليم بولص وجرحها فيما يخص ملكوت الله.

* * *

- 30 -

مذهب بولص: لا شريعة ولا خطيئة في ملكوت الله

قبل اثني عشر عامًا كنت في إنجلترا وكان لدي كتاب مخطوط يبحث عن تعاليم بولص، فأنا ألخص منه هنا المسائل المتعلقة بموضوعنا فقط.

بولص لا يعرف ملكوت الله، ولكنه يبحث عن ملكوت الله المسيح فقط، أليس هذا أمرا طبيعيًا؟ والملكوت في نظر بولص هو الكنيسة، ولكن أي كنيسة؟ أنا أيضًا لا أقدر أن أعرفها.

يمكن تلخيص تعليم بولص على هذا الوجه الآتي:

(ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب، ولكن المسيح أبطل الشريعة فبطل ارتكاب الخطيئة).

القضية الكبرى صحيحة، فإن الشريعة عبارة عن الأوامر والنواهي التي تبين للناس حكم الآمر المطلق ومشيئته، وإن الذي يعين الوظيفة والحقوق هو القانون والقانون نفسه هو الذي يعين المسئولية والجزاء أيضًا، وكما أن الطاعة للشريعة تعد صلاحًا، فمخالفة الشريعة تحسب خطيئة، فبولص يسوق نتائج أقيسته كلها في هذا المركز [من أول الباب الثاني إلى نهاية الباب الحادي عشر من رسالته إلى الرومانيين وكذا للغلاطيين].

(وما دام الأمر باقيًا فالوظيفة بالطبع ثابتة، وحينما يرتفع الأمر تلغى الوظيفة) وبناء عليه فالمسئولية أي الصلاح والخطيئة موقوفان على وجود الشريعة وباعتبار النتيجة، كما أن الصلاح أي طاعة الشريعة يوجب النجاة، فالخطيئة أي تعدي للشريعة ينتج الهلاك، إذن فالشريعة هي التي تعرف الخطيئة وتميزها وتفرقها؛ لأنه إن لم تكن الشريعة، فبأي واسطة أتمكن من معرفة الحلال من الحرام، والخير من الشر، والفضيلة من الرذيلة؟ والخلاصة كيف أعرف الخطيئة والسيئة والمعصية؟

بولص يقرر هذا فيقول: (بالشريعة تعرف الخطيئة) [إلى أهل رومية 3: 20].

وكذلك يروي عن حضرة بولص قوله: (فماذا نقول الآن هل الشريعة خطيئة؟ حاشا، بل لم أعرف الخطيئة إلا بالشريعة، فإنني لم أعرف الشهوة لو لم تقل الشريعة لا تشته، ولكن الخطيئة وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة؛ لأن بدون الشريعة الخطيئة ميتة أما أنا فكنت بدون الشريعة، عائشًا قبلاً، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فمت أنا فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت؛ لأن الخطيئة وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني، إذن الشريعة مقدسة والوصية مقدسة وعادلة وصالحة) [رومية 7: 7-12].

أدرج الآيات التي مرت آنفًا من الكتاب المقدس المطبوع في مطبعة بوياجيان آغوب في القسطنطينية، بنفقة شركة بايبل الإنجليز والأميركان على المعتاد، وبناء عليه فالشركة المذكورة هي المسئولة عن الترجمة بقولها: (بالترجمة عن اللغات العبرانية والكلدانية واليونانية)[1].

فعلى وجهة محاكمة بولص الشريعة قاتلة ومميتة؛ لأنه نفسه يعترف قائلاً: (أما أنا لما كنت قبلاً بغير شريعة كنت حيًا، ولكن لما جاء الأمر حييت الخطيئة ومت أنا، وذلك الأمر الذي صار سببًا للحياة صار سببًا لي للموت). وها هو منشأ ضلالة المسيحية –

---

(1) وأنا أيضًا نقلت الترجمة من نسخة ترجمة الكتاب المقدس المطبوعة في المطبعة الأمريكانية في بيروت سنة 1926م حرفيًا، تاركًا ما عربته عن عبارة المؤلف التركية، إلا أني كتبت (الشريعة) عوضًا عن كلمة (الناموس)، وكان المؤلف قد ذكر كلمة (طمع) عوضًا عن (شهوة) (المترجم).

حسب فكري القاصر- متمركز في تعاليم بولص هذه على ما أعتقد فهل كانت شريعة الله هي السبب لإحياء الخطيئة وموت الإنسان؟ إن عيسى الأناجيل لم يخطر بباله مثل هذه الخيالات، وأما بولص فمن جهة يعترف بأن الشريعة مقدسة وعادلة وصالحة، ومن الجهة الأخرى يدعي أن الشريعة أحيت الخطيئة وهي القاتلة للإنسان: (لأنه بأعمال الشريعة كل ذي جسد لا يتبرر أمامه) [رومية 3: 20]، (فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الشريعة لم تكمل شيئًا) [إلى العبرانيين 7: 19] (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا) [إلى الغلاطين 3 : 13].

فالآن يفهم أن قصد بولص من تفسيره المقدمة الكبرى من القياس على هذا الوجه هو عبارة عن تمهيد طريق لإثبات المقدمة الصغرى، والحال أن ظنيات بولص ومحاكمته ومعيار تفكره ليس بأكثر من مغالطة، أما الحقيقة فهي على الوجه الذي اعترف به بولص نفسه:

أولاً: إن الإنسان باعتباره موجودًا ناطقًا خلوقًا تابع لثلاث شرائع، الشريعة غير المكتوبة وهي الضمير والوجدان الذي يسوق للإنسان إلى حب الخير والاستقامة.

والثانية: هي القانون البشري الحيواني الطبيعي الذي يسوق الإنسان إلى الأهواء النفسية والمنفعة الشخصية.

والثالثة: شريعة الله وهي رضاؤه وإرادته التي بينها على ألسنة الأنبياء بالوحي والإلهام.

إذن فهادي الوجدان ومديره هو الشريعة سواء أكانت الشريعة مكتوبة أم غير مكتوبة، ويتمكن الإنسان من أن يميز الخير من الشر على قدر ما يدرك وجدانه حتى أن الولد الصغير يخاف من أمه إذا سرق شيئًا من السكر، أي أن عقله يصل إلى إدراك ما ارتكبه من الذنب بواسطة وجدانه الصغير، وعليه فقد غلط بولص في قوله إن الشريعة أحيت الخطيئة وأماتت الإنسان، الخير والشر كلاهما من الله، ولو لم يكن هذان لا

تعرف الإنسانية قدر العافية ولا مزية الرقي، الخير والشر هما الواسطتان اللتان تميـزان الإنسان من نوع الحيوان، وترفعان عالم الأخلاق إلى العلاء.

الشريعة ليست مولدة الخطيئة ومسببتها، ولكن معيارها المعين لها، علـة الخطيئـة الفاعلة هي إرادة الإنسان الجزئية.

ولكن قوله: (لا يتبرر أحد في نظر الله بواسطة أعمال الشريعة)، وقوله: (لم تكمـل الشريعة شيئًا) كلاهما خلاف الحقيقة على خط مستقيم، بل الأمر بالضد أو النقـيض فالشريعة تكمل كل شيء، فإن من يلتزم ما أمرت به الشريعة ويسلك حسب أوامرها فهو الإنسان الكامل الذي يعد بارًّا وصالحًا عند الله، وإن شريعة الله تجري على ناموس التكامل، كل أنبياء بني إسرائيل وأبرارهم نجوا وخلصوا لأنهم سلكوا وفق شريعة الله.

وفي هذا الخصوص لما فهم بولص أنه سيجعل نفسه عرضة للتهمة بالإضلال، قال إن إبراهيم وكل الصالحين تبرءوا بالإيمان، أي أنه يقول لا يخلص أحد بواسـطة أعمـال الشريعة لكنهم وجدوا الخلاص بالإيمان فقط، والحال أن مثل هذا الاستدلال لا يثبت شيئًا فهذا بمعني (أساس التساؤل **petitic perncipli**) من ذا الذي يهتم بالشريعة وليس له إيمان؟ وإذا لم يكن الإنسان مؤمنًا فهو لا يطيع شريعة الله، ولكن هل يكفـي الإيمان وحده؟ كلا إن الشيطان أيضًا مؤمن بالله، حتى إنه ليرتجف خوفًا منـه، ولكـن كيف يبرهن على وجود الإيمان إذا لم يكن العمل؟

قارنوا بين تعاليم بولص هذه وبين تعبيرات المدح التي أوردها الزبور في هذا الباب، فإن داود ﷺ يترضى عن حال ذلك الذي:

- (يجد مسرته في شريعة الرب ويطالع في شريعته ليلاً ونهارًا) [مزامير 2: 1].
- (اسلكني في طريق وصاياك لأني وجدت مسرة فيها) [مزامير 35: 119].
- (وأتلذذ بوصاياك التي أحببت) [مزامير أيضًا 47].
- (تذكرت أحكامك من القديم يا رب فتعزيت) [أيضًا 52].
- (ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك) [أيضًا 55].
- (في منتصف الليل أقوم لأحمدك لأجل أحكامك العادلة) [أيضًا 62].

- (لو لم تكن شريعتك مسرتي هلكت حينئذ في مشقتي) [أيضًا 92].

- (سبع مرات في النهار أحمدك لأجل أحكامك العادلة) [أيضًا 164].

فإذا لم يكن افتراء بولص وبهتانه تقولاً وطعنًا على شريعة الله التي هي مدار افتخار كل الأنبياء، وسند الصالحين، ومسلية المضطربين، ودليل رجاء الخاطئين، وأنشودة السيناغوغ إذن فما هي؟ كيف تميت الإنسان شريعة موسى وهي التي بعث بها 124000 مائة وأربعة وعشرون ألفًا من النبيين؟ لكل سبط من بني إسرائيل اثني عشر ألفا؟ [كلمة 7: 1-8][1] هي لا تميته بل هي التي تحييه، تلك حقيقة يجب أن يخجل لها بولص، أليس هؤلاء الأنبياء لم يبيضوا جبهم بدم الحمل قطعيًّا؟

هل كان أولئك الرجال المقدسون الذين أنجبتهم شريعة موسى، دون عزة الكنيسة طالبي الجدال؟ فلنعدد عشرة من مقدسي المسيحية: آثاناثيوس، قسطوريوس، أبو طيكوس، قورللوس الإسكندري، لوتر، جان ويكليف، كلوين، ايفناتيوس لبولا، وهلي، جنرال بوث! ففضلاً عن أني لا أتصدى للطعن بقلمي على أشخاص هؤلاء الذوات، لا أقدر أن أكتب في حق هؤلاء الناس الراحلين شيئًا عن إبداعهم إلى رحمة الله، ولكن بطولة هؤلاء وشهرتهم لم تنشأ إلا من شدة عداوة بعضهم لبعض، وإدخال الشقاق والنفاق على أبناء دينهم.

وإذا ما أتينا إلى القضية الثانية فهناك تكتسب دعوى بولص وخامتها، وذاتًا لم يكن سبب ذكره الشريعة بالألفاظ الذميمة (مثل عديمة الفائدة ومميتة الإنسان ومحيية الخطيئة، واللاعنة، واللاشيء) إلا بقصد إدخال الحمل في الوسط.

يقول: لكن المسيح ألغى الشريعة!!!

ثم إن تعاليم بولص الآتية تؤيد المقدمة الصغرى:

(الآن... تحررنا من الشريعة) [إلى أهل رومية 7: 6].

Κατηργηθημεν απα του νομου .

---

(1) مراده من كلمة (يوحنا): رؤيا يوحنا (المترجم).

والكلمة اليونانية (κατηργηθημεν فاتير غيثيمن) تفيد معنى: عتقنا من قيد الأسر والسلاسل، أي أننا كنا إلى الآن تحت أسر الشريعة أما الآن فقد خلصنا رقابنا من أسرها.

(فإن الخطيئة لن تسود لأنكم لستم تحت الشريعة بل أنتم تحت العناية) [رومية 6: 14].

(المسيح صار لعنة لأجلنا إذ خلصنا من لعنة الشريعة) [غلاطية 3: 13].

(أنا مت للشريعة بالشريعة) [غلاطية 2: 19].

إن التعليم الوحيد لبولص عبارة عن أن دم المسيح صار كفارة أعتق العالم وخلصه من لعنة الشريعة ومن أسرها.

إنهم حتى في هذا العصر الرابع عشر للملكوت[1] لا يزالون يجرحون قلوب عارفي الله الحق بتكريرهم الكلام عن الدماء واللحوم وذبح الذبائح، وعن إحراق المحارق،

([1]) ومما هو جدير بالاستغراب أن المسلمين أبناء ملكوت معجبون بمدنية عصر العشرين، وهل هذه المدنية وليدة المسيحية؟ ما المدنية الحاضرة إلا ثمرة الانقلاب الفرنسي (الذي زلزل دعائم المسيحية) والرنيسانس (المؤلف).

و(الرنيسانس): كلمة فرنسية تطلق على دور التجدد، دور الحياة الجديدة على بدء رقي العلوم والمعارف في أوروبا حوالي العصر الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي، وذلك عقيب احتكاكها وحصول المناسبات الصلحية والعدائية بنيها وبين العالم الإسلامي، وما التجدد الديني الذي أحدثه (لوثر) إلا الإقلاع عن بعض ما انتقده الإسلام على النصارى.

- قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/31].

وألقى البورتستانت نير سيطرة البابا والكهنوت من على غاربهم.

- وقال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة/47].

فترجم البروتستانت الكتب المقدسة وبثوها بين الأقوام، بعد أن كانت محتكرة لدى الكهنة بلغة لا يفهمها إلا هم.

- وقال تعالى: ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة/116].

فأبطل البروتستانت تقديم العبادة لمريم عليها السلام.

- وقال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد/27].

وعن الكاهن والأسرار، وعن الصليب والشفعاء،وعن الإنجيل والمسيو نرتير (الدعاة المبشرين) وعن الناقوس والكنيسة، وعما إذا كان الرب ثلاثة أو واحدًا، فأنا بعد أن عرفت خالقي وأحببته، وأردت أن أسلك الطريق إليه، مقدمًا التوكل عليه والصلوات على جمع أنبيائه إذا لم أجد الطريق مفتوحة رأسًا إلى صاحب الملكوت الخالق الأحد من غير واسطة فلا أقدر أن أذهب إليه، فأنا المذنب الفقير المحروم من الفضل والفيض والنوال.

نريد دينًا صافيًا وبسيطًا، ليتمكن الناس من أن يأتوا فيقدموا تعظيمهم وتضرعهم بكل حرية إلى حضرة الله تعالى ملك الناس من غير واسطة ما، وإن إله ملكوتنا الأزلي الأبدي ليس كأحد القياصرة (الإمبراطورين) يتعب من كثرة الاشتغال،بحيث لا يسوغ لأحد التقرب منه بل يكتفي منه بنيل السلام من جانب عظمته وذلك أيضًا على البعد ويبلغ بالواسطة[1].

فيأيها النصارى أليس من الممكن أن نجعل كل محبتنا وطاعتنا في التعبد لله وحده، فلا نقيم الصلوات ولا نوجه الدعوات إلى المخلوقات، ولا نذل لهم فنهبط إلى دركة

فأبطل البروتستانت الرهبانية وألزموا القسيسين بالزواج، وعدا ذلك فإن حكومات أوروبا أباحت الطلاق، وجماهير أمريكا حرمت المسكرات، وروسية حرمت الربا، والبروتستانت منعوا تعليق الأيقونات وصور القديسين في الكنائس، وكل ذلك تقرب من العمل بوصاية الإسلام ولو كان من غير قصد منهم، وبالعكس أخذ المسلمون بتعليق أسماء رجال الدين في المساجد وإحداث مراسم الموالد وحلقات الذكر والتعزيات وتعاطي الربا ولو في أموال اليتامى وتزيين القبور وتشريفها وإيقاد الشموع عليها في بعض الليالي والتبرك بها -على أقل تعبير، إذا لم نقل يدعونها ويستعينونها-. ولا يزال الغربيون في تقرب من حقيقة الإسلام، والمسلمون في ابتعاد عن لُبِّه حتى لا يبقى لديهم غير القشور، حتى يأتي يوم يقوم فيه الغربيون على الشرقيين يدعونهم إلى الإسلام الخالص (المترجم).

(1) إن أديان الوثنية هي التي تشبه الرب المعبود بالملوك الظالمين في كون وزرائهم وحجابهم هم الذين يقربون الناس منهم ويقضون حوائجهم عنده أو بأنفسهم وأما الإسلام دين التوحيد، فيأمر كل أحد من عباد الله أن يتوجه إليه وحده حنيفًا أي مائلًا عن كل ما سواه وأن يخاطبه مباشرة بقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/5]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران/64] (المترجم).

عبادهم ونحن نرى البشر حتى الشعوب والطبقات المنحطة منهم قد قاموا يريدون حقهم من حرية الرأي ومن التساوي في الحياة، ويحكمون لكماقم في نواصي اللوردات، ويجاهدون في سبيل التفلت من تحكم المستبدين، والظلمة القاهرين، ألم يأن لكم أن تحاولوا فك رقابكم من هذا الاستبداد الديني لسلطان جيوش الرهبان؟ انظروا إلى تعاليم حوارييكم الكبار الآتية وبعده ليرجع أصحاب العلاقة إلى رسائل بولص الثلاثة [إلى رومية، إلى غلاطية، إلى العبرانيين] وليقرءوها بدقة وإمعان حسب تحريره واستنتاجه، ولا حاجة إلى نقل شيء من أبوابها أو آياتها هنا، فنتيجة حكم بولص التي نوه بها هي:

إن المسيح أمات الشريعة لقتله، وفي إبطال الشريعة التي أحيت الخطيئة صارت الخطيئة لا تتسلط على المسيحي مرة أخرى، ثم أقام العناية والتوفيق بدلا من الشريعة، المسيحيون كلهم من أعضاء المسيح وعظامه، وهم في جملتهم يشكلون عائلة واحدة تعيش تحت العناية[1] فإن المسيح سينزل من السماء منقضًا بسرعة كالصاعقة، وليس الوقت الآن بوقت الأكل والشرب، ولا وقت الزواج وتشكيل العائلة، فليكن المتزوجون أصحاب الأهل كالعزاب.

(أقول هذا أيها الأخوة، إن الوقت منذ الآن قصير فليكن الذين لهم زوجات كأن ليس لهم) [1 كورانثوس 29: 7]. وهذه الآية حرية بالدقة، ففي اليونانية يقول الذين لهم زوجات (οι εγοντες γοναικας) وهي إشارة إلى جواز تعدد الزوجات.

ومهما كان الأمر فإن وصية بولص لكنيسة (كورانثوس) بأن يتركوا الزوجات وأن يعتبروهن غير موجودات، وبأن لا يفعلوا شيئًا غير انتظار مجيء المسيح السريع، لا

---

(1) إذا لم يكن للشريعة وللعمل بها من أهمية وكان الخلاص بالعناية لا يبقى سبب لتفاوت الدرجات بين خواص المسيحيين وعوامهم، أو بين صالحهم وطالحهم، أو عالمهم وجاهلهم، فما فضل أعزة الكنيسة أو القديسين على غيرهم؟ أين هذا من قول الرسول ﷺ لبنته: "يا فاطمة يا بنت محمد، اعملي لا أغني عنك من الله شيئًا". ومن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات/13] (المترجم).

يكتبه إلى البولصيين[1] الذين في رومية وغلاطية، ولكن المسيحيين سيعيشون تحت العناية، وإن الخطيئة لن تتسلط عليهم، فعناية عيسى المسيح حلت محل الشريعة! لكن ما هذه العناية؟ ليس من السهل تعريف هذه الكلمة المستعملة في عداد ألفاظ عطية، هبة، توفيق، بل هي العناية التي خلفت شريعة الله التي هي عبارة عن وثيقة وسند مقدس، المشتملة على الفرائض والأحكام والقوانين المعينة، العناية وهي كجبل قاف أو العنقاء، موجودة بالاسم مفقودة المسمى! العناية ليست بسند ولا وثيقة ولا ملك من الملائكة الكروبين! هي رحمة المسيح لا غير[2].

فملكوت الله الذي يفسره بولص على أنه يجمع أبناء البشر كلهم سواء ويشكل منهم عائلة واحدة، ويترك كل من له زوجات وأولاد وأملاك بينهم فيعيشون بالوحدة وكمال المحبة تحت ظل (العناية) ومهما يفعلوا فلا يعد لهم ذنبًا: ولكن بولص أدرك وخامة نتيجة محاكمته هذه فانثنى يقول مكررًا: ومهما كان من العناية فإنه مع ذلك يجب أن لا نخطئ؛ لأنه ما من حكومة تجوز أن تعيش جمعية بشرية بغير ما شريعة وقانون مشترك، ولهذا كان بولص شأنه كشأن السريين الذين يقولون لمريديهم (ازانجا) أي من هنا، وللمبتدئين (ازانجا) أي من هناك وأما تعليم بولص في شأن الذبح العظيم فسيأتي البحث عنه وتمحيصه في الفصل التاسع.

* * *

([1]) البولصيون: هم التابعون لعقيدة بولص، وكان كثير من النصارى منهم من يقول: أنا بولصي، أو: أنا بطرسي، أو: أنا شيلاني (المؤلف).

([2]) إن المسيح نفسه ﷺ قال لابني زبدي: (أما كأسي فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان، وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي). فأين تعليم بولص من تعليم الرسولين الكريمين عليهما الصلاة والسلام، أفلا يُفهم من هذه الآية الإنجيلية أن شفاعة المسيح ليست مطلقة ولا قطعية؟! (المترجم)

- 31 -

ملكوت الله في تفسير الكنائس

كل من الكنائس التي لا تحصى عددًا، تدعي أن المسيح أسس كنيسة، وكل واحدة منها تعرض هيكلها قائلة: أنا تلك الكنيسة.

لنقسم هذه الكنائس بحسب اتساعها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الرهبانيون أو الكهنوتيون.

والقسم الثاني: الإنجيليون.

وأما القسم الثالث: فهم الموحدون.

هل من الممكن تفريق عباد الكهنوت من عباد الإنجيل؟ لنعبر عن الكنائس التي تلتزم الكهنوت بعنوان (كاثوليك) وعن الإنجيليين بعنوان (بروتستانت) فإن مقدم الكهنوتيين هو الكنيسة الباباوية؛ لأنه من المسلم والمصدق حسب التاريخ وحسب عقيدة الكنيسة أن أتباع كل الكنائس – ما عدا نصارى إيران – كانوا بعد مجمع نيقية العام خاضعين لبابا رومية ومرتبطين به، حتى أن نصب بطاركة الروم وعزلهم كان في السابق من حقوق البابا.

وأما أحزاب جمعية البروتستانت فلا يمكن اندراجهم كلهم تحت كلية واحدة أو مقولة (قاطيغوريا) واحدة، ولكن كل هؤلاء مع الحيرة والاستغراب لم ينظروا ولا ينظرون إلى ملكوت الله بصورة مغايرة للكنيسة! ولم أسمع إلى هذا اليوم بأحد يدعي أن ملكوت الله ليس الكنيسة أو يقول لعله دين آخر، نعم يوجد من يذم ويقبح الكنيسة ويلتزم امتثال ملكوت الله، أي أنه يقول (إن الكنيسة باعتبارها ملكوت الله يجب أن تكون كذا وكذا على ما جاء في الأناجيل – حتى أن المسيح الخيالي (ايديا ليست) الكونت تلستوي الذي كان دأبه أن ينكس الكنائس بالمرة ويجعل عاليها سافلها، يعتقد أيضًا أن عيسى رئيس ملكوت الله، ولكن هذا الفيلسوف الروسي لا يفهم من لفظي (ابن الله، وابن الإنسان) سوى الإنسان المطلق أي كل آدمي إلا أن ابن الله هو الإنسان المؤمن، وأما الكنائس فترد هذه الفكرة المذكورة، وليس في علم الكلام

الخاص بالكنائس نص صريح قطعي جدي في شأن ملكوت الله، وإن مفسري النصارى الذين قد شغل تصور الإنجيل والصليب ذهنهم يفكرون في أن ملكوت السموات لا يمكن أن يكون غير الكنيسة، لذلك لم يتمكنوا من التفريق بينهما -أي: بين ملكوت الله وبين الكنيسة- وهم يعتبرون تعريف ملكوت الله أيضًا يشتمل على الكنيسة عينها، وكلمة كنيسة معربة وأصلها (إيقليسيا Εκκλησια) اليونانية على أن جميع النصارى الساميين يستعملون كلمة (عيدتا עדתא) التي هي بمعنى الجماعة.

يقولون إن تاج حضرة البابا المثلث ذا الثلاث الزوايا (Tiara تيارًا) هو علامة ورمز للكهنوت والنبوة والملكوت؛ لأن من مدعيات الحواريين قولهم إن الذين يؤمنون بالمسيح سيكونون كلهم يوم القيامة كهنة وأنبياء وملوكًا[1].

والأمر ظاهر من الأناجل الأربعة فإن المسيح عليه السلام استعمل كلمة (كنيسة) بمعنى وكلمة (ملكوت السماوات) بمعنى آخر، عبر عن المعتقدين ببشارته بكلمة (עדתא عدتا) أو (קהלה قْهِلة) بسكون القاف وكسر الهاء، وهذه كلمة (عدتا، إكليسيا) أطلقها على تلاميذه وعلى الموظفين بتبشير كلامه وبملكوت الله وعلى المؤمنين العيسويين، بقصد التفريق بنيها وبين كنيس (كنشت כנם) اليهود، مثلاً هناك آيتان لمتى هما عديمتا المثال في كل كتب العهد الجديد والجالبتان للشبهة في صحتهما هذا السبب هما اللتان فيهما بعد عيسى بأنه سيبني كنيسته على شمعون بطرس وأنه سيعطيه مفاتيح ملكوت السماوات [متى 16: 18 و19].

وكان المسيح إذ ذاك قد لقب شمعون الباز بلقب (بن) بمعنى حجر التي هي في اليونانية (بطروس) وليست بمعنى (صخرة) التي هي في الكلدانية (כאפא كيفا) فالمسيح يقول لشمعون: (أنا أيضًا أقول لك إنك (كيفا) صخرة وعلى هذه الصخرة سأبني جماعتي، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات) [الترجمة للمؤلف].

---

(1) ليت شعري من الذين سيكونون الرعية لأولئك الملوك أو الأمة لأولئك الأنبياء والكهنة؟ يا لَلْمُبالغة! (المترجم).

ليس في هاتين الآيتين من سر لا يمكن فهمه، يبين المسيح ﷺ إحدى الحقائق العظيمة بإفادة بسيطة ساذجة جدًّا، هكذا:

سيؤسس الله على الأرض في هذه الدنيا (ملكوتًا) دينًا عامًا، وسينزل الله الكلام القديم بطريقة الوحي لأجل هداية أبناء الملكوت، وأما أنا فقد بينت وأوضحت لكم إجمالاً ما هو ملكوت السموات وعلى أي الأسس سيعطي لكم كتاب الله، ليس لي كتاب أعطيكموه، ولا ملكوت أدخلكم فيه، أنتم واظبوا على العمل حسب شريعة موسى غير منفكين عن كتاب التوراة قطعًا، ولكن لا محل للفكر والقلق، لا تتمسكوا بالشريعة والوصايا الإلهية حرفيًا وبالظاهر فقط كالفريسيين وسائر جماعات اليهود، بل تمسكوا بهما روحًا ومعنى أيضًا، وكونوا بين اليهودية زمرة نيرة، وصفوة مرشدة، أنيروها وأرشدوها تدريجيًا إلى أسس الدين المبين الذي تقرر تأسيسه، فإن أنتم فعلتم ذلك يجازيكم الله ويقبلكم بصفة أبناء الملكوت، وقد عينت خليفتي (شمعون كيفا) ليكون رئيسكم وها أنا ذا مسلم له مفاتيح ملكوت السماوات، أي أني أعطيه الصلاحية الواسعة، وكل من يدخله في جماعتي في كنيستي فسيكون الله قد أدخله في ملكوته.

أقول: إن المقصود من ذلك كله التعبير عن الحياة الأبدية في السماوات بعد الموت في حضرة الله تعالى؛ أي: عنده.

فهذه الآيات الصريحة البسيطة إلى هذه المرتبة صارت سببًا للاختلافات الكبيرة والحروب الدموية بين الكنائس.

البابا كاهن رومية الأعظم يدعي الربانية المطلقة على عالم العيسوية مستندًا على هذه الآيات.

وأما الكنائس والمذاهب المسيحية الأخرى فيدعون أن المشبه بالصخرة ليس شخص بطرس بل اعتقاده، وأما مذاهب البروتستانتية فيدعون أن بطرس لم يذهب إلى رومية قط، وأما الآخرون فيقولون إن عيسى المسيح أراد بقوله (على هذه الصخرة) شخصه نفسه؛ لأن بطرس في اليونانية اسم خاص مذكر (علم شخص) والحال أن (بطره

$\pi\varepsilon\tau\rho\alpha$) اسم عام مؤنث (علم جنس) وبناء على هذا فإن الحجرة التي سيبني عليها ليست (حجرًا) بل (حجرة) أي غير بطرس وهي المسيح نفسه، المسيح عبر في العبارتين بلفظ (كيفا) و (كيفا) أيضًا اسم مؤنث.

إن جهة تعلق الآيات المذكورة بموضوعنا هو كون الكنيسة غير ملكوت الله، والكنيسة كانت تمثل ملكوت الله وشاهده بصورة مؤقتة، وبشارة الإنجيل أيضًا كانت بمثابة المنادي تهتف بالدعوة إلى الكلام القديم (القرآن) وكل الكنيسة والإنجيل لم يكونا حائزين على ماهية غير تمثال وظل لدين الإسلام والقرآن العظيم الشأن.

لو كان المسيح صاحب ملكوت الله لاقتضى أن يقول: سأبني ملكوتي على هذه الصخرة.

والسبب في أنه لم يكن لجماعة المسيح إلى حين مجمع نيقية من كتاب ملهم رسمي غير الكتب المقدسة العبرانية -أي غير التوراة- إنما هو انتظار كلام ملكوت الله، أليس صلوات الكنائس ودعاؤهم في صلواتهم: (آيات ملكوتك، لتكن إرادتك كما في السماوات كذلك على الأرض) دليل باهر على أنهم خارجون عن ملكوت الله، وأنهم غير مؤمنين بكلامه؟

إذن تحقق جليًّا أنه لا يتفق تعليم بولص وتفسيره ولا مدعيات الكنائس مع ملكوت السماوات الذي كان المسيح عليه السلام مأمورًا بالتبشير به.

* * *

* *

*

الباب التاسع

إن ملكوت الله هو دين الإسلام

وإن كلام الله هو القرآن المجيد

إني لأعلم أن عنوان هذا الباب سيكون موجبًا لانقباض الأنفس في بعض المحافل العيسوية، ولو كنتم تفتشون عن أسباب النُّفْرة التي يحملها أحد الذوات المرتبطين بإحدى الكنائس بصورة جدية نحو الإسلامية، وبغضه لمؤسسها عليه الصلاة والسلام، لتبين لكم أن ليس هناك من سبب ولا حجة معقولة يستند إليهما وإنما يجب الالتفات إلى اعتراض الجادين في التتبعات العلمية والتوغلات الدينية فحسب، وإلا فماذا تفيد اعتراضات رجل عديم المطالعة والتتبع، إذا كانت نفرته منبعثة عن تعصبه إلى اعتقادات ألقيت على ذهنه في طفولته، فالتصق بها، وجمد عليها على العمياء، وإن من يعتقد أن المسيح هو الله لابد وأن يتطلب من محمد ﷺ اعترافًا بألوهية المشار إليه، والحال أن حضرة رسول الله كذب ألوهية المسيح بصورة باتة، وبناء على هذا فإن مثل الذين يحملون له البغض والخصومة كمثل السيدة الجاهلة التي بسائق فرط حبها لزوجها تدعي أنه أفضل زملائه وأعلى أقرانه رغم كونه مفضولاً لبعضهم،وأما إذا بحث عن المسألة بصورة عميقة عريضة فإنه يتحقق أن إسناد الألوهية إلى المسيح إن هو إلا افتراء عليه ليس إلا.

وحينئذ يتحقق لدى ذلك العدو أن محمدًا ﷺ هو حبيب الله وفخر الكائنات.

* * *

- 32 -

(ملكوت الله) في الحقيقة هو دين الإسلام

الآن وصلنا إلى أهم وأحد نقطة من هذه المسألة العظيمة، لقد وصلنا إلى الفصل الأول من الباب التاسع من هذا الكتاب الذي هو أحد عشر بابًا، الباب الأول من هذا الكتاب -على ما هو معلوم- موضوعه (ما هو الإنجيل؟) وعلم منه لفظ إنجيل عبارة

عن (فكرة دينية) و (وعقيدة معنوية) و(تبشير بالسعادة الحقيقية) وإن السعادة الحقيقية أيضًا موجودة في ملكوت الله الذي تقرر تأسيسه في المستقبل، فالسعادة الحقيقية، ليست عبارة عن الإنجيل بل الإنجيل مبشر ومناد يدعو إلى السعادة الحقيقية، وليس الإنجيل عبارة عن التبشير بالابن الوحيد الذي لا أدري ابن أي إله خرافي قد أخفاه في حجره حملاً مذبوحًا والذي ولد في الأزل ثم دخل أخيرًا في بطن بنت بكر، وبعد أن تجسد بشكل إنسان وولد عاش مدة ثم صلب وقتل من قبل اليهود.

ليس الإنجيل كتابًا[1] بل هو تعهد وضمان حول تصديق كتب التوراة والمحافظة عليها حرفيًا، ومع ذلك فهو وعظ وبيان شفهي يبشر بالقرآن.الذي هو كلام السعادة الحقيقية.

ليس الإنجيل سندًا مشعرًا ومبينًا أن الكنيسة ملكوت الله، بل هو عبارة عن أمر إلهي بلغ شفهيًا بوجوب انتظار ورود ملكوت الله واستحضار ما يلزم له على شرط بقاء الكنيسة ضمن اليهودية وعدم انفكاكها عنها.

ليس الإنجيل عهدًا جديدًا مشعرًا بألوهية المسيح ونجاته وإنما هو عبارة إخبار وإعلان بأن سيظهر دين مبين في خصوص تأييد وحدانية الله وإبطال الكهنوت والمراسم الباطلة وكل الشفعاء إلا بإذن الله.

ليس الإنجيل كتابًا لأجل أن يكون مأخذًا ومستندًا لما يَنيف على الخمسمائة من الكنائس ليكفر المسيحيون بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، أو للسب والشتم

---

(1) خلاصة رأي المؤلف الذي بسطه في الباب الأول وأجمله هنا أن الإنجيل ليس كتابًا لدين وشرع غير دين موسى وشريعة التوراة وإنما هو تعاليم وبشارة بدين الإسلام العام الذي يبعث الله به خاتم النبيين محمد ﷺ رسوله إلى جميع البشر لتقرير الإخاء الإنساني العام بعبادة الله وحده وإقامة الحق والعدل بالمساواة بين الناس مع أمر أتباعه من بني إسرائيل بالتزام ناموس موسى (شريعة التوراة) من غير جمود على ظواهره الحرفية إلى أن يأتي ذلك الدين المعبر عنه بملكوت الله. وهذا لا ينافي تسمية الإنجيل الحقيقي كتابًا ولا وجوب كتابته على أتباع عيسى عليه السلام وهم قد كتبوا ولم يكن لهم قوة للدعوة إلى ما كتبوا ثم جمع الملك قسطنطين الوثني ما كتبه الكثيرون وأقر منه ما شاء، ونفى ما شاء بنفوذه في مجمع نيقية وسيطرته عليه، ويقول المؤلف إن أما أقره المجمع من كتب العهد الجديد يشتمل على بعض ما قاله المسيح ولكنهم حرفوه بما بين هو أهمه (المصحح).

وللفظ المردود المسمى (أناثيما αναθεμα) ولكنه عبارة عن اهتزازات صدرت عن فم سعادة عيسى عليه السلام الناصري عليه الصلاة والسلام الذي كان يجوب أرض فلسطين مُهَرْوِلاً من قرية إلى أخرى، مبشرًا بإخاء قوي جدًّا واتحاد إسلامي يتشكل بين الملل يعيش ويدوم إلى ما شاء الله.

ليس الإنجيل كتاب دين ناقص حتى يحتاج إلى تجويز عقد الاجتماعات كل وقت في المجامع العامة الروحانية من المنتسبين إليه من بابا وكرادلة وبطاركة ومتراوبوليدين وبسقبوسين و(آيات) بن[1] (بأثواب وتيجان ترتجف لها أرواح المسيح والحواريين) لأجل وضع الأحكام الشرعية وإصدار الأوامر والفرائض الدينية الجديدة، بوسيلة إكمال النواقص الدينية، ولن أنسى كلام أحد معارف المرحوم أحمد مدحت أفندي وهو قوله بالفارسية:

(صاحبش مرده، وبنايش نيم مانده) أي أن العيسوية (تشبه بناء مات صاحبه وبقي ناقصًا).

فهذا الكلام غلط في نظري بقدر ما هو صحيح في نظر قائله، المسيح عليه السلام لم يترك بناء الدين ناقصًا لأنه لم يكن مكلفًا بتأسيس دين، أنا حاضر ومستعد في كل حين للبرهنة على أن كل القرارات التي اتخذها المجامع العامة الدينية[2] للكنائس في كل اجتماعاها هي مضرة، بل مضرة جدًّا، بل هي مميتة للإنسانية والأخوة البشرية والأخلاق والرقي، بينوا لي ماذا عمل من الأعمال أولئك الجماعة المتهورون وعلى رأسهم البابا الذين تراهم قد علا الزبد أفواههم من شدة شعور الانتقام؟!

شقاق ونفاق من جديد وعداوات جديدة، أناثيما وافروز جديدان، وعقيدة فرضية تسمى (dogma دوغما) نعم رذالات جديدة.

---

(1) آيات abbates abbas في اليونانية آبا أب، وفي الكاثوليكية عنوان لرئيس الدين (المؤلف).

(2) الكنائس تسمى في مثل هذه الاجتماعات العامة بـ (Concilium general) (المؤلف).

تتبع تاريخ الكنيسة من مجلس الفاتيكان الأخير إلى مجمع نيقية العام، لا تجد أنهم أتوا بشيء غير تسهيل الشقاق والنفاق، وخبط البشرية بعضها ببعض، فها هي ذي كل أعمالهم، الرذالات التي أبرموها.

مجلس الفاتيكان أحدث (الأمر للفرض) وفي ذلك قرروا ونصوا على معافاة مريم من (الذنب المغروس)[1] وعلى أن البابا معصوم لا يخطي لأنه وكيل الحمل وكان ذلك قد كان سرًّا خفيًّا منذ الأزل ولم يكشف إلا على عهد البابا (بيوس نونوس) فكان يجب أن يقلل في السبعة والعشرين كتابًا المستحضرة من قبل خمسة أو عشرة أشخاص مجهولين ليس بينهم نبي واحد: إنها كلها غير الإنجيل الحقيقي.

* * *

- 33 -

خفاء المعنى الحقيقي للدين

لم يوفق العلماء والمتكلمون من المسلمين لكشف جميع حقائق القرآن الكريم وحكمياته، بل خفي عليهم كثير منها لعدم وقوفهم على اللغات التي كتبت بها الكتب السماوية المتقدمة.

ليعلم هؤلاء جيدًا أن الكتب السماوية بما أنها نزلت في الألسنة السامية بصورة روحها فيجب أن لا يعتبر أبدًا أن ما ورد من الكلمات والعبارات التي سبقت في الكتب السماوية الأولى ثم وردت في القرآن العظيم الشأن أنها وردت على سبيل الصدفة، كلا بل لا بد من حكمة لله تعالى في تكرير إيراد تلك العبارات وأن نطمئن ونتأكد أن كثيرًا من حقائق التوراة والإنجيل التي كانت مكتوبة تحت طي الألفاظ قد انكشفت واتضحت بسبب استعمالها في القرآن[2] ومن هذا القبيل سأسعى إلى كشف الحكمة الإلهية في لفظ (الدين).

---

(1) B. M. V. Immaculata.

(2) وكذلك يحتاج مفسر القرآن إلى مطالعة الكتاب المقدس على شرط الوقوف على اللغات الأصلية التي كتبت به لا على تراجمه، وذلك خير بكثير من اعتماد المفسر على روايات بعض أهل الكتاب كما فعل كثير منهم (المترجم).

قد فهم المستشرقون والمتكلمون المسلمون أن كلمة (دين) من الألفاظ الاصطلاحية واستعملوها بمعنى درب، طريق، طريقة، مذهب[1] وتلقوا أن تعبير (دين الإسلام) هو كقولك (طريق الإسلام) أو (مذهب الإسلام) والحال لا يفهم من هذا التأويل حكمة ولا تظهر منه حقيقة.

ونصارى الغرب يستعملون كلمة (Religio يلجيو) التي كان يستعملها قدماء اللاتين المشركين، وهي بمعنى (الارتباط، المربوطية) ولهذا عبروا عن دين المسيحية Religio christiana.

أما مسيحيو الشرق من الأقوام السامية فبما أن ليس لهم عبارة بمقابلة هذا الفكر الاعتباري المستند إلى (الدين) فيستعملون كلمة (توديتا תודיתא) بمعنى الثناء والاعتراف.

والعمرانيون يستعملون كلمة (דרך دِرِك) بكسر الدال والراء لإفادة معنى المذهب والطريق [مرموز 139 : 24].

ومما يستوجب الحيرة حقيقة أن الله تعالى خصص الألفاظ الجامعة المعاني العديدة للإسلامية وحدها[2]، وقد مر البحث عن لفظي (محمد والإسلام).

من المعلوم أن حضرة سيد المرسلين ﷺ لم يقتبس كلمة (دين) هذه من اليهودية أو النصرانية أو من أحد بقية الأديان؛ لأنهم لم يستعملوا الكلمة المذكورة بهذا المعنى، والقرآن الشريف ليس كلام النبي الأكرم نفسه، ولا هو الكتاب الذي هو أوجده، بل لما كان الكتاب المذكور هو كلام الله عز وجل كان الله هو الذي أنعم بكلمة (دين)

([1]) ذلك ما كان يزعمه المؤلف في علماء المسلمين والمستشرقون قد يعذرون إذا جهلوا بعض معاني القرآن وليس قولهم بحجة علينا، أما المسلمون فيعلمون جميع معاني كلمة (دين) ويفهمون من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف/76] أنه يدل على أن معنى (دين الملك) هو حكم الملك أو قانون المعاملات المدنية والجزائية للملك (المترجم).

([2]) الحديث الشريف: "أوتيت جوامع الكلم" (المترجم).

خصيصًا للإسلامية[1] وبما أن الله ديان يقتضي أن يكون له دين، ولكن لا يكـــون لـــه طريق أو مذهب، فكما أن الديان هو الحاكم المطلق فهو الملك، ودينه أيضًا بمعنى ديوانه أي مقر عرش الملكوت، إن معنى (ديان) اللغوي عبارة عن الحاكم القاضي صـــاحب الديوان، الحاكم المطلق الذي يفصل ويبت في الدعاوى[2] ويظهر من كثير من الآيات أن الكتب المقدسة من عبرانية وكلدانية قد استعملت كلمتي (دين) و (ديان).

ففي العبرانية (דן دَن يفتح الدال) (דין دون) (דין دين) وفي الكلدانية (דן دن) (דינא دِينا بكسر الدال) (דינא دَينَا بفتح الدال والنون)..

משמים תשתלת דין
ארין יראה ושקטה

يا رب، الله!

(في السموات أسمعت دينا (דין) الأرض خافت وسكتت) [مزمور 76 : 8 الترجمـــة للمؤلف].

كيف يمكن تفسير وإيضاح آية الزبور التي أعلاه؟ هكذا لم يسمع الله من السموات لا (درك דרך) العبرانية ولا (Religio يليجيو) ولا (תודיתא) المســـيحيين. مـــا

([1]) لا يكون لفظ (الدين) خصيصًا بالإسلامية ما لم يضف أو ينسب إلى الله أو رسوله أو بوصف يوصف مقبـــول عند الله، نحو ذلك الدين القيم ودين الحق ويكون الدين كله لله.

والإسلام عبارة عن أي دين من الأديان المنـــزلة من الله تعالى على أحد رسله كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام/163]، ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة/132] (المترجم).

([2]) وهذا هو المعنى المقصود في الآية الكريمة: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة/4]، وإلا فإن لفظ الدين لا يختص بالإسلام إذا أطلق وما لم يوصف؛ نحو قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون/6]، وقوله: ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [النساء/171]، وقوله: ﴿ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ [الحجرات/16]، وقوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الصف/9] (المترجم).

كانت الأرض لتخاف من هؤلاء فتسكت، ثم أسمع الله دينا فخافت الدنيا وسكتت، فالآن ظهر لك جليًّا أن لفظ (دين) مخصوص بالإسلام.

من ذاك الذي يقدر أن يدعي أن الله أسمع حكمه وديوانه في أرض كعنان وظلت الأرض لخوفها ساكتة؟

لم يكن للملوك بني إسرائيل من فتح خارج ولايتي حلب والشام، أما حكومة رومية المسيحية فإنها وإن كانت قد حاربت إمبراطورية إيران في وادي دجلة والفرات ولكن لم تغلب أحدهما الأخرى[1].

فما هو الدين الذي أسمع من السموات ففزع منه أهل الأرض؟ هل كان الإنجيل والصليب؟ هل كان (توديتا) أو (درك) هل كان مدافع وبنادق المسيحيين؟ هل كان الكنيسة (وريليجيو؟) لا لا. لم يكن أحد ما ذكر قط، لم يكن إلا (الدين) فكلمة الدين هذه هي الديوان المهيب ومحكمة الملكوت المراد بها الإسلام فقط، الإسلام وحده، الله اكبر، ما أكبر هذه الحقيقة الناصعة غير القابلة الانكسار، أليس كذلك؟

حضرة النبي دانيال عليه السلام الذي يخبر في أماكن كثيرة من كتابه عن دين الإسلام، يشعر على الأخص بأنه شاهد وقوع المعراج المحمدي علنًا وبشر بتأسيس الدين، يشبه الحكومات الأربعة المتعاقبة (بابل وفارس واليونان والروم) بالحيوانات الأربعة، وأن الحيوان الرابع الذي له عشرة قرون يحارب مقدسي الله ويغلبهم، وفي النهاية (דינא יתב دينايتب)[2]، أي: نصب الديوان[3].

---

[1] أضف إلى ذلك أن تلك الحرب لم تكن دينية وإنما هي دولية (المترجم).

[2] (يتب יתב) بتحريك التاء وكسرها وسكون الياء والباء، والكلمتان كلدانيتان (المؤلف).

[3] من الحقائق التاريخية أن المسلمين غلبوا في إحدى الوقائع المهمة وهي واقعة الجسر وكان قائدهم (أبو عبيد) وكان (بهمن جادويه) قد أخرج الراية الكبيرة المسماة (درفش كابيان) والفيل قتل من المسلمين في ذلك النهار ستة آلاف وخبط الفيل قائدهم (أبا عبيد) وانهزم المسلمون ولما جاوزوا إلى الجسر وجدوا أن رجلًا من بني ثقيف قد قطعه فتهافتوا في الفرات والسيوف تأكلهم من ورائهم فأصيب منهم أربعة آلاف أخرى بين غريق وقتيل إلى أن أصلحوا الجسر وعبروا عليه وهرب منهم بشر كثير على وجوههم وافتضحوا في أنفسهم واستحيوا مما نــزل بهم، ولم يوهن عزمهم ولم يضعف إيمانهم بما وعدهم الله ورسوله من النصر حتى أعقبوها بواقعة البويب ثم القادسية التي تم لهم بها

يقدم إلى حضرة الأزلي الأبدي الجالس على كرسي الديوان (כרסיא דיינא) أي: عرش الدين إنسانًا (أحد أفراد بني آدم) وينال هذا الشرف الأعظم، واحد من كل بني الإنسان (بارناشا) في حضور العرش، وفي حال وجود الملايين من الملائكة، ينعم على ابن الإنسان الملكوت والعزة والسلطنة، وينال عنوان سلطان (שלטנא شُلطانَ) بضم الشين وفتح النون، تقع حروبه وتمحى الحيوانات.

ثم بعد بارناشا الذي هو من البشر يمحو المؤمنون المقدسون تلك الحكومات المعدودة من الحيوانات الوحشية بسيوفهم وقواهم.

فإذا كانت رؤيا[1] دانيال صحيحة - وبالطبع أنها صحيحة ولكنها محرفة - فابن الإنسان؟ ليس إلا محمدًا ﷺ والذي يهلك الحيوانات يجب أن يكون ابن آدم لأن الحيوانات الأربعة كانوا بني آدم، ولكنهم شبهوا بالحيوانات المهيبة لأنهم وحشيون ظالمون ملحدون، وإن الذات الذي يكسرهم ويمحوهم هو إنسان تام، أي أنه يظهر ابن إنسان مستحق لإقامة دين الله على الأرض، وينعم عليه بالملكوت والسلطان وها هو ذا حائز على عنوان سلطان الأنبياء وخلفاؤه حائزون على عنوان (السلطان) فإن لم يكن هذا الذات محمدًا ﷺ فمن هو إذن؟ حتى إنه لو لم يكن المخبر عنه عيسى، لكنتم مضطرين أن تقبلوا أنه محمد عليهما الصلاة والسلام على كل حال.

إن نبوة دانيال عليه السلام ظهرت في بابل في العصر السادس قبل الميلاد، وأما محمد ﷺ فقد أرسل وأمر من قبل الله تعالى بتأسيس دين الإسلام في مكة والمدينة في العصر السادس بعد الميلاد.

فتح فارس كما قال ﷺ: "علو الهمة من الإيمان". فانظر إلى أي حد انطبقت نبوة دانيال عليه السلام في فتح فارس على المسلمين الذين حماهم (مقدسي الله) (المترجم).

([1]) שלטן [دانيال 14: 7] (المؤلف).

ولم يكن في زمن دانيال حرف واحد حول وجود المسيح ولا محمد عليهما الصلاة والسلام[1]؛ أي أن كتب التوراة لم تخبر قبله بشيء يتعلق بخلق وحي المسيح ومحمد عليهما السلام، ولكن كتب الكنائس تدعي دائمًا أن ورح المسيح كانت موجودة عند الله.

وأما موضوع بحثنا الآن فهو هذه المسألة: من يمكن أن يكون ابن الإنسان الذي رآه دانيال عليه السلام، ونوه عنه بقوله: رأيت في خيالات الليل واحدًا يشبه ابن الإنسان كان يأتي مع سحب السماء وجاء إلى القديمة أيامه، فقربوه إلى حضرته، وأعطى له حكمًا وعزة وملكوتًا، لتخدمه كل الأقوام والأمم والألسنة، حكمه حكم أبدي لن يفنى وملكوته لا يزول [دانيال 7: 13: 14] ترجمة شركة بايبل بالتركية[2].

فلو سئل الآن من هو الواحد الذي يشبه ابن الإنسان والذي جاء إلى (القديمة أيامه) وأحضروه أمامه، سيجيبون بغير تردد قائلين: هو عيسى المسيح والحال لم يكن عيسى المسيح حينئذ يشبه ابن الإنسان، بل كان حملاً مذبوحًا منذ تأسيس العالم [رؤيا يوحنا 113: 8].

(*Το αρνιον το εσ ραγμενον απο καταβολης κδσμου*)[3].

اضطررت على تحويل المضاف إلى مبتدأ في الآية المذكورة اليونانية العبارة في ترجمتي لها حسب اللزوم، لأن الحمل كان قد ذبح وقطع قبل أن توجد الدنيا (كزوموس

---

(1) إن مقصود المؤلف بهذه الجملة أن دانيال عليه السلام وإن هو أورد الآيات بصيغة الماضي إلا أنه لا يريد أن يدون تاريخًا لأمور وقعت قبله، إذ لم يأت حينئذ عيسى ولا محمد عليهما السلام، وإنما هي إلهام من الله تعالى وإخبار بما سيقع (المترجم).

(2) عبارة عن ترجمة الأمريكان العربية هكذا: كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض (المترجم).

(3) لا أفهم القصد من تقديم شركة بايبل في الآية المذكورة (سفر الحياة) على (الحمل) فإن كان هذا وهكذا فترجمتهم مغلوطة، والصحيح (في سفر حياة الحمل المذبوح منذ لم توضع أسس العالم... إلخ) وفي الكلدانية أيضًا هكذا:

I have changed the nominative into the nominative case.

κοσμος) أي عالم الهيولى، وبناء عليه كيف يكون (بارانشْ בראנש) بالألف والنون المكسورة والشين الساكنة الذي رآه دانيال هو حمل الكنائس في حين أن الحمل لم يكن قد تجسد ولا ولد حينئذ!

سنأتي إلى تدقيق من هو ابن آدم الذي عرج إلى عرش الله وتقرب، هناك شيء واحد يجب أن نعرفه وهو (قديم الأيام עתיק יומיא) لدى الموسويين الذي رآه دانيال وعبر عنه بقوله: (كنت أرى أنه نصبت عروش وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي، ومن قدامه نهر نار خرج من قدامه وجرى، ألوف الألوف تخدمه في حضرته وربدات ربوات وقوف قدامه، ونصب الديوان (דינא יתב جلس الدين) وفتحت الأسفار [دانيال 7: 9-10].

أود أن أعلم من هو المعني بوصف القديم الأيام؟ أين درست جمعية بايبل وتعلمت قواعد الترجمة؟ من أي لسان وبناء على أي قاعدة ترجموا عبارة (القديم الأيام)؟ أنتم تصورون الله في شكل إنسان (حاشا لله)، هو يقول (عتيق يوميًّا) وفي الكلدانية (عتيق) يفيد أنه هكذا قديم بحيث لا يتمكن أحد أن يجد تاريخه بناء على (عتيق الأيام) على الاصطلاح الكلداني بمعنى (أزلي أبدي).

والمقصود من هذا لفظ (الدين) وقد ذكر لفظ الدين في ثلاثة أماكن من الباب المذكور [دانيال 7: 10 و 22 و 26].

والآية الحادية والعشرون من الباب المذكور قد ترجمتها جمعية بايبل هكذا (هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم).

وها أنا أبين ترجمة الآية المذكورة على الوجه الآتي:

(إلى أن يأتي القديم الأيام وأعطي الدين لمقدسي المتعال ويملك القديسون الملكوت).

أسألكم بالله أيها القراء الكرام ثم أرجوكم أن تقابلوا كلا من الترجمتين مع الأصل ثم أفتوني: هل يجوز وقوع مثل هذه الرذالات! وكأني بالقوم يدافعون بقولهم: إن اللغة التركية كذا ولهجتها كذا، أقول لا بأس فهلموا اقرءوا (على الأقل) الكتب المقدسة التي تحبونها كحبكم عيسى ﷺ باللغات الأصلية التي كتبت بها، أفلا يكون قد

احترمتموها أكثر؟ ولكن هل لأحد واعظي الإنجليز أو الأمريكان فم مستعد للتلفظ بالعبرانية أو الكلدانية كما يجب؟ على حين أنكم لو فتشتم كل الأرض لا تجدون في أي مكان كان عالمًا أو إمامًا أو مفتيًا أو أخونديا أو ملا يقرأ القرآن بلسان أمه، لأن العامل في توحيد المسلمين وجعلهم أمة واحدة هو القرآن[1] لذلك فهم يقرءون القرآن بالعربية التي هي لغته الأصلية.

الآية التي هي موضوع بحثنا مكتوبة بأسلوب الكلدانية أكثر من العبرانية

(עד די אתת צתיק יומיא ודינא יתב לקדיש ע ליונין)

(حين مجيء الأزلي أعطي الدين المقدسي المتعال).

من هم هؤلاء المقدسون؟ هل كانوا هم النيقياويين (أعضاء مجمع نيقية العام)؟ أم مجلس الفاتيكان الأخير؟ أم اللوتريين؟ أم الزوينفيين؟ أم الكالوينستيين؟ أم الصليبيين؟

هيهات، المقدسون إنما هم الذين محوا الحيوانات وأخذوا الدين من الله، هل تزعمون أنهم كانوا التامبيين أم الجزويتيين أم جيش النجاة جيش جرح؟ هل تعددون كل هؤلاء أم بعضهم؟ ثم ما هذا الدين المعطى؟ كم من مرة أعطي للكنائس؟ بكم صورة من قبل كم من الرجال أعطي؟ وكيف هو اليوم وفي أي شكل؟ من الذي يحافظ عليه في هذا اليوم؟ أكلهم أم الروح القدس؟ الإنجيل أم الصليب؟ البابا أم البطريرك؟ الراهب أم المسيونر (المبشرون)؟ الدعاء أم الأسرار السبعة؟

بما أن المسيحيين ليس لهم شيء من جميع معنى كلمة (דינא دين) فمن الطبيعي أن يتفرقوا إلى مئات الريليجيونات.

([1]) يقال: إن الجمهورية التركية ترجمت القرآن إلى التركية، ولكن المسلمين لا يعتبرون الترجمة قرآنـا لأن للفظة العربية الواحدة عدة معان كالعين والرب والاستواء والتولي ومن المستحيل أن يوجد مثلها في لغة أخرى كلمة لها عين تلك المعاني بأجمعها فالمترجم يضطر إلى اختيار إحدى المعاني وفق رأي أحد المفسرين فيكون قد أغفل بقية المعاني، وكثيرًا ما يكون للفظة التي ترجم بها معان أخرى لا يقصدها أو يجوزها القرآن فيكون قد بدل القرآن، هذا والقرآن يحتوي على الآيات المتشابهات ولا يعلم تأويلها إلا الله (المترجم).

إذا دققنا هاتين الآيتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين من الباب الســابع الذي هو تحت مطالعتنا يتبين بصورة لنا مقنعة أن الإسلام بالحقيقة هو الــذي أوجــد ديوان ملكوت الله وحكومته وهذه ترجمتها[1]:

(أسس الدين وسيمحون ويخربون أبديًا آخذين سلطنته وسيعطى الملكوت والسلطنة وعظمة كل الملكوتات الكائنة تحت ظل السماء شرقها وغربها للقوم الذين هم مقدسو المتعال، ملكوته ملكوت أبدي وكل السلاطين يطيعونه ويخدمونه) [الترجمة للمؤلف].

(والدين جلس ידינא יתב) أي تشكلت وتقررت حكومة الــديوان وســيعطى الملكوت والسلطنة وعظمة كل الملكوتات إلى القوم الذين هم مقدسو حضرة المتعال.

كل السلطات (שׁלטניא شلطانيا) سيخدمونه ويطيعونه (يطيعون) الله، مقدسو الله ليسوا خمسمائة قوم، بل هم أمة واحدة وملة واحدة، هي الإسلامية ومع أنها ملة واحدة هي سلطنة، كل ملكوت إسلامي مربوط، بالسلطنة والخلافة لأن الخلافة الإسلامية مقر الدين والديوان.

ثم تعطى عظمة الحكومات الأخرى (ربوتا רבותא) كلها إلى القوم المقدسين.

كل السلاطين العظام خدام الله المطيعون، يعرفونه ويعبدونه، يرى النبي دانيال عليه السلام في الرؤيا أن الله قد أسس تحت كل السماء دينًا (ديوانًا) واحدًا فقط، وقد وعد قطعيًا بأن تؤخذ الحكومات غير المرتبطة بذلك الدين وتعطى المقدسين.

كلمة ديان (דינא) أيضًا بمعنى قاض وحاكم [عَــزْرًا 7 : 25 إلخ] وديــن (דינא) بالنون المفتوحة اسم مفعول بمعنى محكوم و(بيت دين בית דינא) بمعنى محكمة وبيت الديوان (*τοκριτηριον* cour tribunal) وبعضًا تكون كلمة (ديــن) بمعــنى دعوى، حقوق (بعِلْ دِيْنا בעל דינא) بعل بكسر العين فقط وتسكين الياء والــلام، بمعنى مدعي، صاحب الدعوى صاحب العريضة.

([1]) المؤلف كتب ترجمتها بالتركية وترجمها معرب الكتاب بالعربية، ونص ترجمة الأمريكان العربية هكذا:
فيجلس الدين وينــزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى، والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحــت كــل السماء تعطى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون (المترجم).

وبما أني أحاذر من أن يسأم القراء الكرام من تتبع مواد هذا التعبير كلها، أرجع عاجلاً إلى موضوعنا فأقول: كان من الملتزم دين واحد لائق بملكوت الله، وكان يجب أن يكون مناسبًا لحضرة الأزلي الأبدي صاحب الملكوت: إله واحد، وملكوت واحد، ودين واحد، أرجو دقة النظر جيدًا ليعلم أن لست متشبثًا بإيجاد تثليث في هذا الباب.

تلاميذ القرآن يفهمون -على ما أظن- أن القرآن شيء والإيمان شيء والدين شيء آخر، يجب أن يفرق بين هذه الكلمات الثلاثة، القرآن وحي إلهي والإيمان والتصديق بالوحي المذكور، ولكن الدين! كم هو مقدس وذو معنى، ذلك اللفظ السماوي، فإن ما يربط الملكوتات الإسلامية بعضها ببعض وبملجأ الخلافة هو الدين المؤمنون يحاكمون في ديوان أمير المؤمنين ومحكمته ودار فتواه حسب أوامر الكلام القديم.

وكما أن الدين يفيد معنى الحُكْم -بضم الحاء- والحقوق والدعوة والنزاع والديوان والحكومة والأمر والإجراء (التنفيذ) فمقر الدين كرسي الحكومة المحكمة النبوية أو المدنية.

لنتذكر ونتأمل في كلمتي (دين) و (مدينة) (מדילא) أو (מדינתא) لا أريد البحث عن اسم المدينة المنورة القديم، هل من علاقة بين الكلمتين أم لا؟ لنقارن بين حكميات القرآن وخرافات الكنيسة.

المدينة بمعنى البلدة، والمدني هو البلدي، والمتشبث بأن يكون بلديا يقال له أنه يتمدين وعندما يوفق يقول أنه تمدن أو تمدين بالفعل!

لماذا؟ إن بلدة يثرب بعد أن تشرفت بالوجود المحمدي سميت (المدينة מדינא) ذلك أن حضرة نبي آخر الزمان وضع في تلك البلدة مقر حكومته ومجلس ديوانه كرسي الحكم الديوان سرير السلطنة الإسلامية، ماذا يمكن أن يكون السبب غير هذا الجواب؟!

إذا لم يكن المدينة مقر المدنية، فلماذا لطفت بهذا العنوان العالي؟ فانظروا إذن كلمة (دين) أساس بنيان البشرية الاجتماعي المدني وأساس اتجاهه.

ما هي المدنية؟ بالطبع ليس لها معنى غير أهل المدينة، ما هي المدينة، مقــر الحــاكم والديوان والمكان الذي يفصل النــزاع فيه وتبت فيه الدعوى رسميًّا، أي محكمة العدل والقانون الحكومة، ومجلس الديوان.

المسلمون وضعوا اسم المدنية بالترجمة من لغة اللاتــين الــوثنيين **Civilisatio civis** والحال كان أهل رومية القديمة يسمون روما **urbis** أي بلدة.

إني لأدري أنكم لا تتذوقون طعم التعمق في معاني هذه الكلمات اللاتينية، فــأقول: إن كلمة (مدينة) تعبير مغاير للعربية، وعلى كل حال فمدينية هي الأصح، والكلدانيون وهم شرذمة من أحفاد بابل الساكنين في إيران، والذين بقوا أحط درجة مــن التــرك والعرب يكتبون في جرائدهم بالكلدانية الجديدة اليوم (דיהא دينــا، ومדינيותא مدينيوتا) غير ناسين كلمتي الدين والمدينية، عوضًا عن **Civilisation** المدنية.

وإذا كان لساننا قد تعود التعبير بكلمة (مدينية) فمن الطبيعي أنه لا مجال لتبديلــه وتغييره، ولكن لفظ (مدينية) لا يمكن أن يكون جذرها الفعل الأجوف اليائي (دين) بل ربما يكون الفعل الناقص (دني) وحينئذ تفيد معنى معكوسًا، لأن (دني) بفتحتين بمعــنى منحط أو صار وضيعًا أو تأخر، وحينئذ يجب أن يكون معنى (المدنية) هو الانتساب إلى المكان المنخفض الدون السفلي، والحال أن المدنية عبارة عــن الانتســاب إلى محــل الحكومة، إلى محل العدل والعدالة، إلى ديوان الله، إلى مقر الدين.

والآن على تعليم الإنجيل الشريف، قد أسس الله ملكوتــه علــى الأرض، وهــذا الملكوت أيضًا عبارة عن أمة واحدة متشكلة من أمم وعروق عديدة، فــانظروا بــأي واسطة يتأتى جمع الأقوام المنتسبين إلى هذا العدد من الألســنة والأقــاليم والطبــائع المختلفة وتوحيدهم؟ وقد جعل الله لأجل إدارة سلطنته ديوانًا تحت رئاسة حاكم، وذاتًا إن معنى كلمة الحكومة هو الحكم.

ولكن بماذا يحكم الحاكم والحكومة؟ بماذا يجري حكمه أي دينه وديوانه؟ هل يحكم كيفما يشاء وهل يصدر إرادته كما يشتهي؟ وهل يكون العامل في رسم خطة حركته، رغبة نفسه ومشتهى هواه؟

إذن فبأي واسطة يقدر الفضائل ويقبح الرذائل؟ وبأي طريقة يتمكن من إجراء المثوبة والعقاب؟ وعلى أي قانون يحكم على الناس بالإعدام؟ أو يأمر بالإكرام؟

مهما كان الإنسان عالمًا وعادلاً بالفطرة، لا يتمكن أن يبقى خلوا من الانفعال والتأثر بالمؤثرات الخارجية والداخلية، يريد دائمًا أن يكرم وينعم على الذين يحبهم، ولا يؤمن عليه ارتكاب الجور والظلم والخطإ في غير محله بسائق الغضب والغيظ.

قد يضله الوجهاء وأصحاب المداهنات من أرباب الحرص على الحياة من مصاحبيه وحيل أرباب الطمع ودسائسهم، لذلك لا يسلم الله ملكوته إلى أهواء أو هوس أحد من الناس ولا يضحي مصالح عباده لأجل ذوق أحد أو مأربه، كل أبناء الملكوت متساوون ومعززون عنده (أي في حكمه وعدله).

لا تكفي تدابير الفرد الذاتية لتامين حرية الأفراد والعائلات وإسعادهما فالمجالس والشورى والبارلمانتو ليست قادرة على إيجاد قوانين قويمة وثابتة، وهؤلاء يلقون الأمم في شقاق ونفاق، فالشورى والمجالس لا تتمكن من إدامة الدين ولا الدولة إلى زمن طويل[1].

فلا الصليب يصلح الناس ولا التعميد ولا بشارة المسيح ولا ضيافة قربان القديس تقدر أن تسوس الأشرار، ولا دم الحمل المذبوح ولا غفران الراهب المحترم يبرئ الجناة والمجرمين من الخطيئة، ولا رؤيا يوحنا ولا التماس المسيونر (المبشرين) مما يؤثر في إصلاح العصاة المتمردين.

---

(1) نرى الحكومات اليوم عندما تريد وضع القانون الأساسي تجمع قوانينها السابقة وقوانين الحكومات الأخرى قديمها وحاضرها وتأخذ من مجموع ذلك نخبة صالحة مع إضافة ما استنتجته من تجاربها الموافقة لحالتها ووضعها ثم تعرض هذه الزبدة أمام المجلس التأسيسي المنتخبة أعضاؤه من أكمل السياسيين والحقوقيين والعلماء والمفكرين فيحتدم الأخذ والرد والجدل بينهم إلى أن يقر قرارهم على أكمل صورة يتصورونها، ثم لا يثبت ذلك القانون بضع سنين إلا ويرون أن لا مندوحة لهم من تبديل بعض مواده، وأما القانون الإلهي فينزل محكمًا بحيث لا يمكن تبديل مواده السابقة بغيرها وهو كافل لسعادة جميع الأمم وهم المتباينون عادة ومشربًا ويدوم آلاف السنين من غير حاجة إلى تبديل (المترجم).

قميص المسيح الذي لم تشقه عساكر الرومانيين قد مزقته مجامع فلورانس ومجـامع ترانت قطعًا قطعًا، إن ثوب روح الله المشبه بالكنيسة أصيب بالتمزيق إلى ما يتجـاوز الخمسمائة قطعة، فمن الذي سيخيط هذه القطع الشقوق، من ذا الذي يداوي جروح الكنيسة؟ أما الرؤساء فهم الذين أحدثوا الجراح في جسم الكنيسة، فهيهات أن يعدوا الدواء الشافي للجسد الذي هو جريحهم!

والروح القدس الذي يقول الكاثوليك: إنه يخرج دائمًا من الآب والابـن علـى الدوام. يقول للأرثوذكس: لا أنا أخرج من الآب وحـده، الـروح القـدس يعلـم البروتستانت الكلفوينيين أن العماد لا يؤثر قطعيًّـا في الـذنب المغـروس، ويقـول للبروتستانت اللوتيرينيين: أجل أجل، إن الإنسان الخارج من ماء الاعتماد يشابه تمامًا جسد آدم قبل الخطيئة!

وهؤلاء المسيحيون يعتقدون أن الروح القدس هـو دليلـهم ومرشـدهم ولكـن البروتستانت وحدهم يغمضون أعينهم ويسألون الله مباشرة -كمـا يخطـر ببـالهم- ويدعونه منتظرين نفخ الروح القدس!

وفي الوقت الذي يقتضي أن يلهم الروح القدس قراء الكتب المقدسة أي يعلمهـم جميعًا الحقيقة عينها، نراه يسوقهم إلى الافتراقات والافتراءات!

ومن الروايات المتواترة التي سمعتها في رومية وفي لندن أن الكاردينال (مانبغ card Maning) الشهير لما كان قسيس الإنكليكان، وكان في رفاقة غلادستون مثيلـه في الشهرة في إحدى كنائس رومية، أثنـاء الرسـم الروحـاني وعنـد مـنح البركـة Benedictio التي هي في المعنى بدون معنى أي العبادة الجارية في (لحـم المسـيح) عرض له حالة مؤثرة جدًّا، إذ هيج إلى أن قال مخاطبًا رفيقه غلادستون (لا أتحمل بعد، سأصير كاثوليكيًّا).

ذلك بأن ترانيم الإلهيات التي تغني والألحان النفيسة الآخذة بالقلب، والأصـوات الموسيقية في هذه العبادة – عبادة البركة أو التبريك (בודכתא) الخاصـة بمـذهب الكاثوليك تؤثر في كل قلب، والحال أن كل بروتستانتي فضلاً عن المسلم اليهـودي،

فكل بروتستنتي يرفض العبادة المذكورة مدعيًا أنها لا تؤدى لله بل للشياطين! لماذا يـــا ترى؟

لأن الكاثوليك يسجدون في أثناء العبادة المذكورة للخبز سجودهم لله بعينه، هـــذا الوقت الذي ترتفع فيه اللقمة بيد الراهب تكون معبود كل الساجدين، وفي عين الزمن ينشدون نشيد:

(Adromus in eternum sanctissimum saeramentum).

(نسجد لقربان القديس إلى الأبد) وكل واحد يعبد تلك الرقاق بكمال التعظـــيم، فحضرة الروح القدس آمر الكاثوليك بهذا! لماذا لا يقدر أن يـــأمر الـــذين في معابـــد الأمريكان التي في القسطنطينية بهذه الأوامر؟

قارنوا بين التعليمات الدينية في مدرسة القرير التي في (قاضي كوي) وبين التعليمات التي في (كوللج روبرت) تجدون الفرق بقدر ما بين السماء والأرض!

هذه هي المظاهرات والإلهامات المعزوة إلى الروح القدس، فهل أكون قد افتريت إذا قلت: يجب أن تعد أمثال هذه المدعيات، كلها من أعبث الأباطيل؟ أبـــدًا وأصـــلاً! لا يتعب الله روح قدسه قطعيًا بمثل هذه الأشغال؟

لتتخانق الكنائس وليضرب بعضها بعضًا بقدر ما يريد، فـــإن الـــروح القـــدس لا يتدخل، وليرتبوا لمجامع والمؤتمرات والعقائد بقدر ما يريدون، فإن الـــروح القـــدس لا يحضر بينهم، ولو كان الدليل والهادي الوحيد هو الروح القدس لوحد جميع الأديـــان والمذاهب العيسوية وألف بينها، وهذا أيضًا مفقود، ثم لو أن الله هو الذي يدبر ويرشد الكنائس بواسطة روح قدسه، لكان قد أبطل الإرادة الجزئية التي وهبها للناس: وألغى المسئولية، فأين يبقى قانون التكامل؟ ماذا يبقى من المزية للبشر إذا تدخل الله وروحـــه في كل عمل من أعمالهم، وهل يكون الإنسان حينئذ مستحقًا للثواب على الحسنات أو العقاب على السيئات، أليس من الممكن صرف النظر عـــن هـــذه العقيـــدة القديمـــة المتفسخة؟

أظن أن كل الوسائط العيسوية التي عددتُها وكتبتُها والتي اجتهدتُ في تفصيلها قد ظهر أنها لا تتفق وملكوت الله.

أعرض هذه الحقيقة وأنتم مجبورون وجدانًا على قبولها: أن الله عـــادل لا يعمـــد في إجراء عدله إلى أصول الاستبداد، ولا يتدخل فعلاً وبالذات من بعد أن بـــين للعبـــاد طريقي الخير والشر، وهذا دستور ديـــني، لأن الله إذا أحـــال ملكوتـــه إلى الحكـــام المستبدين، والحكومات المطلقة، يكون قد فتح الطريق وجوز بنفسه إجراء المظالم، وإذا هو تدخل بنفسه أو بواسطة روح قدسه أو ملائكته فحينئذ يفقد العدل.

لنأت إلى الصدد والموضوع من غير توسيع هذه المحاكمات: لا يترك الله الملكـــوت من غير محافظة وحماية، هذا صحيح ولكن كيف؟ قد أنعم الله بأحكام ونظامات تامـــة كاملة لإدارة ملكوته، ومن الكلمات الجامعة للمعاني والأسرار (الشـــريعة) الأحمديـــة الغراء، وسأقول إحدى الحقائق فقط مما تحتويه كلمة (الشريعة) الشريعة بمعنى الطريـــق والدرب، أليس اسم (الشارع العام) بمعنى الطريق العام أو الطريق السلطاني، فالشريعة الإلهية أيضًا مرآة أو بوصلة[1] أو دليل يهدي أبناء الملكوت خط الحركة والطريق التي يجب أن يتعقبوها والملك الذي يجب أن يسلكوه بصورة واضحة وصريحة.

صحائف القرآن، كالمرآة مشتملة على الأحكام والقوانين الشرعية، والســـالكون عليها لا يقعون في الضلالة والاثيما والآفروز والارتداد، ولا الشقاق والافتراق، شريعة الله باهرة بسيطة، وضاحة كالنور، موافقة للعقل والفن والقواعد الطبيعية، الشـــريعة المحمدية هي وحدها التي تكفل السعادة الحقيقية للبشر، هي شريعة تنظر إلى كافة أبناء الملكوت على حد سواء وتؤدهم أو تلطفهم جميعًا طبق العدل والمساواة بدون تفريق أو محاباة.

لم يبق اليوم في الوسط شيء غير كامل أو في غير محله، مما يفرق أو يميز بين أفكـــار البشر وأقوالهم وأفعالهم، هي الشريعة تهدي إلى الصراط المستقيم، الطريق الصـــحيحة وعليه فلا حاجة لتكليف الروح القدس ولا للتوسل بعبادات الرهبان العديمة الفائدة.

---

(1) البوصلة: بيت الإبرة المغناطيسية التي تعرف بها الجهات (المترجم).

الدين وديوان المتعال الذي رآه دانيال عليه السلام -بعيني النبوة- في الرؤيا يؤيد دين الإسلام وينطبق عليه نقطة فنقطة.

لقد افتتح الديوان، وحضرة الله الأزلي الأبدي على كرسي سلطنته، محكمة السموات مزدحمة بصفوف الملائكة، يقدم ذات يشبه البشر والإنسان إلى حضور الحاكم المطلق، وسيعطي الحكم الإلهي في شأن الوحوش، وسيجازي الوحوش التي أوقعت المظالم في مقدسي الله على الأرض!

أليس في المحكمة حاكم وموظفون وخدام ومدعون ومدعى عليهم؟ ألم يكمل الديوان بعد والذات المأمور بتنفيذ ما أمر به الديان وهو (الله) حاضر؟ هل من شيء ناقص؟ لا ! لا ينقص ديوان الله شيء، تفتح الأسفار[1] لاستنطاق واستجواب المدعي والمدعى عليه على ما أمر به الديان!

(דיבא יתים וכפרין פתיחו) نصب الديوان (الدين) وفتحت الكتب في المحاكم الإسلامية لا تزال المحكمة ناقصة غير مشروعة حتى يوجد المصحف الشريف، الكتاب من جهة يوطد العدالة من حيث الأحكام الشرعية الصريحة الحاوية أحكام إحقاق الحق، ومن الجهة الأخرى يحلف المشتكون والمشتكى عليهم بالكتاب الذي يؤمنون به بأنهم سيقولون الصحيح والحقيقة في حضور الحاكم، وكذلك يحلف الذات المأمور بإجراء الحكم على عين الصورة، ها هو ذا دين وديوان مكي، هل في الكنائس هكذا دين الله؟ أستغفر الله .

الديوان الذي تصوره النبي دانيال عليه السلام ليس في صورة حمل ولا أثر صليب! لا عيسى ولا رسمه وهيكله! لا كتاب الإنجيل ولا اسمه! لا مداخلة ابن الله ولا الروح القدس! لا أب جالس على العرش ولا ابن على يمينه ولا الروح القدس! بل الله وحده جل جلاله، وكل ما عدا ذات واجب الوجود جل شأنه هم عبيده ومخلوقاته!

([1]) الأسفار جمع: سفر؛ وهي: الكتب (المؤلف)

من قدام عرش اللاهوت يجري نهر مملوء بالنور! هو النور والضوء الذي يمثل العدل والحكمة الإلهية!

هل من مشابهة بين هذه وبين محاكم (الإنكيزيسيون) التفتيش، هل المجامع الروحانية التي حكمت على آريوس ونسطوريوس ولوثر وآلاف من أمثالهم وجعلتهم أناثيما، تشابه هذه المحكمة السماوية؟ حاشا ثم حاشا!

هل يبحث المسيح ﷺ عن (دين) ديوان هكذا؟ هل نصب ديوانًا؟ أبدًا وأصلاً! لم يأت المسيح ﷺ بدين ولا كتاب، ولهذا يمنع حلف اليمين منعًا باتًا بأن يوصي تلاميذه باجتناب المحاكم والدواوين لماذا؟ لأن ملكوت الله وكلام الملكوت لم يكن قد تأسس على الأرض بعد [مت 5: 21–26 و33–36 و23: 16 إلخ].

* * *

* *

*

الباب العاشر

الأدلة القطعية على أن العيسوية ليست في ضمن ملكوت الله

العيسوية الحقيقية التي قبل التاريخ الهجري –وإن لم تكن فعلاً– ولكن كانت بالقوة داخلة في ملكوت الله، إلا أن النصارى الذين انحرفوا عن العيسوية الحقيقية الأصلية هم خارج ملكوت الله، سواء أكانت قبل ظهور الإسلام أم بعده.

* * *

- 34 -

كون العيسوية من الأديان الوثنية حقيقة لا تنكر

في العصر الثالث الميلادي أحدث (صابلليون) صورة ائتلاف وقدمها الروحانيين بأمل رفع الخلاف الشديد المستحكم بين الموحدين والمثلثين، إن صابلليون مع تصديقه وإقراره بالوحدانية الإلهية قدم التكليفات على الوجه الآتي بقصد إغفال الموحدين وإضلالهم، قال:

(الله واحد، لا يمكن أن يكون الله مركبًا من ثلاثة آلهة، ولا أن يتحد ثلاثة أشياء فيكونوا الله، ولكن الله عينه تجلى ويتجلى مرة بشكل آب، ومرة بشكل ابن، ومرة بشكل الروح القدس بالتناوب) هذا تعليم الرجل بصورة الاختصار، ولكن رد هذا التعليم المثلثون من جهة والموحدون من جهة أخرى وبناء عليه فعقيدة صابلليون Sabellianisme مردودة وغير مقبولة عند جميع المسيحيين.

فالمسيو نر لكيلا لا يجدوا صعوبة في تفهيم الثالوث للمسلمين، يستعملون دائمًا طريقة صابلليون، ويأتون بدليل أو مثل من الشمس وعلى زعمهم أنهم يعرضون التثليث على الموحدين بالمرآة يقولون: إن كلا من الشمس والضوء والحرارة واحدة من ثلاثة وثلاثة من واحدة، فكذلك الأب والابن والروح القدس، كأنه واحد وثلاثة، ولا يعلمون أن الأدلة المصطنعة ليست قادرة على إثبات شيء.

وإن مثل هذه الأدلة والأمثلة لا يقدر على كشف مكتوم، ولا على مدافعة عن باطل، ولا على إبطال حق، أريد أن أبحث عن نقطة من مشكلات الفلسفة، على أن الإشكال في النقطة المذكورة مضاعف:

أولاً: من حيث التعبيرات المستعملة.

وثانيًا: من حيث المحاكمة والتعقل.

فالتعبيرات أو الاصطلاحات وهي بعض الألفاظ – فعلى فكري القاصر – أنها تغلط الفكرة المتصورة، ومن هذه الجملة تغلط فهم المعاني الحقيقية لمثل الكلمات: (خاصة، ذات، صفة، موضوع) وأما من حيث المحاكمة فالتعبير (القِدَم) بكسر القاف وفتح الدال، والتعبير (التقدم).

أنا إذا رأيت وجود الصفة في الذات (الموصوف) وأدركت الخاصة في الموضوع فحينئذ أصدق بوجود الصفة، وعلى عكس التقدير تكون الصفة غير موجودة، فالشيء القائم بنفسه ذات، موضوع، حقيقة، وبناء عليه أتصور العلم في العليم، والقدرة في القدير، والحياة في الحي فأدركها وأقدرها، ولكني لا أقدر أن أدرك العليم في العلم والقدير في القدرة والحي في الحياة، لأنه ما لم يكن الموضوع **Sabjectum** معينًا ومعلومًا، فالعلم والقدرة والحياة عبارة عن خيال أو عدم.

وعلى هذا الوجه، أقدر أن أرى الملكوت في الملك، والدين في الديان، والحكم في الحاكم، لأن كلاً من الملك والديان والحاكم، موضوع وذات، وأما الملكوت وأمثاله فخاصة وصفة.**proprium attributum** والآن في صرف ونحو كل اللغات **grammarium** قد سموا الموضوع صفة والصفة اسم معنى خلافًا لهذه القاعدة، وقد عبروا عن كل من (العالم والقادر والحي) بكلمة صفة . قد يجوز هذا الاعتبار في عالم المحدودات، أي قد يتقدم العلم على العالم، والقوة على القوي، والحياة على الحي، لأن العالمين والأقوياء والأحياء كثيرون، ولكن الله الأزلي الأبدي يتقدم حتمًا على الصفة والخاصة.

والآن نظرًا إلى أصول محاكمة المثلثين أو نظرًا إلى أساس تعقلهم (prineipium Ratioeinationis) في البدء كان الكلام[1] والكلام كان عنــد الله، وكــان الله الكلام) [يوحنا 1: 1] وسأدقق بصورة مختصرة لفظة الكلام فقط من هذه الجمل الــتي ترجمها من الإنجيل اليوناني العبارة، وقد ترجموا لفظة (δ Λόγος) بكلمة وبكلام، وهذا بمعنى علم، عقل، أو ما يسميه الغربيون (Reason ratio raison).

فإني أسأل: هل الله علم أم عليم؟ فإن كان علمًا، فما هو موضوع العلم؟ وإذا كان موضوع العلم هو الله، فلماذا يجعلون العلم موضوع الله؟ لأن الآية تقول (كان الكلام الله) وفي هذه الجملة الكلام موصوف، وأما الله فصفة حاشا.

يقال: الحكيم بما أنه يعرف البياض، والعلامة بما أنه قد ذاق العلم فيدرك العليم من العلم، ويدرك الأبيض من البياض، ولكني أرد هذه الأصول بشدة وحسب محــاكمتي فالتعبيرات كالعلم والحياة والقدرة والبياض لا يمكن أن تتقدم على موضوعها قطعًــا، وأدعي عدم وجودها ما لم يتعين الموضوع، لأن وجودها لا يدرك إلا بالموضوع.

كان السبب الوحيد في انفكاكي عن المسيحية قد وقع على هذا الأساس؟ وعلــى أساس المسيحية.

وقولهم: قد كان العقل الأول، والقدرة الأزلية، والحياة الأبدية. يتظاهر في الحــال ثلاث وجودات أبدية، ولكن بما انهم يقدمون الصفة على الموضوع فإنهم يثبتون عــدم وجود الثلاثة وجودات الأبدية؛ مثلاً لو كان أحد الآلهة العلم والآخر القدرة والثالث الحياة، لكن كل من هذه الآلهة الثلاثة: أي الإله العليم ولكنه غير قادر وغــير حــي، والإله القدير ولكنه غير عليم وغير حي، والإله الحي ولكنه غير عليم وغير قادر، إلها ناقصًا وحاشا فليقدروا ذلك[2].

([1]) في إنجيل يوحنا لفظ (الكلمة) في الجمل الثلاث (المصحح).

([2]) قد تيقنت أن المسيحيين لا يصغون إلى أي دليل ولا برهان فغير الروحانيين منهم إذا باحثته يقول لســت مــن متخصصي العلم، وأما المبشرون منهم فيظهر أن لهم مقصدًا وغاية غير الدين وغير الوقوف على حقائقه، ولا أقول هذا الكلام جزافًا فاسمع كيف ينقل المبشر المسيحي اعتراض المسلم وماذا يجيب:

وها هو اعتقاد المسيحية الحاضرة في هذا المركز:

الابن: الكلام والكلمة. العلم والعقل الأزلي.

الأب: القدرة. الأبوة الأبدية.

الروح القدس: الحياة وكذا.

فلا العلم الذي هو موضوع الابن، ولا القدرة التي هي موضوع الآب، ولا الحياة التي هي موضوع الروح القدس بعضها عين البعض، ونضرب الأباطيل الثلاثة في ثلاثة ينتج تسعة أباطيل، ولابد من أنها تورث الذل والهوان لعقل الإنسان.

قال الكانن (وليم تميل جردنر) رئيس الإرسالية الأسقفية الإنجليزية بمصر في رسالته عقيدة الثالوث القويمة بحسب الآراء العلمية السليمة ص 28 كما أوضح ذلك أحد أفاضل المسلمين في كتاب ظهر منذ مدة غير بعيدة، وهناك ما جاء فيه بهذا الشأن: "واعلم أن قول النصارى أن الله واحد في الذات ثلاثة في الأقانيم محال". لأنهم يعتقدون أن كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة فالأول يمتاز بخاصة الأبوة والثاني بالبنوة وبالحلول أو التجسد، والثالث الانبثاق وأن الامتياز بينهم حقيقي بحيث إن ما يثبتونه لأحدهم لا يمكن أن يثبتوه للآخر، إذا عرفت هذا أقول: الشيء الذي به الامتياز إذا ثبت لأحد الأقانيم فهو ثابت لذاته، وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات الله تعالى وبما أنه علة للامتياز فلا يمكن أن يثبت للأقنوم الآخر وإذا لم يثبت له لم يثبت لذاته وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله، وعليه يكون الشيء الواحد ثابتًا للذات وغير ثابت لها، فمثلًا إذا قلنا إن الآب حل أو تجسد أي أن ذاته حلت أو تجسدت فذات الله حالة أو متجسدة.

ولكن الأب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد وعليه تكون ذات الله حالة ومتجسدة وغير حالة ولا متجسدة، وهذا تناقض ظاهر البطلان. وبعد نقل هذا الرد القوي يقول المبشر: "نقول ردًّا على هذا الاعتراض إننا كثيرًا ما نجد مناقضات منطقية عديدة في كلا الماديات والعقليات كالزمنية والأزلية والامتداد واللانهاية وغير ذلك من المناقضات العظيمة المعروفة عند الفلاسفة بالمناقضات العقلية وهي في الحقيقة مما لا يستطاع اجتنابه فلا يجب أن يتزعزع إيماننا بوجود تناقض ظاهري في عقيدة الثالوث في الوحدة ... إلخ". فانظر أيها القارئ الكريم إن المبشر قد فهم الاعتراض على الوجه الصحيح واعترف بأن لا جواب لهذا التناقض الظاهري البديهي في عقيدة الثالوث في الوحدة الذي هو أساس الديانة النصرانية الحاضرة وكأنه يقول مادام بعض الحقائق العلمية والفلسفية لا تزال خافية على العقل البشري يجب أن لا يتزعزع إيمانه بعقيدة الثالوث لأجل هذه التناقضات ولكن لا أدري من أين أتى هذا الإيمان وما هو برهانه ولماذا يجب أن لا يتزعزع إيمانه بعقيدة الثالوث الظاهرة التناقض على اعترافه ويود أن يزعزع عقيدة التوحيد التي تؤيدها كل الكتب المنزلة وكل البراهين العقلية؟ ومتى كان وجود التناقض في الفلسفة مبررًا لوجود التناقض في العقائد الإلهية؟ والحق يقال إني لا أعد مثل صاحب هذا الجواب قابلًا للخطاب والمباحثة معه هذا فيما إذا كان يكتب جادًّا لا هازلاً ولكني أذهب إلى أنه لا يعتقد بالثالوث وإنما يؤدي وظيفة انتدب لها براتب معلوم (المترجم).

ولكن يا أصدقائي المسيحيين، وزملائي الأقدمين أصغوا لفكرتي ومحاكمتي بما أن واجب الوجود قائم بنفسه، فهو مجرد [منزه] وواحد، أي أن ذات واحدة، وإن تعبيركم (**Persona** برصونا) وعلى الأخص باليونانية كلمة (*Ηροσωπον* يروصوبون)[1] (شخص) بما أنها تستعمل في المعنى الذي يشكل جزأ **Individium** من جزئيات نوع البشر، لا يكون له شمول على ذات الله، لأن الله ليس شخصًا ولا طبيعة، ولا يمكن أن تقاس ذات الله بإحدى المقولات، لأن المتناهي لا يقيس غير المتناهي، ولست أقصد البحث هنا عن اصطلاحاتكم العلمية الطبيعية **Natura**[2] وبرصون.

العيسوية تعتقد بإله متشكل من ثلاثة أشخاص بطبيعة واحدة، وليس من الجائز تطبيق شخص **Persona** ولا طبيعة **Natura** على ذات الله، فإن كان من البديهي، أن الأشخاص الثلاثة الذين هم في طبيعة واحدة لا يكون أحدهم عين الاثنين الآخرين، فكذلك كان المعترفون (بأن الأشخاص الثلاثة التي في الثالوث لا يمكن أن يكونوا شخصًا واحدًا) هي الكنائس.

إذا قلت: إن المتكلمين (أرباب علم الكلام) من المسيحيين قد ذهبوا ضحية الأصول الكاذبة التي يتعقبونها أكون قد قلت الحقيقة، وهم يقدمون (المقولة، الصفة) على (الموضوع **Subjectum**) ولما أحسوا بالضوء والحرارة والحياة والشمس بقوا عاجزين عن تطبيق هذه الأصول عليها؛ لأنهم في المقولات الثلاثة المذكورة لا يتمكنون من إراءة ثلاثة مواضيع، بل موضوعًا واحدًا وهو الشمس، هل الشمس ثلاثة أشخاص، إذن لماذا لا يكون؟ مع أن موضوع الحرارة (الحار) وموضوع (المضيء) وموضوع الحياة (الحي)؟ رأوا عجزهم عن إثبات وجود ثلاثة مواضيع في الشمس،

([1]) (*ο προσωπον*) بمعنى وجه، سيماء، ماسكة، ويقولون لاماسكة للتي يغطون بها وجوههم في التياترو (الملهى) والكارنافال، والكنائس تعبر عن الأركان الثلاثة (بروبوصون) (المؤلف).

([2]) ناتورا **natura** ليست طبيعة، وإلا صح (الكون) وفي اللغات السامية (כינא كينا) بسكون الكاف وفتح الياء بمعنى الكون، كان. المكون، ذلك الشيء الكائن (المؤلف).

فصرفوا النظر عن ادعائهم لما يرد عليهم منطقيًا ولكنهم لا يزالون يصرون على ادعاء وجود ثلاثة مواضيع في ذات الله الذي لا تدركه الأبصار.

والآن أقول إن هذه العبارات التي لديكم (برصون، برصوبون، نـاطور. فيـزيس) (φυσις) إن هي إلا عبارات بربرية متعسفة، حيـث أنهـا لم تسـتعمل في الـوحي والإلهامات النازلة باللغات السامية، الله ذات وليس ثلاثة ذوات[1] فإن كنتم ترغبـون في إيجاد ذات لكل صفة، فإنكم في تلك الحالة تضطرون إلى تعيين أكثر من عشرين ذاتًا لا إلى ثلاث ذوات فقط ، فليس الله قديرًا وعليمًا وحيًّا فقط، بل هـو أيضًـا ديـان ورحمان ورحيم وتواب وغفور وحنان وبصير وسميع لأن كل هذه الصفات مشهودة في الله تعالى، فإذا كنتم تقولون لله الذي له علم (ابن) فلا يجب أن تقولوا لله الذي له رحمة (صديق) ولله الذي له غضب (عدو).

([1]) لم يدخل علم الفلسفة في دين إلا أفسده وشتت أصحابه وفرق دينهم وصيرهم شيعًا ليست الأنبياء منهم في شيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران/19]، ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الشورى/14]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [الجاثية 16-18]، ولم تعدد فرق المسلمين إلا بعد إدخال علم الفلسفة والكلام، ولو كان الدين يحصل بفلسفة البشر لما أرسل الله الرسل، ولاهتدت الفلاسفة لمثل أي دين من الأديان الإلهية، ولا يفهم من هذا أن ليس للعقل شغل في الدين فلولاه لما كلف الإنسان بالدين ولكن وظيفته أن لا يصدق بالمستحيل، وأن يصدق البراهين وأن يستنبط الأحكام من الكتاب الإلهي (المترجم).

وكما أن تفكير المسيحية الأول أي طلب الموضوع (الموصوف) في الصفة هو خطأ فبالطبع يكون الخطأ الثاني، عدم ملاحظتهم أن الله تعالى غير متناه. ففي المتناهيات لابد لكل صفة من موضوع (موصوف) فالعاقل الحي، القوي، الجسور، السميع، الصادق، الحبيب، الصديق، الناطق... إلخ مواضيع لصفات، وصفاتها كلها وهي العقل والحياة... إلخ صفات لها مواضيع وكم هناك من عاقل وحي وصديق وناطق لا عداد لهم، ولكن ذات الله غير المتناهية جامعة لكل الصفات (الكمالية) في ذاته الواحدة وبناء عليه فذات الله يوصف بأنه عليم قدير حي رحيم سميع... إلخ.

وأما غلط المسيحية الثالث فليس ناشئًا من أصول الحكمة بل هو ناشئ من العقيدة الباطلة أي هو عبارة عن اعتقادهم رؤيتهم في ذات الله عز وجل رؤية أبوة وبنوة ومخرج في الله ، وهذه العقيدة خلاف الحقيقة بالكلية، فلا العقل والحكمة تقبل هذا ولا الكتب المقدسة تجوزه ولا حضرة ذات الله نفسه.

كل الصفات الحسنى موضوعها غير المتناهي هو ذات الله تعالى . النبي دانيال عليه السلام رأى ذات الله جالسًا على العرش بغيرما شريك ولا شبيه ولا ابن! ولم ير في الرؤيا على العرش ثلاثة (برصون) أشخاص، إلا الله واحدًا جالسًا على العرش.

أنصفوا بالله أيها القوم وقولوا: الإنصاف الإنصاف، هل إله الإسلامية حقيقي وحق أم الثلاثة الأقانيم، ملكوت الله هو الإسلامية، ومالك الملك هو الله وحده من غير ابن ولا غير ذلك، ولا شك في أن التوراة والقرآن لا يجوزان التثليث، الشرك بالله بمعنى الحط من قدره ومس بعظمته عز وجل والحال أن المسيحية تشرك بالله إذ تعترف بثلاثة مواضيع، بثلاث ذوات، بناء عليه فالمسيحية خارج ملكوت الله ولا تعترف بالله الحق ولا تسجد له.

* * *

- 35 -

سبب انشقاق المسيحية هو فقدان الدين
والعامل في وحدة الإسلامية كمال الدين

كنت أوضحت الدين في الباب التاسع بصورة مفصلة.

أروني في المسيحية حاكمًا شرعيًّا ذا صلاحية لفصل النـــزاع وحل الدعاوى، أروني كتاب شريعة يتوسل به الحاكم لتمييز العدل وإجرائه، أروني محكمة عيسوية مســتندة إلى كتاب شريعة تحتوي على أحكام شرعية صريحة، لا حاكم ولا شريعة ولا ديــوان، فإن كان قد أحدث شيء في المجمع العام الثاني سنة 381[1]، من قبل الخمسة بطاركة الكبار فليعينوه متحدين.

مثلاً إذا حدث ازدواج بين قره بت اغا والمداموازيل اليونانية المسماة أيودوكســيا فمن يكون العاقد؟ هل الراهب الأرميني أم الأرثوذكسي؟ وعلى أي صورة من شريعة عيسى تقرر البطركيتان الاتحاد في المسألة المذكورة؟ أو إذا حدث بين المرقومين مسألة طلاق، فبناء على أي قانون عيسى تفصل البطركتيان فيها؟

لكل كنيسة دينها وحكمها ومحكمتها، وبما أنه يخــالف بعضـــها الــبعض الآخــر ويخاصمه، فذلك برهان على لزوم التقدير بأنه ليس للعيسوية دين عام.

العدل في الكنائس ليس باسم الله وعيسى والإنجيل، ولكن لتلك الكنيسة قــانون خاص ودستور عمل تجري عليه، لو كان ملكوت الله يجري على كل العيسوية، لكان قد أنعم على جميعهم بدين واحد ومحكمة واحدة.

انظروا إلى هذا الدين وهذا الديوان في محكمة الفاتيكان تحاكم كاثوليكيًّا قد تــوفي منذ مئات السنين، ولكن في أي صورة يعينون من الجهة الواحدة، قسيسًــا ليزحلقــه بذلاقة لسانه مقدسًا معززًا، ومن الجهة الأخرى يعينون محاميًا شــيطانًا Diabolus ليبرهن على عدم لياقة المتوفى للعزة، أتدرون لماذا؟ لأنه مات على مذهب الكاثوليــك

---

[1] كان عقد المجمع العام اجتماعه الثاني في القسطنطينية سنة 381 ميلادية (المؤلف).

وبالنتيجة يقررون على رجل مات منذ مائتين أو ثلاثمائة سنة كبولص وبطــرس أنــه مقدس.

على أنكم لو حولتم محاكمة عين المتوفى إلى محكمة بطريقخانة الروم ففضــلاً عــن إصغائهم للمحامي الشيطان وحرمان الرجل من العزة بسبب كونه مات كاثوليكيًــا، فإنهم لا يترددون أيضًا في حرمانه Exeommunieatus مكررًا، جيدًا جدًا، بناء على أي دين، وعلى أي كتاب يجرون مثل هذه الخصومة وهذا الحكم؟ الجواب صريح وقطعي؛ لأنه لا دين هناك ولا ديوان.

هل الإسلامية هكذا؟ ليفهم جيدًا أني أبحث هنا عن الأصول والأساس وإلا فلــيس من حدي أن أجعل كل المسلمين ملائكة أو كل النصارى شــياطين، فــبعض حكــام المسلمين وموظفيهم أيضًا قد أجروا مظالم آخذين الشريعة تحت أقدامهم ولكن الــدين والشريعة دائمًا مكملة ولا تضيع صفة عدالتها، الظَّلَمة من المسلمين لا يتجاسرون أبدًا وأصلاً على إجراء الظلم بأصول الدين أعني بأصول المحكمة الشرعية، ولابــد عنــد إجراء الظلم والباطل، من مخالفة مقتضيات أحكام الدين، والانحراف عنه.

ولكن الأمر في العيسوية ليس كذلك، فإن محكمة التفتيش الشرعية، الكاثوليكيــة التي أحرقت الألوف من المرتدين (الهراطقة Heretici) وأهلكتهم بآلاف الأنــواع من العذاب، من يقدر أن يعين باسم أي إنجيل وصليب ارتكبت تلك المظالم، أي إنجيل أمر بقتل هؤلاء؟ والبابا وهو الرجل الذي يدعي أنه ليس رئيس الكنيسة، لماذا يــراهم مرتدين ويسمح بإلقائهم إلى لهب النار؟ أي إنجيل وأي قانون مسيحي يــأمر بهــذا؟ لا يجب انتقاد الكاثوليكية فقط، فإن كل الكنائس في كل وقت مستعدة لإجــراء هــذه المظالم عندما تحرز قوة وتجد في نفسها القدرة على الظلم لأنــه لا ديــن[1] هنــاك ولا

([1]) نظرًا إلى ما تقدم من بحث المؤلف عن أن الدين هو قانون العقوبات والحكمة وتنفيذ العقوبة فلا شك أن الإنجيل خال من ذلك والنصارى يعبرون عن هذا المعنى بالدينونة، أما المسيح فقد أحال الدين إلى شريعة موسى وامتنع من أن يدين حتى تلك المرأة التي أمسكت في الزنى وأمر بأن كل من ليس له ذنب فليرمها أولاً بحجر وبعد أن خرجــوا كلهم رفع رأسه وقال لها أنا أيضًا لا أدينك حينما لم يكن له خطيئة؛ لقوله ﷺ: (من منكم يبكتني على خطيئــة، وقال أيضًا لأني لم آت لأدين العالم) [يوحــا 12 :47]. وقال: (أما أنا فلســت أدين أحدًا) [يوحــا8 : 15]. وقــال:

شريعة، فأولاً كتب الأناجيل لم تكتب بالوحي الإلهي، ثم كتب التوراة تناقض كتب الأناجيل، ومن لم يكن له دين فلا يكون داخلاً في ملكوت الله، إذن فالعيسوية محرومة من الدين وبناء عليه فهي خارج ملكوت الله.

* * *

* *

*

(لا تظنوا أني أشكوكم، يوجد من يشكوكم وهو موسى) [يوحنا 5: 54]. ولكن لما ألغى بولص شريعة موسى على ما مر تفصيله فبالطبع أن لا يبقى للمسيحية دين (ديانة)، ولكن لا يمكن أن يقال شيء حول محكمة التفتيش (المترجم).

الباب الحادي عشر

غرائب وعجائب

نحن نبحث عن ملكوت الله، بلغ حضرة منادي الله المسيح عليه السلام بشارة الملكوت إلى الخواص والعوام من بني إسرائيل في قرى وأمصار ديار الجليل مدة أكثر من سنة، ثم غاب عن العين، أنا لست أطلب مجدي يوجد من يطلب ويدين [يوحنا 8: 50].

مضت الأشهر والسنون وشخص المسيح عليه السلام وبشارته وتعليمه مستوجبة الحيرة والتجسس وليس في الميدان سطر واحد مكتوب، وكلما مر الزمان ازدادت محبة المسيح في قلوب الناس، حتى جعلوه مخلص العالم ثم ابن الله وفي النهاية صار هو (الله) كتبت حول بشارته البسيطة بالملكوت مئات من المؤلفات الملوثة بالخرافات، إلى أن وصلت النشريات إلى أثينة وورومية، فخرج الأمر عن موضوعه بالكلية وظهرت هناك تعاليم (فلسفية) ومؤسسات وعادات تنفر منها الأنبياء وتلعنها التوراة، في كل مكان وجدت رهبان وأحدثت كنائس، لم يبق في الكنائس أي اثر من اليهودية[1] نسي الله الذي تعرفه الأنبياء، أقيم معبود يتلون ويتجلى بشكل حمل، بشكل إنسان، بقيافة أب، بصورة حمامة، بمقام (يهوه – الله) الذي أنعم بالتوراة وانسحبت اليهودية على طرف وانزوت، لم يبق في الكنائس فرد موسوي.

وهكذا في ظرف عصرين أو ثلاثة من الميلاد وضعوا أسس الاعتقادات الباطلة، وأوجدوا أشكالاً وأنواعًا من الكنائس.

* * *

([1]) إن بولس يتظاهر بأنه عالم وعامل بشريعة موسى [أعمال 23: 5]، ولكنه يناقضها بتعاليمه حتى غاظ المؤمنين بالمسيح من اليهود فعزموا على قتله بسبب تعاليمه انظر [أعمال 21 - 20 إلخ] (المترجم).

- 36 -

هو حَمَل[1] ولكنه يقدر أن يغضب ويغتاظ

نحمد الله على وجود تصوير النبي دانيال عليه السلام لشكل ملكوت الله وشوكته ، وإلا فلو وكل الأمر إلى رحمة كتب الأناجيل وعلى الأخص إلى تفاسير الكنائس لعسر جدًا علينا فهم الملكوت، قارنوا الباب السادس من رؤيا يوحنا بالباب السابع للنبي دانيال ! وحي يوحنا يقول إن كل العالم يخاف ويهرب من غضب الحمل! لا أدري هل كان مؤلف الوحي يصور يوم الحشر، أم أي واقعة عظيمة! يبحث عن الحمل الحديد الغضوب المتهور، كان في يمين الرب حمل غضوب، يخاف منه العالم، يرجعون إلى الجبال إلى البحار إلى الصخور صارخين مستغيثين قائلين (أخبئونا من حدة الحمل) لابد في التشبيه من وجه الشبه نعم يصح تشبيه الجسور بالأسد وتشبيه الجبان بالحمل، ولكن إذا كان التشبيه على العكس فحينئذ تكون (كوميديا، أضحوكة) فالحمل يمكن أن يكون تمثالاً للمطيع الوديع أو الجبان الضعيف، أما إذا وصف بالصفات التي ليست في طبيعته فذلك يوجب السخرية والاستهزاء.

تصوروا حملاً تخافه وترتجف منه كل الكائنات، ثم تفكروا أن أحد الحملان المحبوبة اللطيفة التي تلعب وتقفز في الحقول يقدر أن يكون غضوبًا ومنتقمًا، يا للعجائب؟!

ثم هلموا لنقرأ هذا: (لما فتح الختم السادس رأيت زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم، ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزها ريح عظيمة، والسماء انفلقت كدرج ملتف وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر أخفوا أنفسهم في المغاير وفي صخور الجبال، وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش،

---

(1) الحَمَل بفتحتين الحروف (المترجم).

وعن غضب الخروف لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف) [رؤيا يوحنا 6].

ما أهيبه من منظر وما أعمقه من خيال، خيال أخذ علم الفلك تحت أقدامه! رسام عقر العقل وخرق المنطق، كتاب قلب الحقيقة وغير دين الله، كأن الأجرام السماوية تقع كالتين الذي لم ينضج على كرة الأرض التي هي بالنسبة إلى النجوم بقدرة الذرة، الجبال والجزائر تقفز وتتحرك من مكانها، ذلك لأن الحمل قد احتد وغضب!

فها هي الجمل التي يقرؤها كل المسيحيين قائلين ما أبدعها! هذه آيات الله وهم ولهانون بحسنها!

لماذا غضب الحمل إلى هذه المرتبة؟ لم يسئ إليه أحد من سكان الأرض فالحمل كان مذبوحًا قبل خلق الكائنات، والمسيحية والكنائس هي التي أحبته ولم يزالوا يعبدونه ويسجدون له، ويحبونه إلى درجة أنهم يأكلون لحمه، كما يأكلون على المائدة كذلك في المحاريب، أفمن أجل هذه احتد الحمل؟ إذن فأي ذنب للملوك والأمراء والأغنياء والعبيد والأحرار؟ أما إن كان هناك ذنب فكله رقاب القصابين والقساوسة، على أننا نرى أن الوحي لا يبحث عن الرهبان!

أيها المسلمون المساكين! أين تذهبون من غضب الحمل الشاغل عرش السموات؟!

نظرًا إلى فكري وقناعتي الوجدانية يجب أن نصلح مثل رؤيا يوحنا قبل كل شيء، ويجب أن نعتقد أن ليس على عرش السموات إلا الله الواحد، وأن لا نعبد إلا إياه، وأن لا نرى هناك حملاً ولا خروفًا وأن دياننا وديان العالمين هو الله الأحد ﷻ.

* * *

- 37 -

يزعمون وجود حمل يتمكن من أن يرفع خطايا الناس ويترحم عليهم

الكهنة والقسيسون جسموا المعصية وأعظموها بقدر ما بالغوا في أصول مغفرتها وكأن (الذنب المغروس) الموروث من آدم لا يرفعه إلا الاعتماد. فالقسيس الذي لا يرى لزومًا للوضوء والاغتسال مرة في عمره، يملك تلك القوة السحرية على تنظيف

لطخات الذنوب ومحوها بحيث يقدر أن يمسح بنحو مائة درهم من ماء العمـــاد ذلـــك الذنب المغروس ويقذف به من مائة ألف نفل ومجذوم.

أما مغفرة الذنوب المرتكبة بعد الاعتماد فهي تابعة لأصول ومراسم كثيرة ومن جملة ذلك أن الاعتراف للراهب بالجرم فرض، ولـــيس مـــن عابـــد صـــليب -باســـتثناء البروتستانت- معفو ما لم يقل له الراهب: (أنا غفرتُ لك كـــل خطايـــاك) (Ego absolvo te.......)[1].

وهناك واسطة أخرى لمغفرة الذنوب ورفعها وهي: حضرة البابا، الـــرئيس المحقـــق للكل المسيحية.

لو سلمنا أن المسيح نصب بطرس وعينه لرئاسة كل الكنائس، ولكن تلك الرئاسة ليست إلى الأبد، بل كانت مؤقتة إلى ظهور الملكوت وأنا أدعي مصرًّا أنه من العبث أن تدوم العيسوية الحاضرة موجودة، فإن جميع فرق مسيحي اليوم، خارجون على تعاليم المسيح عليه السلام.

ولن يتمكن من أن يكون دليل هذه المسيحية الملطخة بالخرافات غير خضرة البابا، وعلى كل حال فإن وكيل بطرس الذي يدير دفة سفينة المسيحية إلى مينـــاء الآخـــرة، لابد وأن يغرقها أو ينجيها، أما إذا لفتنا نظر الدفة إلى كتب الأناجيل وتاريخ الكنيسة فلا تبقى أي شبهة في أن حضرة البابا رئيس روحانيّ كل المسيحية ، ولي القناعة التامة بأن حضرة البابا هو رئيس المسيحيين المحق؛ لأن (مقام الباباوية) هو الذي ساق الجماعة العيسوية إلى هذا التيار وهذه الهلكة.

إن حضرة البابا لا يغفر خطايا المسيحيين الذين على وجه الأرض فقط، بل يمســـح وينظف ذنوب وخطايا النصارى المتوفين أيضًا (بإرادة كاهنية) واحدة أيضًا وليس هذا القدر فقط بل يمنع الرؤساء الروحانيين من الأرثوذكس والبروتستانت – الذين يعدهم ملحدين – من أن يخرجوا من نار الأعراف (أي المطهر).

([1]) كيف يسوغ للقسيس أن يقول غفرت بضمير المتكلم المعلوم وينسب المغفرة لنفسه والمسيح عليه السلام لم يقل هذا بل قال قد (غفرت لك) بصيغة الغائب المجهول، الغافر هو الله تعالى، متى كان القسيس أكبر من المسيح؟ (المترجم).

أي مسيحي يقدر أن يعترض أو ينبس ببنت شفة ضد الإرادات الواهبة المغفرة التي تصدر عن تلقاء هذه الذات العديمة المثال على كرة الأرض الحائزة علـى صـلاحية واسعة؟!

إن حضرة البابا يبلغ فرمانه **Indulgentia** الذي هو العفو العام عـن جميـع المسيحيين الذين لم يرهم ولم يعرفهم، الأحياء منهم والأموات، في الدنيا وفي الآخرة.

وهناك شفعاء لا يحصون عددًا ذوو صلاحية لمنح المغفرة لأولاد الكنيسة والحـال أثناء إجراء المراسم الكهنوتية لقربان القديس تجري فيوضات الغفران بكثرة وغـزارة ويفيض بحر الإيمان كالسيول على المؤمنين الذي يأكلون لحم المسيح ويشربون دمـه، ويترنم الكاهن والمغنون في أثناء مراسم هذه المنقبة قائلين ثلاث مرات:

(Agous Dei, qui tollis peccata mundi misrere nobis).

(يا حمل الله! أنت الذي تعفو الآن أو ترفع خطايا العالم، ارحمنا).

نريد أن نفهم

عجبًا من هو هذا الحمل؟ هل هو الحمل المذبوح الذي في عرش اللاهوت؟ هل هو الحمل الذي اختبأ في الخبز الذي يمضغ في أفواه القسيس والعابدين؟ أم هو ذلك الحمل المملوء غضبًا الذي صوره كتاب رؤيا يوحنا؟ هذا الحمل أحد الأعاجيب التي سـوف يريكموها حضرات المسيونر (المبشرون).

أقول للمبشرين الذين يدعون المسلمين إلى المسيحية (أن حملكم اللائق هو ليس برج الحمل أو الحمل عيسى الذي يعرفه متى أو مرقس أو لوقا.

الكنائس تجعل عيسى المسيح حملاً مذبوحًا، وكاهنًا شافعًا،وابن الله، ثم تجعله (الله) – حاشا لله – وتجعله (كلمة الله) والذبح العالي الذي هو ضمن كسرات الخبز وضـمن الشراب اللذين يقدسهما القسيس، وتجعله راعيًا أيضًا! فهل سمعتم أضحوكة كهـذه العبارات؟ هذه الأضحوكة هي معبود النصارى.

حمل ولكن في عين الوقت راع، فيا للعجب العجاب.!

إذا كان راعي القطيع حمل، فيا فرحة الذئاب واللصوص.

لا محل في ملكوت الله لمثل هذا الهذيان والعقائد المغضبة المعلمة للكفر.

* * *

- 38 -

بعض النماذج من تعاليم ملكوت الله الأساسية

كنت قد بدأت بتفسير القرآن العظيم باللغة الإنجليزية حتى كتبت إلى آخر سورة البقرة، ولكني أدركت أن من كان مثلي عاجزًا فارغ اليد قليل النصيب من العلوم القرآنية، لا يتمكن وحده من الاجتراء على إيجاد أثر مفيد؛ فانثنيتُ عن عزمي إن الله ولي الذين آمنوا، أفلا يحفظ ملكوته ومقدساته ودينه وقرآنه[1].

اطمئنوا أيها المسلمون، إن صاحب الملكوت لم يترككم ولن يترككم ولكن ليظهر عدله وجلاله، وإنه سيخلصكم عاجلاً وإن نجاتكم ستكون من قبله فقط، ليكن إيمانكم قويًا متينًا، لا تيأس يا حضرة أمير المؤمنين يا حافظ سرير شوكة دين الله لا تيأس!

إلى الأمام يا أولاد المصطفى الغياري الناريون خدام اتحاد وترقي المسلمين المجتهدين في إحياء الإسلامية، يغفر الله خطاياكم، وهو حاضر كل وقت لإرشادكم وتعليمكم في أوروبا يسمونكم (جمعية اتحاد الإسلام) ليوجدوا لكم أعداء،وبعض المسلمين يقولون

([1]) لقد عهد الله تعالى إلى كل أمة أنعم عليها بشريعة أن يحفظها إلى الأبد ولكن على شرط محافظتها على ما عاهدته جاء في سفر [الخروج 19: 5] (فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم)[اشعيا 1: 19] وهذا ما جاء في القرآن عنهم: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة/40]، ومثله كثير في القرآن: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد/7]، و﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة/105]، و﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال/53]، و﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء/7] (المترجم).

عنكم (هؤلاء فراماسون لا دينيون) يسعون لإحباط أعمالكم ولكن هذا عبث أنـــتم ستنجحون وستسعون لإحياء عالم البشرية.

كونوا مطمئنين أن كل العالم لا يتمكن من إيقاع الضرر بكم ما لم تفترقـــوا عـــن الدين، إن السلاح الذي أنتم في حاجة إليه هو الإيمان والأخلاق الأحمديـــة، وبهـــذين السلاحين تتمكنون من مقابلة جميع أعدائكم.

بعض تعاليم القرآن السامية

1- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران/2] [إشعيا 45: 5: 6: 17: 21: 22 و46: 9، وزكريا 14: 9، يوحنا 17: 3 إلخ].

2- ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة/255]، ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴾ [الزمر/44] المنجي هو الله [إشعيا 42: 8 و 43: 11 و 12: 2 هوشع 11: 9 تثنية 32: 39].

3- لا يغفر الخطايا إلا الله[1] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/110] ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت/6] [إشعيا 1: 18- مزامير 51: 7 إلخ].

4- ملكوت الله كرسيه ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾ [البقرة/255] [دانيال 7: 9، حزاقيل 1: 26].

5- في حق التثليث ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ [النساء/171] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ ﴾ [المائدة/73].

---

(1) فاته أن يذكر هنا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران/135] (المترجم)

6- في شان عيسى عليه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء/171] و﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ [النساء/172].

7- في شأن الإنجيل ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة/46].

8- في شان الكهنوت ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة/31].

واليوم يصر المسيحيون إصرارهم في عهد البعثة المحمدية على اتخاذ الكهنة والرهبان والمسيح بن مريم أربابًا من دون الله، على أهم قد أمروا بأن لا يعبدوا غير الله الواحد الأحد، ولا إله غيره ليتخذوه شريكًا له.

إن اعتقادي هكذا: أن الفائدة الوحيدة فيما كتبناه - إن كان ثمة فائدة - إنما ستكون عبارة عن سوق المسيحيين إلى مطالعة القرآن وتدبره في صميم قلبهم، وإن آيات هذا الكتاب، كتاب الله وأحكامه قطعية ومهيبة وبعيدة عن المنازعات اللغوية الفارغة، ولغته سامية وصريحة بحيث لو لم يكن مبلغه قد قال عن نفسه إنه نبي لقررت أنه أعلى درجة من الأنبياء.

إن الذي أوقع العيسوية في الضلال هم الأحبار والرهبان والمجامع العامة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة/34].

لعل أحد أصحاب الخير من الذين هم أفضل مني ينبري للقيام بتـأليف كتـاب في خصوص إيراد البراهين على حقية هذه الآية الجليلة وإني بكل سرور أقول لم أكـن في وقت ما من أولئك الأحبار والرهبان الذين ملئوا أدمغتهم وبطونهم بالذهب والفضـة، ولكن هذه الآية موافقة ومطابقة للواقع، وإن هذه الآية وحدها تكفي لإثبـات حقيـة نبوة محمد ﷺ ورسالته. أروني أي قوبانية أو شركة أو مليارديرهو أثرى من المسيو نر أو اللازاريست؟ فالفاتيكان أثري (أغنى) من الكوفرنال، وبطريكخانة الروم آثر مـن سراية قرال أثينة، أليس كذلك؟

الحمد لله تعالى لقد أوصلنا الفصل إلى منتهاه، آمل أن قد تمكنت -إلى ذرجة مـا- من بيان ما هو الإنجيل، ولكني كتبت هذا الفصل كمقدمة لتأليفي الزهيد، وإني مقتنع بكل قواي العقلية وإلحاح وجداني أني سأتمكن من البرهنة بصورة قطعية على أن كتب الأناجيل ليست من الكتب المنـزلة بالوحي.

وعلى سؤال ما هو الإنجيل؟ يكون الجواب عبارة عن:

إن الإنجيل كتاب بعد تنـزيل وحذف خمسة وتسعين بالمائة منه إلهي، أعلنه ووعـظ به المسيح عليه السلام مشافهة.

لم يصل إلى علمنا أن أحدًا أبصر الإنجيل الشريف (مكتوبًا) أعني الإنجيل الذي بلغه المسيح عليه السلام شفاها.

تأييد الوحدانية الإلهية أن سيكون أبناء ملكوت الله عبارة عن الموحدين أي عبـارة عن دين الإسلام، رفع الشفعاء ورفع الأحبار والرهبان وأمثال هذه الشعوذات، إنمـا وسيلة النجاة عبارة عن الإيمان الكامل بالله والصدق بالعمل الصالح، وأما الاسـتغفار فعبارة عن إمكان حصوله (بالتوبة) من الخالق من قبل العبد رأسًا وبغير وساطة ما ولا توسط مخلوق.

وأما المباحث الأخرى التي وعدنا بنشرها في هذا الخصوص، فسنبسطها مفصـلاً في كتابنا الذي سننشره قريبًا باسم (إنجيل حقنده افشاءات عظيمة) أي إفشاءات عظيمة في شأن الإنجيل.

الخاتمة

إن حاجة المسلمين لشديدة اليوم إلى تأليف هيئة مجهزة بالعلم والمال باسم (جمعية نشر الإسلام) وهذه الهيئة تفتح المدارس وتنسقها من جهة وتخرج تلاميذ علماء قديرين ذوى أخلاق حسنة من الجهة الأخرى، وبواسطتهم يستنير العالم الإسلامي وتقوى روابط الأخوة والوحدة بين أجزائه إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولم يصلح أولها إلا بتدبر القرآن والعمل بموجبه، فلو أقبل المسلمون على كتاب الله وحده ولم يلتفتوا إلى روايات عن السلف أو اجتهاد زيد وعمرو لتخلصوا من الاختلافات المذهبية ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

وكان من الواجب على الأقوام التي أسلمت أن يتعربوا ليفهموا دينهم من القرآن مباشرة بلا واسطة، لذلك أجد أعداء الإسلام، مغتاظين جدًا من وحدة اللغة العربية وهم يحبذون دائمًا أن يكتب كل أهل قطر بلسانهم الدارج يقصدون بذلك أن تزول هذه الوحدة اللسانية فلا يعودوا يفهمون القرآن من لغته العربية الأصلية، فإذا ترجموه إلى لغاتهم فعندئذ ترى لكل قوم قرآنًا كما هي حالة الأناجيل .

انتهى


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

فهرس

كتاب الإنجيل والصليب

الموضوع	الصفحة



مكتبة النافذة